

جرعات علمية وفكرية ومعرفية للملحدين والربوبيين والماديين والباحثين عن الحق

د.هيثم طلعت

/http://www.anti-il7ad.com

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

أيها الملحد!

أيها الربوبي!

أيها المتشكك!

أيها الباحث عن الحق ونداء الحق!

من أجلك أنت يأتي هذا الكتاب الذي بين يديك؛

فجواب الأسئلة الغائية ومعنى الوجود الإنساني يكمن حصريًا داخل ميدان الإيمان، والقضية الإيمانية وعواقبها ليست بالقضية الهزلية، بل هي قضية محورية في حياتك كلها ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٌ فَصۡلٌ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾ [الطارق: ١٣-١٤].

وأنا وأنت نتفق على أن كل مُتَع وكنوز العالم لا تكفي إنسان يعلم أنه وُلِد ليموت!

فلابد من نَظَرْ أمر الإيمان وأدلته، وعجز الإلحاد عن تعبير معنى الإنسان وإعاقته، فالذي يظن أن العالم المادي يُمكن أن يُقدم عزاءً كافيًا للإنسان لا يعرف شيئًا عن الإنسان، فدراما الوجود الإنساني لا تجد لها جوابًا داخل ميكانيك الكم وإنما قد يفي شكسبير ببيان هذه الدراما، والمعاناة والتمرد والبحث عن المعنى والغائية الوجودية كلها مصطلحات تُعبر عن الإنسان أكثر بكثير مما تعبر عنها قوانين نيوتن الثلاثة؟

فالجواب عن معنى وجودنا لا يكمن في المادة وحدها!

وفي لحظات الصفاء وبعيدًا عن كدر الحياة، لا يمكنك استيعاب أنك كومة تراب جائت بالصدفة، فأنت ترى نفسك كائن محسوب حسابه وجاء بتقدير، وقد كان ميرابو Mirabeau مُنظِّر الثورة الفرنسية يصرخ ويقول: أعطوني مورفين لا أستطيع أن أفكر في العدم.

فالإيمان بغائية القضية الوجودية نابع من داخلك أنت؛ نابع من إيمانك بالإنسان قبل أن يكون نابعًا من الدين ذاته، فالإيمان بالإله والجزاء والغائية الأخلاقية للوجود هو حقيقة رصدية مِن تدبُّر العالَم والنفس، وحقيقة نظرية، وحقيقة عقلية وحقيقة وجدانية وحقيقة فطرية قبل أن تكون دينية!

وفي هذا الكتاب:

أُقدم بين يديك نَظَرْ أمر الإيمان وحُججه، وقصور الإلحاد عن تفسير ظاهرة وجودنا الإنساني وعجزه، وقد جاء الكتاب على شكل جرعاتٍ متتالية تنقلك من بحث فروض الإلحاد إلى تقريرات الربوبية، ومن أدلة الإيمان إلى عجز الأديان غير الإسلام عن ضبط معنى الوجود.

وأنتهي بك إلى عرض أشهر ما يحتج به الملحدة من تخيلاتٍ يزعمونها شبهات، وتأتي هذه الجرعات التي تقترب من الستين جرعة على أهم إشكالات المدارس المادية، وقد كتبت بعض هذه الجرعات في مجلاتٍ وكتبٍ متنوعة، فأحببت أن أجمع بينها، وأقدمها للقاريء العربي كوجبةٍ متكاملة بين دفتي كتاب.

فإلى المقصود على بركة الله.

للتواصل مع د.هيثم طلعت

Haithamsrour41@gmail.com

https://www.facebook.com/haitham.srour12

الجرعة الأولى

هل الدين منتج بشري؟

إن مطلب الألوهية مطلب توافرت عليه الفلسفات والنبوات، ودلائله البرهانية ماثلة في الأنفس وفي الآفاق، وبواعثه النفسية مركوزة في العقول وفي الوجدانات: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:٣٠]

لكن هذا المطلب الوجودي الذي لا ينفصل عن الإنسان، يؤرق الملحد ولا يجد له في فلسفته المادية تحليلًا أو تفسيرًا، فيفترض أن نشأة الدين كانت عبر نظرة الإنسان البدائي في صفحة الكون، وعدم معرفته سبب الظاهرة فيقوم بنسبتها إلى خالق غيبي![(١)].

وللإنسان أن يتساءل هنا: كيف يكون النظر في الكون أو ظواهره سببًا في إيقاظ الشعور الديني العميق عند جميع الأُمم؟

ما علاقة حدوث ظاهرة كونية بظهور دين له مراسميه وطقوسه والتزاماته الأولية؟

إن استمرار آية ظاهرة كونية على نسق واحد يجعلها أمرًا مألوفًا، لا يلفت النظر ولا يحتاج إلى تعليل!

بل إننا لو استخدمنا هذا المقياس القاصر الاختزالي في تحليل الأمور، فإن العكس هو الحاصل دومًا؛ فباعث كل الديانات هو روح العظمة والقوة وليس الاستسلام أو الجُبن أو الجهل أو الخوف البدائي!

ومن جهةٍ أُخرى لو كان مبعث العقيدة هو المشاهد الكونية وكان هدف الطقوس هو استرحام الطبيعة؛ لما استمر الناس على التدين بعدما ظهر أنها محاولات عابثة، وبما أن الديانات لم تنقطع يومًا ما، ولم تنفصل عن الجماعة الإنسانية عبر كل التاريخ وعبر كل الجغرافيا، فلابد أن يكون لها منشأ مستقل عن هذا التحليل الاختزالي القاصر الذي يطرحه الملحد!

لكن هل كان باعث الخوف عند الإنسان الأول مبررًا لنشأة الدين كما يقولون؟

---

(١) دوركايم، ونماذج من الحياة الدينية الابتدائية "١٩١٥".

إذا افترضنا هذا التصور فكيف نُفسر عبادة الأحجار والحشرات وأتفه الأشياء التي لا توحي مثل هذا الشعور؟

بل كيف نُفسر داخل هذا الإطار التحليلي للقضية الدينية الفصل التام بين الأمور المقدسة والأمور العادية؟

وكيف يؤسس الخوف البدائي لكل الطقوس والديانات والعبادات؟

بل إن أصل علم النفس يقوم على أن استمرار المُحسَّات على نسق واحد يُضعف باعث التفكير والخوف[١]، لكن الملحد يضرب بهذا الأصل العلمي عرض الحائط، ويقرر أن الدين الذي هو ركن الوجود البشري قائم على هذه الأغلوطة الافتراضية الغير متسقة حتى داخل إطارها الذاتي!

ونظرًا لقصور هذا التصور في تحليل الظاهرة الدينية، فقد افترض دوركايم Émile Durkheim أن المجتمع والجماعة والعلاقات القبلية كانت مصدرًا أصيلاً لنشأة الدين، أضِف إلى ذلك تقديس الأجداد واشتراك العشائر في لقب واحد فيما يُعرف بالطوطم Totem، وهذا الطوطم في الغالب يكون لقب حيواني كانت تتخذه العائلات البدائية لقبًا لها، وتحول الطوطم مع الوقت إلى البذرة الأولى للدين![٢].

لكن أثبتت الدراسات الميدانية التي أجراها روبرت شميث Schmitt للقبائل البدائية، أن هناك أُمم كاملة وحضارات بأكملها وقارات لا تعرف شيئًا عن الطوطم أو الطوطمية ولا يوجد عندهم نظام الألقاب الحيوانية، ومع ذلك توجد عند هؤلاء جميعًا عقيدة الإيمان بالله الأعلى بصورة واضحة[٣].

---

(1) http://www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed/9682527.

(2) The Elementary Forms of the Religious Life analyzes phenomenon.

(3) Andrew Lang: the making of religion. New York 1968.

بل إن أبحاثًا أحدث قام بها لانج lang وفريزر Frazer أثبتت أن الطوطمية منظومة اقتصادية مدنية، وليست دينية كما كان يتخيل دوركايم، وفكرة الدين نشأت بعيدًا تمامًا عن هذه التصورات الساذجة والتحليلات الواهية!

فالطوطم شعار قومي ورمز يُعرِّف القبائل بأنسابها لا أكثر، ويبعث على التعاون والقومية، لكن القبائل كانت أذكى بكثير من أن تعبد تلك الرسوم أو مدلولاتها، بل كان لهم معبود روحي آخر مستقل تمامًا يعتمدون عليه[١].

ولا ننسى أن دوركايم كان له الدور الأكبر في تدليس المعرفة عند الأوربيين خلال عقود طويلة عندما كان يطرح حفلات القبائل البدائية بما فيها من عربدة وارتكاب للمحرمات كمظهر تديني عندهم، إذ ثبت أن هذه الحفلات كانت تمردًا على هيكل الحياة الاجتماعية والدينية للقبيلة وليس العكس، وأصبحت الآن هذه الحقيقة من أشهر تدليسات دوركايم![٢].

فالنظم القبلية في كل المجتمعات تقوم على الفصل التام بين الجنسين؛ إنه لمن السخرية أن يعرض علينا دوركايم ولعقود طويلة هذه الحفلات الماجنة، وهذا المسرح البدائي المتهتك باسم المحراب المُقدس للأديان، بل إنه جعل التمرد على الدين مظهرًا دينيًّا، ومحاولات التمرد والصبيانية الشهوانية معيارًا للدين عند الأولين![٣].

لكن هل الدين بالفعل ظاهرة اجتماعية، هل يمكن تحليل الظاهرة الدينية في هذا الإطار؟

الذي يتفق عليه علماء الاجتماع أن الظاهرة الاجتماعية الحقيقية كما نشاهدها في القوانين والقواعد الاقتصادية ذات وجود خارجي مستقل عن أفراد الجماعة، في حين أن الدين ظاهرة فردية في المقام الأول، ظاهرة داخلية جوانية ذاتية مستقلة، فهي تأتي على العكس تمامًا من الظاهرة الاجتماعية فكيف تقاس هذه بتلك؟[٤].

---

(1) Previous source.

(٢) الدين، د.محمد عبد الله دراز، ص١٤٩، ١٥٠.

(٣) المصدر السابق ص ١٥٦.

(4) "A Redefinition of Social Phenomena: Giving a Basis for Comparative Sociology".

بل إن افتراض أن العقل الجمعي هو الذي يُنشئ الدين يُسوغ لنا هذا الافتراض أن نقول: إن المعدة هي التي تخلق الطعام، وأن البصر هو الذي يُحدث الضياء!

ثم كيف يُنشئ العقل الجمعي الدين؟ هل سمع أحد بديانة ناشئة تحمل تعاليم جديدة، يكون موقف الجماعة منها موقف حمل الأفراد عليها، وإلزامهم بها، هل سمع بهذا أحد من قبل؟

أم أن العكس هو الحاصل، ويكون الموقف المعتاد هو المناهضة لها والمقاومة العنيفة لداعيها، أليس هذا أصل تاريخي مُشاهد ومتكرر يا دعاة التاريخ والتجربة؟

مِن أين جاءت فكرة الإله الأكبر فاطر السماوات والأرض يا دُعاة التحليل المادي، وعلى غرار أي جماعة طُبعت هذه الصورة، وكيف قامت الدعوات لها عبر كل التاريخ وكل الجغرافيا؟

هل عندكم من تحليل واحد مادي لهذه الحقيقية الأولية في الوجود الإنساني؟

إن الذي يقرره علماء تاريخ الأديان أمثال لانج Lange وباسكال Pascal وشميث Schmitt وبروس Bruce وكوبرز Coopers وغيرهم، أن التوحيد وعبادة الله الواحد كانت سابقةً على التعدد وصناعة الآلهة الوثنية[1].

إن التحليل المادي للظاهرة الدينية هو تحليل أجوف قاصر اختزالي إلى أبعد حد!

إن الحقيقة التي يجب أن نُحررها هنا أن الأديان هي التي سارت إلى الإنسان وهي التي نزلت إليه، ولم يصعد هو إليها، وأن الناس لم يعرفوا ربهم بافتراض العقل البدائي وإنما بنور الوحي!

نعم إن الناس لم يكونوا كلهم أوفياء بالوصية المقدسة، لكن هذا التعليم الإلهي لم يُمح أثره محوًا تامًّا من البشرية، ولذلك ظلت فكرة الألوهية والعبادة والتوحيد واختلاط المقدس بالوثني سمة ظاهرة في الحضارات والأُمم.

إن الدين تجربة وجدانية فطرية أولية خالصة؛ بل هو أسبق في العقل من كل الأوليات وهو جماع كل الحقائق الإيجابية وأصل المعرفة وأصل الأخلاق والقيمة والحق والكمال، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن كل خيرٍ في الأرض فمن آثار النبوة»[2].

---

(1) Andrew Lang: the making of religion. New York 1968.

(٢) الصارم المسلول، شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله، ص٢٤٩-٢٥٠.

وقال ابن القيم رحمه الله: «لولا النبوات لم يكن في العالم علم نافع البتة»[١].

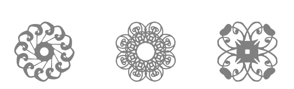
فالدين ضرورة عقلية فطرية وجدانية أولية روحية خالصة!

ولا يُعرف ما الإنسان ولا قيمته، ولا يتم التأسيس لأخلاقياته إلا تحت راية النبوات.

بل إن مَن جحد أن يكون الله تعالى قد أرسل رسله، وأنزل كتبه لم يُقدره حق قدره، ونَسبه إلى ما لا يليق به، وأنه خلق خلقه عبثاً باطلاً، وأنه خلاهم سدًى مهملًا، وهذا ينافي كماله المقدس، فمن أنكر النبوات فما قدره حق قدره، ولا عرَفه حق معرفته، ولا عظَّمه حق عظمته![٢].

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى:١٣].

ومن نافلة القول أن إنكار الدين، يعني في حقيقته افتراض أن الخالق يُطعم ويرزق ولا يحاسب المُكلف، وهذا ينافي كمال عدله وكمال حكمته سبحانه؛ إن الدين حقيقة أولية في النفس الإنسانية لا تحللها حتميات دوركايم الاجتماعية، ولا الرؤية الاختزالية لمجموعة من القبائل البدائية، فالدين جوهر الوجود الإنساني!



(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم رحمه الله، ٢/ ١١٨.

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم رحمه الله، ص٥٧٧.

الجرعة الثانية

دليل مباشر على وجود الخالق سبحانه

هل تعلم أن أي كائن حي قبل ظهوره تتم برمجة جميع وظائفه، ولا معنى للكائن ولا وجود له بدون برمجة مسبقة، ولا معنى للبرمجة بدون تحولها من إشارات ورموز إلى منظومات وظيفية داخل هذا الكائن الحي!

الآن أيها الملحد! إذا أعطيتك كتالوج -كتاب- به كل مواصفاتك وبرمجة كاملة لمنظوماتك الوظيفية " طولك ولون عينيك ووظائف أعضائك، ونوع شعرك وكمية البروتين التي تحتاجها عضلاتك، والقوانين التي تحكم أجهزة جسدك وسرعة النبضة الكهربية في أعصابك، ومعدلات ضخ الدم في قلبك، ومعدلات إفراز الهرمونات في غددك؛ إلى جانب كل ذلك تفصيل دقيق لكل وظائفك الحيوية وطريقة تصنيع كرات دمك وأنظمة الهضم والإخراج والأيض، وكل ما يختص بالوظائف البيولوجية لجسدك.

ويوجد في الكتاب فصل كامل خاص بحالات الطوارئ، مثل التعرض لنزيف حاد والذي يستدعي عمل جلطة تغلق مخارج الدم وانكماش شديد للطحال لضخ الدم المتخزن فيه لتعويض الفاقد، ومنظومة معقدة من عدة مراحل لعمل انكماش في أوعيتك حتى لا يحدث هبوط قاتل لضغط الدم لحظة النزيف.

أيضًا يوجد في الكتاب -الكتالوج- فصل كامل يتعلق بالتجهيزات اللازمة لحظة التعرض لمخاطر كبرى مثل الأوبئة، فالكتاب يحتوي على طريقة تصنيع الجسم الدفاعي G أو IGG الذي يسمى "كتيبة المشاة والمدرعات والمدفعية"، وطريقة تصنيع الجسم الدفاعي A أو IGA صاحب المهام الخاصة، وكل شيء عن التنظيمات الدفاعية التي لن تظهر مهامها إلا لحظات الخطر.

أيضًا الكتالوج يحدد متى تبدأ شرايينك التاجية في الضيق وعقلك في الهذيان وجلدك في التجعد وشعرك في المشيب، ويصف الكتاب بالضبط طريقة حدوث ذلك بمنتهى الدقة.

الكتاب ضخم ويحوي كل شيء عنك.

هذا الكتاب هو محتوى معلوماتي، لاحظ العبارة.

الكتاب محتوى معلوماتي يخزن معلوماتك كلها.

أضف إلى ذلك؛ أن هذه المعلومات توجد بنظام "ترميز" coding وحين يتم فك الترميز decode تظهر المعلومات السابقة.

الآن هذا الكتاب هل يشك عاقل أو بهيمة أو جماد في أن واضعه موجود وعاقل وقادر وعليم وحكيم؟

أما علمت يا زميلنا الملحد! أن جميع الكائنات على وجه الأرض يسبق ظهورها كتاب – كتالوج– توجد به معلومات ظهورها مشفرة وتم ترميزها مسبقًا داخل هذا الكتاب– الكتالوج–، وهذا شرط أي كائن حي على الإطلاق.

ونظام التشفير يوجد داخل جينوم أي كائن حي على وجه الارض، فلا يخلو كائن حي من جينوم تُشفر داخله معلوماته، ولا معنى للكائن بدون نظام تشفير مُسبق.

وهذه القضية هي التي جعلت فرانسيس كولينز الملحد مدير مشروع الجينوم البشري أن يتدبر ثم يعترف بالخالق القدير العليم ويضع كتابه لغة الإله The Language of God.

وأول كائن على وجه الارض على الإطلاق– السيانوباكتريا– طبقًا للداروينية نفسها، توجد معلوماته مشفرة داخل الجينوم الخاص به منذ البدء، ولا معنى للكائن أصلاً بلا تشفير مسبق للمعلومات التي سيحتاجها.

والجينوم – الكتاب– الخاص بالإنسان يملأ ١٠٠٠ مجلد بواقع ٥٠٠ صفحة لكل مجلد – ٣ مليار حرف – كلها موجودة في مساحة ١ على ١٠٠٠ من المليمتر مُلتف على نفسه ١٠٠ ألف لفة داخل نواة الخلية.

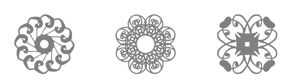
والجينوم الذي في حجم رأس الدبوس يحمل معلومات تفوق في سعتها بليون مرة فلاشة ٤ جيجا.

وجميع المعلومات داخل هذا الكتاب مُشفرة بنظام تشفير رباعي C G T A.

واضع المعلومات الرقمية- ٣ بليون معلومة بمنتهى الضبط والدقة-، التي ستُستخدم لاحقًا، خالق عليم قدير، هل هذه المعلومة بحاجة إلى ضبط عقلي لتحريرها؟

فسبحان الخالق الحكيم العليم القادر المصور ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٤].

هل ما زلت تجادل في خالقك يا زميلنا الملحد؟ ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف:٥٤].



الجرعة الثالثة

صدفوية نشأة الكون والسببية

أصل العلم الحديث يقوم على العلاقة بين السبب والمؤثر، فرصد الذرات يتم عبر إثبات أثرها ودلائل وجودها، ورصد القوانين يتم عبر الاستدلال بأثرها، ورصد الجاذبية هو رصد لأثرها وليس رصد للجاذبية ذاتها فنحن إلى اليوم لم نرصد جسيم جاذبية واحد graviton ومع ذلك نُسلم يقينًا بوجود الجاذبية، بل كل علوم المايكرو تقوم على رصد الأثر، فلا يوجد شيء في العلم الميكروي يسمى مثلًا مشاهدة الإلكترون، وإنما رصد أثره!

وهنا شاهدان؛

الشاهد الأول: أن السببية أصل العلم وأقوى من البرهان والقانون، فالذي ينكر السببية لمجرد مخالفتها لعقيدته الإلحادية فهو معاند لبديهة عقلية مستقرة في عقول جميع البشر منذ اللحظة الجنينية-إذ ثبت أن الجنين يؤمن بالسببية وهو ما زال في بطن أمه ولو ضغط الطبيب على رحم الأم أثناء الفحص يعطي الجنين رد فعل حسب مكان الضغط وحسب التأثير فهو يؤمن بوجود سبب ومُسبب-.

الشاهد الثاني: أن الاستدلال بالأثر هو استدلال علمي منطقي يقبله العقل ويقوم بمنزلة البرهان على وجود المؤثر.

والآن لدينا كون مخلوق بمعايرة دقيقة للغاية fine-tuned من اللازمان واللامكان إلى المكان والزمان مع أن قانون العلم يقول بحفظ الطاقة وأن الطاقة لا تُستحدث من العدم، لكن نحن أمام طاقة هائلة أستُحدثت من العدم في لحظة واحدة- فكل طاقة الكون وكل مادة الكون ظهرت في جزء أقل من مليار مليار مليار جزء من الثانية-، ألا يدل ذلك على مُحدث وخالق وصانع، أليست هذه بديهة لا يجد العقل لها ردًّا؟

أما القول بالصدفة فهو جهل بأصول الاحتمالات؛ لأن الصدفة لها شرطان لا ينفكان عنها، وهما: الزمان والوجود، فالصدفة تشترط زمان تقوم فيه بإحداث أثرها، وتشترط وجود مادي مكاني تقوم عليه ليُنتج مفعولها، فكيف نقول بدور الصدفة في إيجاد الكون، مع أن كوننا جاء من

اللازمان واللامكان؟ كيف يظهر أثر الصدفة دون ظهور الصدفة نفسها؟ كيف تُعطي الصدفة أثرًا قبل وجودها ووجود الزمان ووجود المكان اللذان هما شرطا الصدفة الأساسيان؟

أيضًا للصدفة أركان لا تنفك عنها، مثل:

أولاً: العشوائية؛ لكن كوننا مخلوق بمعايرة دقيقة للغاية فيما يعرف بالحد الحرج fine-tuned فالكون وُجد بآلاف الثوابت الفيزيائية التي لو اختل واحد منها بمقدار ضئيل للغاية لما ظهر للوجود معنى.

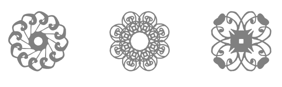
ثانيًا: اللامعنى؛ بينما المعنى هو الأصل في كل حركة وفعل على الأقل بالنسبة للإنسان الذي يستوعب ذاته، إذ لو لم يكن للوجود معنى فلا معنى للاغتصاب وسيبدو مجرد حركات ديناميكية وانثناء أربطة وشد أوتار لا أكثر!

ثالثًا: اللاقيمة؛ بينما كلنا يبتغي القيمة وتوجهه القيمة حتى الملحد يكرز–يبشر –بكهنوته الإلحادي منطلقًا من وجود قيمة لتكريزه وهدف مرجو منها.

رابعًا: اللاغاية؛ بينما لكل فعل غاية ولو لم يكن لوجودنا غاية، لما كان السعي لإنقاذ الفتاة المُغتصبة في المثال السابق معنى!

خامسًا: اللامعيارية؛ فمعيارية الأخلاق مثلًا مهما صنعها الإنسان أو المجتمع لن تخرج خارج الإطار المادي المنفعي المصلحي، بينما الأخلاق لا مادية، ولو رأى مجموعة من الشباب الفتاة في المثال السابق تُغتصب، وعلموا أن إنقاذهم لتلك الفتاة قد يؤدي إلى مقتلهم، وقاموا بإنقاذها، فهؤلاء في عُرف الإنسانية أبطال يجب أن يُكرموا، بينما ماديًّا لا معنى لتصرفهم بل هو تصرف ضد المادة وضد المصلحة الشخصية وهو تصرف غير مقبول، وهذا يؤكد لامادية الأخلاق، وانفصال معنى الإنسان عن هذا العالم المادي، وقيمة الفعل الإنساني وغائية تصرفه ومعنى وجوده؛ وأنه يستمد معناه وقيمته من عالم آخر، وبالتالي هذا مثال على الأقل يوضح مفارقة الإنسان بمفاهيمه وقيمه ومبادئه وأخلاقياته للعالم المادي المجرد، فيؤكد وجود المعنى والقيمة والهدف والغاية، – إذ كيف يستطيع كون خالٍ من الغائية أن يخلق إنسان تُحركه الغائية والهدف؟ بل إنه لا يشذ عن الإيمان بغائية التصرف الإنساني إلا الملحد.

إذن ما سبق دلائل مباشرة تدل على وجود الخالق القادر الحكيم الصانع المدبر خالق هذا الوجود، وتدل على معنى وجود الإنسان وغائية وجوده، وقيمة كل أفعاله، وسفاهة القول بالصدفة.



الجرعة الرابعة

كارثية القول بالصدفة، والقول بأزلية العالم

القول بصدفوية الظهور المفاجئ لوجودنا كما حرّرنا في الجرعة السابقة، يعد كارثة من وجهين:

١) الصدفة تفتقر إلى الزمن، والذي يفتقر إلى شيء يأتي بعده، وبالتالي الصدفة جاءت تالية للزمن؛ لأن الزمن شرط وجودها، وكوننا ظهر من اللازمن، أي من اللاصدفة.

٢) الصدفة بدورها تفتقر إلى المادة التي ستطبق نفسها عليها، فالمادة سابقة على الصدفة لأن شرط وجود الشيء سابق عليه، فكيف يُفسر ظهور مادة الكون بالصدفة مع أن الصدفة لن تظهر إلا بعد ظهور مادة الكون، والكون كله ظهر من اللامكان أصلاً؟!!

إذن فظهور المادة إما أن يُفسَّر بالصدفة وهذا باطل لأن المادة شرط لوجود الصدفة، كما أن زهر النرد شرط لعامل الصدفة في لعبة النرد، والصدفة تفتقر إلى عامل الزمن وحقيقة الزمن لا تخرج عن جنس المادة، فالمادة شرط لوجود شرط وجود الصدفة، وبالتالي فالصدفة لا تفسر وجود المادة.

فمطلق وجود المادة هو أصل لتصور الزمن الذي هو أصل لتصور وجود الصدفة(١).

لكن هنا قد يدعي الملحد أن المادة مادة لا تفتقر إلى تفسير، وسنظل ندعم أزليتها وتسلسلها اللانهائي؛ لكن هذه كارثة من ثلاثة أوجه وليس وجهين:

١) إننا قلنا في حق الخالق نفس هذا الكلام من أنه لا يفتقر إلى تفسير، فأنكرتموه وأبيتم، إذن كان هذا محض تحكم لا أكثر ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم:٤٢].

٢) قبولكم لمبدأ عدم التفسير في وجود الكون ورضوخكم له، هو قبول لمبدأ يخالف أصلكم العظيم الذي يقضي بأنه ما من شيء إلا يمكن تفسيره، وأن القوة التفسيرية

(١) وحي كتاب - ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان، د. عبد الله بن سعيد الشهري، مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى١٤.

تبلغ ذروتها وتكمل إحاطتها في نظرية كل شيء TOE.

٣) أما قولكم بالأزلية والتسلسل اللانهائي فهذا لعنة anathema على العلم الطبيعي؛ لأنه يقضي على أي أمل في تفسير العالم، وهذا يعني أنكم بدوغمائيتكم الإلحادية تقضون على كل علم وفكر[١].

فالذي يقضي بالأزلية يقضي بلا غائية العلم الطبيعي وعبثية سعيه، ولذا يقول لودفيغ فتغنشتاين Ludwig Wittgenstein: " معنى العالم لابد أن يقع خارج العالم، في داخل العالم كل شيء على ما هو عليه، ويقع كما يقع، في داخله لا يوجد قيمة، وإن وجدت فستكون بلا قيمة – لأنها غير مُفسرة تفسير كامل– فعندما تكون هناك قيمة لابد أن تقع خارج نطاق الحوادث ووجود الأشياء في ذواتها، فلابد في النهاية أن يقع خارج العالم"[٢].

فما بالنا ومظاهر التصميم أظهر في ظواهرها من كل شيء.

وفي واقع الأمر فلعبة أزلية الكون قد انتهت تمامًا، فبداية الكون في الزمان والمكان صارت الآن حقيقة علمية، يكاد يُجمع عليها المجتمع العلمي كله، ولم يعد يُنادي بأزلية الكون إلا الملحد.

ولم يعد لفرضية أزلية الكون أي سند علمي أو تجريبي أو رصدي، بل كل الرصد العلمي يتجه نحو الإقرار ببداية الكون من اللازمان واللامكان، وهذا أمر بطبيعته يقلِق أي ملحد بسبب لوازمه اللاهوتية.

ولا أكاد أعرف الآن مَن يدعم أزلية الكون إلا الملحدين، وهنا يتجلى الصراع بين العلم والكهنوت الإلحادي، الصراع بين المعطيات العلمية والدوغما الإلحادية، وللأسف الشديد لن يتقبل الملحد ببساطة أن يتنازل عن أي أصل من أصول إلحاده مهما ارتفعت وثوقية العلم ووثوقية الأدلة التي يحملها؛ لأن القضية دين إلحادي كهنوتي وثني دوغمائي يتشربه قلب الملحد ويصير مع الوقت إيمانًا ودينًا يكرز– يُبشر– له الملحد ويدعو إليه.

---

(١) المصدر السابق.

(2) Wittganstein, L., Tractatus Logico-Philosophicus, p.183.

ولا أكاد أُحاور مُلحدًا إلا وأجد عنده رصيدًا من النزوع نحو القول بأزلية الوجود، مع أن هذا أمر لم يثبت علميًّا بأي شكل من الأشكال ولا صورة من الصور، لكنه الدين الإلحادي الجديد.

ولذا اعترف الفيزيائي الملحد [ستيفن واينبرج] Steven Weinberg، أنه كان يتمنى نظرية الكون الثابت الأزلي؛ لأنها أكثر جاذبية، وأبعد عمَّا نادت به الأديان(١).

لكن أُمنيات ستيفن واينبرج اصطدمت أول ما اصطدمت بحائط العلم نفسه، ولم يعد لها مكان داخل العلم المادي، يقول الفيزيائي البريطاني [دينيس شياما] DENNIS SCAIMA: "لم أُدافع عن نظرية الكون المُستقر لكونها صحيحة، بل لرغبتي في كونها صحيحة، ولكن بعد أن تراكمت الأدلة تبين لنا أن اللعبة قد انتهت"(٢).

فاللعبة قد انتهت فعلًا، وبذلك يعترف[أنتوني فلو] Antony Flew فيلسوف الإلحاد في القرن العشرين قائلًا: "يقولون إن الاعتراف يفيد الإنسان من الناحية النفسية، وأنا سأُدلي باعترافي.. إن نموذج بداية الكون شيء محرج جدًّا بالنسبة للملحدين، ذلك لأن العلم أثبت فكرة طالما دافعت عنها الكتب الدينية"(٣).

وبعد كل هذا سيظل الكهنوت الإلحادي هو المسيطر، والدوغما الإلحادية هي الصوت الأعلى رغم العلم ورغم الرصد، إن الأمر عندهم دين.



---

(١) عالم داخل العالم. نيل توروك. ص ٢٢٦.

(2) Introduction.The Unity of the Universe. N.Y., Doubleday.Dennis William Sciama..introduction.

(3) Henry Margentau, Roy A. Vargesse. Cosmos, Bios, Theos. La Salle IL: Open Court Publishing, 1992, 241.

الجرعة الخامسة

المعايرة الدقيقة للكون

Fine-tuning of universe

ظهر الكون إلى الوجود بمعايرة دقيقة لآلاف الثوابت الفيزيائية والطبيعية، والتي لو اختل ثابت منها بمقدار جزء من مليار مليار مليار جزء لاختل الكون قبل أن يبدأ أو لتوقف عند مرحلة البيضة الكونية cosmic egg.

يقول الفيزيائي الشهير ستيفن هاوكنج Stephen Hawking في كتابه "موجز تاريخ الزمن" صفحة ١٢١: " إن سرعة توسع الكون سرعة حرجة جدًّا إلى درجة أنها لو كانت في الثانية الأولى من ظهور الكون أقل من جزء من مليون في مليـار جزء؛ لانهار الكون حول نفسه قبل أن يصل إلى وضعه الحالي".

وكل الثوابت الفيزيائية ظهرت في نفس اللحظة بنفس المعايرة الدقيقة والضبط الحرج فمثلاً:

١- كتلة الإلكترون Electron mass تمثل ٠,٢٪ من كتلة النيوترون Neutron mass، وهذه هي الكتلة القياسية لتكوين الذرَّة.

٢- ولو كانت كُتلة البروتون Proton أثقل مما هي عليه الآن بـ٠,٢٪ فقط، فإنه سينحلُّ إلى نيوترونات Neutrons، وبالتالي سيعجز عن الإمساك بالإلكترونات التي تدور حول النواة وسينهار النموذج الذري، ولو كانت النسبة بين كتلة البروتون إلى كتلة الإلكترون أقل قليلًا مما هي عليه الآن، فلن تظهر نجومٌ مستقرّة، ولو كانت أعلى قليلًا مما هي عليه الآن فلن تظهر الأنظمة التشفيرية في خلايا الكائنات الحية DNA – لأن الأنظمة التشفيرية تعتمد على توازن ذرات الكربون التي تُشكِّل القواعد النيتروجينية في أنظمة التشفير، وذرات الكربون تحتاج إلى توازن كتلة البروتون مع كتلة الإلكترون حتى يصبح الكربون ذرة مستقرة –.. وبالتالي لن يظهر الكائن الحي.

٣- عندما تلتحم ذرتان من الهيدروجين فإن ٠,٧ ٪ من كتلة الهيدروجين تتحول إلى

طاقة، لو كانت هذه الكتلة هي ٦ , ٠٪ بدلا من ٧ , ٠٪، فإن البروتون لن يلتحم بالنيوترون، ولظل الكون مجرد هيدروجين فحسب، ولما ظهرت باقي العناصر، ولو كانت الكُتلة المتحوّلة إلى طاقة هي ٨ , ٠٪ بدلاً من ٧ , ٠٪،لأصبح الالتحام سريعاً للغاية، الأمر الذي سيؤدي إلى اختفاء الهيدروجين فورًا من الكون، فتستحيل معه الحياة، فالرقم يلزم أن يكون بين ٦ , ٠٪ و ٨ , ٠٪.

٤- النسبة بين القوى الكهرومغناطيسية والجاذبية هي ١ : ١٠ أس ٤٠، وهو فرق شاسع لا يمكن استيعابه، كذلك الفرق بين القوى النووية القوية والقوى الجاذبية، هو أيضًا فرق مهول للغاية، ولو افترضنا أن الأرض التي تجذب الإنسان بقوى الجاذبيّة، قامت بجذبه بالقوى النووية القوية، فإن وزن الإنسان على الأرض سيُعادل مائة مليون نجم!

لكن السؤال الآن: ما الذي يجعل القوى الجاذبية بهذا الضعف الشديد، والقوى النووية القوية بهذه القوة الشديدة؟ مع أن هذا الفارق الرهيب في موازين القوى ليس من شروط ظهور الجسيمات الأُولى، ولا من مُعطياتها..!! إنه الإعداد الإلهي بالعناية الفائقة.

٥- يقول [ماكس تيجمارك] Max Tegmark عالم الكونيات الأمريكي: " إذا كانت القوى الكهرومغناطيسية أضعف مما هي عليه بـ٤٪ فقط، لانفجرت الشمس فور تكونها، وستصبح نفس النتيجة إذا زادت القوة الكهرومغناطيسية عما هي عليه، إن ثوابت الطبيعة تبدو مُعدَّة بعناية عند مستوًى ما، وإذا كانت القوى النوويّة الضعيفة أقل مما هي عليه الآن لن يتكون الهيدروجين، وبالتالي سيظل الكون مجرد غبار كوني، وإذا كانت أقوى قليلًا فإن جسيمات النيوترينو neutrinos ستعجز عن مغادرة المستعرات العملاقة – السوبرنوفا Supernova– وبالتالي لن تنتقل العناصر اللازمة للحياة خارج المستعرات العملاقة – النجوم المُنفجرة –"[1].

٦- قوى الجاذبية لو كانت أقوى قليلًا مما هي عليه الآن لما استغرقت حياة الشمس التي ستتكون بعد ذلك أكثر من عشرة آلاف سنة. فهذا ضبط غير قابل للاختزال أو

---

(1) space.mit.edu/home/tegmark/multiverse.pdf.

للتأجيل، فسبحان بديع السماوات والأرض.!!

ولذا يرى [ليونارد سوسكايند] أستاذ الفيزياء النظرية بجامعة ستافورد والمؤسس لنظرية الأوتار الفائقة أن مُعطياتنا عن الثوابت الكونية – مثل النسبة بين الإلكترون والبروتون –، تقف كلها على حافة سكين وكلها مُستقلة عن بعضها البعض، وفي الوقت نفسه تتلاقى لتسمح فقط بإحداث الحياة، وتغيُّرُ أيِّ مُعطى من هذه المعطيات التي نشأت مستقلة لم يكن يسمح لها بالتلاقي فضلًا عن إمكانية إيجاد حياة أو حتى منظومة كونية[١].

ولو افترضنا للحظة أننا نرغب مثلًا في رؤية الذرات الموجودة داخل رأس دبوس صغير فإننا بحاجة إلى تكبير رأس الدبوس بحيث يصير بحجم الكرة الأرضية، وفي تلك الحالة لن يتجاوز حجم الذرَّة كرة قدم صغيرة.. لماذ الذرات بهذا الحجم المدهش؟

إذا افترضنا أننا نرغب في رؤية النواة داخل الذرَّة فإننا بحاجة لتكبير كُرة القدم السابقة لتصير بحجم ملعب كرة قدم كبير وفي تلك اللحظة فلن يتجاوز حجم نواة الذرة حبة غُبار صغيرة للغاية.. فحجم نواة الذرَّة يساوي جُزءًا من عشرة بلايين جُزء من حجم الذرَّة.. ومع ذلك توجد كُتلة الذرة كلها في النواة ٥ , ٩٩٪

والآن التساؤل الهام: كيف تكون كتلة ملعب عملاق كلها موجودة فقط في حبة غُبار منه والباقي فراغ تـام؟

إن هذا النظام الذري بهذا الشكل وهذا التوازن بين كتلة النواة في مقابل حجمها داخل الذرة هو النظام الوحيد الذي يسمح بتشكيل الكون وبحدوث التفاعلات الفيزيائية.

فهذا الأمر لا يُمكن استيعاب حدوثه بالصُّدفة أو الخبط العشوائي إنه تدبيرُ وإحكامُ وعجيبُ صُنْعِهِ، ولذا يأمر الله سبحانه باستمرار بتدبر آيات خلقه وشواهد قدرته!

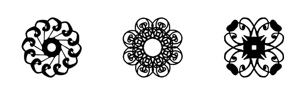
وهكذا آلاف الثوابت الكونية في كوننا والتي جاءت بمنتهى المعايرة الدقيقة والضبط بحيث تتيح كل صور الحياة والاتزان حولنا، وكل ثابت منها يمثل معجزة بحد ذاته وأروع هذه الثوابت هو الثابت الكوني Cosmological constant الذي لو اختلفت قيمته بأقل من جزء من

---

(1) http://www.edge.org/3rd_culture/smolin_susskind04/smolin_susskind.html.

صفر يليه ١٢٣ صفر ثم ١ من الواحد لانهار الكون بأكمله، وغيرها من الثوابت الشيء الكثير مثل درجة غليان الماء، ومثل كتلة البروتون ومثل حجم النواة ومثل حجم الذرة و..، إنها معايرة دقيقة وضبط بعناية وإلا ما ظهر الكون، إذن الخلق لابد أن يستتبعه إعداد بعناية fine tuning of the universe وهذه الكلمة fine tuning of the universe دخلت إلى الفيزياء عن طريق الفيزياء وليس عن طريق الدين .

هذا هو الإشكال الحقيقي الذي يفرض نفسه على الملحد من ضمن آلاف القرائن والأدلة التي تثبت روعة الخلق وضبط الصنع، ولا يبقى إلا شكر المنعم أو تجاهل القضية وتمضيتها عبث في عبث.



الجرعة السادسة

الأكوان المتعددة

أمام إشكال المعايرة الدقيقة للكون fine-tuning of universe، أو الشروط الأولية التي ترافقت مع ظهور الكون، افترض الملاحدة وجود أكوان متعددة لا نهاية لها ظهر كوننا من بينها بقانون الاحتمالات وهذه مغالطة تحتوي على عشرات الأخطاء العلمية والمعرفية والعقلية والمنطقية، لكنها الحل الوحيد المتاح!

يعترف ريتشارد داوكنز في حواره مع ستيفن واينبرج على موقعه الرسمي، فيقول: " إذا اكتشفت هذا الكون المدهش المعد فعليًّا بعناية.. أعتقد ليس أمامك إلا تفسيران اثنان.. إما خالق عظيم أو أكوان متعددة".

If you discovered a really impressive fine-tuning... I think you'd really be left with only two explanations: a benevolent designer or a multiverse.

VOICES OF SCIENCE...Richard-Dawkins-Steven-Weinberg-Lawrence-Krauss-PZ-Myers-David-Buss

وردًا على خرافة الأكوان المتعددة نقول:

أولًا: افتراض وجود أكوان متعددة هو فرض ميتافيزيقي لا يدعمه دليل إمبريقي أو تجريبي أو ميثودلوجي واحد!

وكون عقل الملحد يدعم هذا القول بل ويقوم باستخدامه؛ فهذا معناه أن العقل يدعم الفرض الميتافيزيقي ولا يستبعده من الحساب العقلي، إذن عقولنا مُهيأة لاستيعاب الماورائيات، إذن لا مانع من قبول فكرة الميتافيزيقيا عمومًا، وإنما يعترض الملحد على نسبتها إلى الخالق تحديدًا!!!

فمشكلة الملحد مع الخالق تحديدًا وليست مع المعطيات أو مع تركيبة عقله!!

ثانيًا: يستحيل إمبريقيًّا –تجريبيًّا- إثبات أكوان قبل كوننا، أو أكوان مع كوننا؛ لأن هذا الأمر رصديًّا يكسر حاجز أُفق الجسيم particle horizon وهذا أمر ممنوع فيزيائيًّا.

<u>ثالثًا</u>: الرياضيات التجريدية لا تسمح بوجود كون آخر مع كوننا أو كون آخر قبل كوننا؛ لأن وجود أكثر من كون سيتبع نفس main Hamiltonian وهذا ممنوع رياضيًّا طبقًا للـ orthagonality theorm.

<u>رابعًا</u>: وجود أو عدم وجود أكوان أُخرى لا يجيب عن السؤال، ولا يُفسر المعايرة الدقيقة لكوننا، المشكلة أن الملحد في رده هذا يتصور أن كوننا هذا مثل النرد – الزهر- الذي رُمي بلايين المرات- ولا ندري مَن الذي يرمي النرد في كل مرة-، المهم أنهم يتصورون أنه من البساطة بمكان أن يأتي كون واحد من بعد بلايين الرميات العشوائية بشكل منظم وبتوليف دقيق كامل لثوابته الفيزيائية، والخطأ هنا أنهم يتصورون أن ذلك التوليف الدقيق المدهش هو مثل أن يأتي رمي ألف زهر متتابع ويأتون جميعهم بالرقم ٦ مثلًا، المهم أن بلايين الرميات تأتي كل مرة بتوليفة دقيقة تسمح بوجود ثوابت كونية مدهشة، والمشكلة الأُخرى ثبات هذه التوليفات والحفاظ على باقي التوليفات الصحيحة، فكل ثابت من الثوابت الكونية هو توليفة دقيقة من بلايين الرميات، وليست القضية في التوليفات فحسب بل بقاء هذه التوليفات، ودقة هذه التوليفات.

وفكرة الأكوان المتعددة هي فكرة نتجت لحل معضلة الإعداد المسبق لكوننا بعناية fine tuning of the universe فهي كحل تفترض أن هناك تريليونات تريليونات تريليونات الأكوان الأخرى ١٠ أس ٥٠٠ كون طبقا لستيفن هاوكنج في كتابه الأخير – التصميم العظيم – لكن في الواقع نحن لم نشهد أي كون آخر غير كوننا فضلًا عن تريليونات تريليونات تريليونات الأكوان الأخرى.

ثم إن هذا لا يحل مشكلة التصميم المسبق بعناية لكوننا بل ربما مع الوقت يطرح تساؤلات فلسفية أعمق مع تقدم علوم الفيزياء.

وللمرء أن يتساءل: لماذا الإقدام على فرضية غاية في الغرابة والدهشة والبعد عن التجريب والاختبار واليأس التام في الرصد كتلك الفرضية، فقط لمجرد الهروب من معطيات كوننا التي تطرح تساؤلات فلسفية عميقة؟

يرى علماء الكونيات الداعمين لتلك الفكرة من أمثال ليونارد سوسكايند أن رصد كون آخر هو مستحيل علميًّا ومنطقيًّا، والسبب في ذلك يرجع كما قلنا لما يُعرف بأُفق الجسيم the particle horizon وهو أقصى مسافة من تلك الجسيمات التي تحمل المعلومات والتي ما أن تصل للراصد يكون عمر الكون قد انتهى منذ مليارات السنوات الضوئية، وأي كون آخر حتمًا هو خارج أُفق الجسيم the particle horizon.

وبما أن فرضية الأكوان المتعددة طبقا لأفق الجسيم يستحيل رصدها أو حتى اختبار وجودها فإنها تخرج خارج دائرة العلم المادي النظري – لأن حجر الزاوية في العلم هو الرصد والاختبار والتجربة – وتتحول إلى فرضية فلسفية لا تخرج خارج هذا الإطار.

ولذا يقول عالم الكونيات جورج إليس cosmologist George Ellis: إن فرضية الأكوان المتعددة ليست من العلوم، ولا توجد داخل دائرة العلم وإنما في إطار الفلسفة.

ويبدو أنه كما قال أرسطو قديمًا أن: الذي ينكر الميتافيزيقيا هو أيضًا يتفلسف ميتافيزيقيًّا.

ثم إننا بحاجة إلى رصد كون يختلف عنّا في قوانين فيزيائة وقاصر في معطياته، حتى نفخر بكوننا وأنه الكون المميز وهذا يطرح إشكالات أعمق بكثير إذ لابد من التصميم الدقيق لكل كون قبل خروج هذه الأكوان بكل هذه المعطيات ففي كتابه التصميم العظيم يقرر ستيفن هاوكنج أن فكرة الأكوان المتعددة هي فكرة مزعجة للغاية.

فعملية إبداع أكوان متعددة عملية مدهشة للغاية وتحتاج إلى قوانينها الخاصة هي الأخرى، وثوابتها الفيزيائية الخاصة التي ربما تفوق في دهشتها وعظمتها ثوابتنا تريليونات تريليونات تريليونات المرات، وهل لهذه الأكوان المتعددة كون " أُم"، ثم مِن أين أتى هذا الكون الأُم؟ وبالتالي ربما نكتشف أن الذين افترضوا أكوان متعددة سيجابَهون يومًا ما بإلزامات ماورائية أعظم بكثير مما لو كانوا تخلو عن تلك الفكرة... إننا ننتقل خطوة ما ورائية أعلى بالقول بأكوان متعددة.

إذن الأكوان المتعددة لم تحل مشكلة الإعداد بعناية بل طرحت مشكلة الإعداد بعناية لكن على أبعاد أخرى ربما لا يجرؤ العقل البشري على استيعابها في الأمد المنظور.

ثم إن معادلات النظرية M والتي اعتمدها ستيفن هاوكنج في كتابه الأخير تفترض خمس نهايات –معادلات– مختلفة تمامًا، والخمس معادلات بنفس الدرجة من القوة وكل معادلة

تنتهي بملايين الطرق المختلفة.

يقول ستيفن هاوكنج في كتابه الأخير –التصميم العظيم ص١٧٤– ما يلي:

In addition to the question of dimensions, string theory suffered from another awkward issue: There appeared to be at least five different theories and millions of ways the extra dimensions could be curled up

String theorists are now convinced that the five different string theories and supergravity are just different approximations to a more fundamental theory, each valid in different situations[1].

ولذا يعترف هاوكنج أننا حتى الآن نحاول أن نفك ألغاز النظرية إم ولكن يبدو أن هذا مستحيل:

People are still trying to decipher the nature of M-theory, but that may not be possible.p.175

أيضًا هذه الطريقة الفلسفية – الأكوان المتعددة– للهروب من مُشكلة المعايرة الدقيقة للكون تناقض شفرة أوكام Occam's razor، فطبقا لشفرة أوكام فإن أبسط التحليلات لمشكلة معقدة هي الصحيحة، وينبغي اختيار أبسط نظرية تناسب حقائق المعضلة، لكن هؤلاء الفيزيائيون يختارون أعقد نظرية إنهم يختارون ١٠ أس٥٠٠ كون وخمس معادلات صحيحة وملايين الطرق لكل معادلة، كل هذا حتى يتسنى لهم أمام هذه التريليونات تريليونات تريليونات الأكوان أن يفترضوا صدفوية نشأة كون مميز للغاية ككوننا.

الخلاصة:

لقد سقطت المقولات الإلحادية القديمة التي كانت تقول أن الكون كاف نفسه بنفسه، واحتاج الملاحدة أنفسهم للخروج خارج الكون للبحث عن أكوان متعددة، للخروج من مأزق

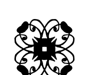
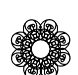
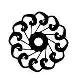
(1) That more fundamental theory is called M-theory p.174.

الثوابت الكونية التي هم أنفسهم أطلقوا عليها الثوابت المُعدة بعناية fine-tuning.

والآن: وبعد أن تبين أنه لا يوجد حل عملي أو فيزيائي مقنع للثوابت الكونية التي نحيا في ظلالها وعلى روافدها، لم يعد أمام هؤلاء مناص مادي أو فيزيائي أو عقلي من التسليم بالخالق العظيم الذي أتقن كل شيء، وجاء به على أروع صورة تدهش كل عالم فيزيائي يبحث في الكون ويُسلم بعظمة الخلق وروعة الإبداع وذهول الثوابت الفيزيائية.. ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٨٨]، فسبحانه ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠]، سبحانه الذي أحسن كل شيء خلقه وجاء به على أروع صورة ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة:٧].

وهو سبحانه الذي أمرنا أمرًا مباشرًا أن نتفكر في آلائه وعظمة خلقه وكيف بدأ الخلق ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت:٢٠].

لقد سرنا ونظرنا كيف بدأ الخلق، ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ فهو الذي علَّمنا كيف نشكر الله، فالحمد لله رب العالمين.

الجرعة السابعة

الحياة

الوقت المنصرم منذ نشأة الكون إلى وقتنا الحالي غير كافٍ لنشأة عُضية واحدة من مئات العُضيات الموجودة داخل السيانو باكتريا Cyanobacteria أول الكائنات على وجه الأرض على الإطلاق،" فالسيانو باكتريا أول كائن ظهر على وجه الأرض طبقًا للداروينية لأنه لو لم يظهر هو لما ظهر أي كائن آخر فهو مصدر الأوكسجين الذي سمح لبقية الكائنات بالظهور". والعُضية الواحدة من عضيات السيانوباكتريا بها تشفير معلوماتي داخل الشريط الوراثي يتجاوز ١٥٠٠ بت أو حرف- والبِت هي وحدة تشفير – لو ظهرت بِت واحدة مكان أُخرى ما نشأت السيانو باكتريا ولا قامت بوظيفتها، وهذا يعني ١٥٠٠ حرف بمنتهى التنسيق والضبط، في حين أن عمر الكون كله لا يسمح إلا بظهور ٣٤ بت بحساب نظرية الاحتمالات، لأنه قد مضى منذ الانفجار الكبير ١٠ أس ١٧ ثانية فقط وهي تعادل ١٤ مليار سنة، و٣٤ بت تحتاج إلى ١٠ أس ١٧ ثانية من أجل الوصول إلى الترتيب الصحيح وهو عمر الكون- هذا في حال افترضنا أن هناك بتِ جديدة تضاف كل ثانية-.

لكن عضية واحدة من مئات العضيات التي تعمل معًا داخل السيانوباكتريا تحتاج كحد أدنى ١٠ أس ٧٥٠ ثانية لتشكيل ١٥٠٠ بت وهو ما يعني مليارات مليارات أضعاف عمر الكون.

أمام هذه المعضلة افترض الملحد ريتشارد داوكينز بصحبة برنامج ريتشارد هارديسون أن هناك برنامج سيحتفظ بالحروف الجديدة الصحيحة- البتات الصحيحة- ثم يبني عليها بعشوائية وهكذا إلى أن يصل إلى الحرف الجديد الصحيح حتى تكتمل ١٥٠٠ بتِ الأولى في أول عضية من عضيات السيانو باكتريا.

لكن لم يقل لنا عبقري كل الأزمنة وفلتة العقلاء، ماذا سيحدث لو تم الاحتفاظ بحرف خاطئ؟ ألا يعني ذلك توقف التجربة لأن العضية لن تتشكل وستهلك السيانوباكتريا فورًا؟

ولم يقل لنا ما هي الآلية التي ستعيد الحروف مرةً أخرى؟

وكيف نسي العلامة أن برنامج الكمبيوتر يحتاج لوعي وتصميم وإرادة وصنع وضبط

ومعايرة دقيقة، فلماذا اشترط ذلك في تجربته ورفض أن ينسبه للخالق في بيئة الأرض الأولى؟

بل إن ظهور الشيء لا يعني دوام استمراره فما معنى تشكيل عشر بتات؟ ما الذي يضمن استمراريتهم أو وجود معنى لهم أصلًا، وما قيمتهم الوظيفية حتى تحتفظ بهم السيانوباكتريا التي لم تتشكل بعد، وكيف تتحول بتات ملتصقة إلى وظيفة حياتية تخصصية داخل كائن آخر؟

ثم ألا تدل آلية خلق الحياة إلى خالق يعجز كل جهابذة الأرض عن محاكاة أبسط حياة ثم يفترضون ظهورها بالصدفة في كل مكان؟

لماذا أمام كل هذه البديهيات يرفضون الخالق ويفترضون المستحيل العقلي؟

ثم لم يقل لنا الفلتة النحرير كيف تخلق لنا البتات منظومة معرفية تُعطي وظيفة؟ فالبتات كالكلمات المكتوبة على ورق تصف هيئة وظيفية بطريقة رمزية! كيف تتحول هذه الرموز إلى وظيفة حيوية داخل الكائن الحي الأول، كيف يتم فك الترميز ثم إنتاج معطى وظيفي حيوي، والسؤال الأهم: مَن الذي قام بالترميز قبل أن يتم فكه وما أدرى الكائن بحاجته إليه ليتم ترميزه ثم استخدامه في المستقبل وقت الحاجة؟

ثم كيف يكون الكائن الحي على علم مسبق بمجموعة البتات المطلوبة – ١٥٠٠ بت– في كل عضية، وهو لم ينشأ بعد ولم يقم بأي وظيفة؟

وكيف يكون على علم مسبق بما يريد بحيث يحتفظ بالبتات الصحيحة ويترك الخاطئة؟

ولو لم تكن هناك خطة مسبقة كاملة للسيانوباكتريا، فكيف توجد التخصيصة الوظيفية للعضيات؟

أيهما أقرب للمنطق والعقل؛ الإيمان بهذه المستحيلات العقلية التي مستحيل عقلي واحد منها كفيل بترك القضية بالكلية، أم الإيمان بالخالق الذي توافرت الأدلة والقرائن على روعة صنعه وضبط خلقه وقدرته؟

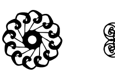
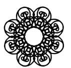
نعلم أن الإيمان بالمستحيل العقلي لا يكلف شيئًا، لذا هو أسهل في عقل كاره للدين وهارب من تكاليف الشرع، وهذا هو المبرر الوحيد للإلحاد!

فبرنامج الكمبيوتر الذي يفحص المتتابعات ويختار أكثرها شبهًا بالتتابع المطلوب الذي تم

تحديده مسبقًا، يعني أن العملية تجاوزت التطور العشوائي إلى تصميم واختيار ذكي للوصول إلى تتابع تم تحديده مسبقًا بتوجيه من عقل خارجي، فهذا خلق موجه نحو غاية محددة مسبقًا يهيمن عليها عقل ذكي، وهذا غاية ما يريد المؤمن من الملحد الاعتراف به!

فالتطور عشوائي وليس عقلاني وليس له أي دور إنشائي، ثم إن المحاولات المتكررة لجمع ١٥٠٠ بت هي وقائع مستقلة independent events،محاولات لا يؤثر بعضها في بعض، فمثلًا لو تضخمت الأحماض الأمينية مليارت مليارات المرات، فستظل النسبة الاحتمالية هي نفسها في كل مرة؛ لأن المحاولات وقائع مستقلة وكل مجموعة أحماض أمينية تتصرف بانعزال عن بعضها البعض فتظل نفس الاحتمالية بنفس القيمة قائمة، وهذا يُسقط مفهوم الصدفوية ككل.

المشكلة أن ريتشارد داوكينز ببرنامج ريتشارد هارديسون يطلب هدفًا مُحددًا منذ البداية يسعى البرنامج إليه، وفي كل مرة يقوم الكمبيوتر بمقارنة النتائج وفحصها للاحتفاظ بالحروف المبرمجة لديه واستبعاد الباقي، إنه تدبير موجه برعاية خاصة وعناية فائقتين وعقل ذكي ووعي وحكمة وإرادة وقصد وهذا غاية ما يحدثكم عنه المؤمن في قضية الخلق.

الجرعة الثامنة

كريج فنتر

قال أحد كهنة الإلحاد أن حياة الخلية توجد في الجينوم – نواة الخلية– ولو أُزيلت النواة لماتت الخلية، بل لقد قام كريج فنتر بتصنيع الخلية!

الرد: هذا الكلام يُسبب لمتخصص في البيولوجي ذبحة صدرية.

ما علاقة حياة الخلية بنواة الخلية أو الجينوم؟

إن إزالة نواة الخلية enucleation هو عملية تقوم بها المراكز المتخصصة في جميع البلاد والنجوع الآن، ولا تؤثر إزالة النواة في حياة الخلية، وتظل الخلية حية شهورًا طويلة بعد زوال النواة إلى أن ينفد ما عندها من بروتين حيوي لا تستطيع إعادة تخليقه في النواة، ساعتها فقط تموت الخلية، إذن إزالة نواة الخلية ليس إزالة الحياة عنها بل هو مجرد عملية إخصاء للخلية لا تستطيع بعدها الخلية أن تُنجب بروتينات، لا أكثر..!!

بل إن كرات الدم الحمراء التي تُغذي الإنسان بالأوكسجين تتنازل عن نواتها وعن كل المادة الجينية داخلها حتى تتفرغ لحمل الاوكسجين، ويوجد داخل كل كُرية دم حمراء ٢٨٠ مليون جُزيئة هيموجلوبين، ومن أجل هذا الهدف الحيوي جدًا قامت بتفريغ نفسها من كل العُضيات الخلوية حتى تحمل أكبر قدر ممكن من الأوكسجين.

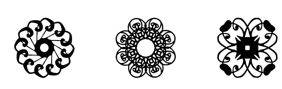
الحياة شيء والمادة شيء آخر تمامًا يا ملاحدة!!

يستحيل أن يقوم البشر جميعًا بكل ما امتلكوا من عقلٍ واعٍ ومكائن عملاقة وسواعد جبارة، وغوص في العلوم وقصد ونية ووعي وهدف أن يخلقوا ذبابةً واحدة ولو اجتمعوا لها، فالحياة شيء والمادة شيء آخر تمامًا يا كهنة الإلحاد ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج:٧٣].

أما تجربة كريج فنتر فهي عملية تقطيع كروموسوم الميكوبلازما Mycoplasma – أصغر كائن حي على الإطلاق– واستبداله بقطع كروموسوم نوع آخر من الميكوبلازما، إنها عملية إنزاء

حصان على حمار لكن على مستوى الميكرو، ولا يوجد في التجربة أي شيء مُلفت إلا أن البشر يُعجبهم الجديد دائمًا...!!

إذا كان يتم الترويج للإلحاد بهذا الجهل المطبق، والغثاء التافه، بل ويوجد من يصدقهم فبطن الأرض خيرٌ من ظهرها...!!



الجرعة التاسعة

الفيروس يتحدى الملحدين

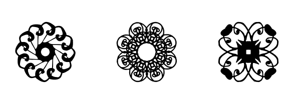
تقوم الفلسفة المادية الإلحادية على التبسيط والاختزال ثم التعقيد، لكن هذه الرؤية شيء وفلسفة العلوم شيء آخر تمامًا، فالفيروس أدق الكائنات الحية ما زال حيًّا بيننا إلى الآن ويُهدد بانتظام أعقد الكائنات الحية، وعندما ينجح الفيروس في خداع الـantibodies ويصل إلى نواة الخلية فإنه يقوم بعملية سطو hijack لا تستطيع أعقد الأنظمة البيولوجية أن تواجهه، حيث يقوم الفيروس بتقطيع نفسه على بوابات نواة الخلية الحديدية حتى يتمكن من اختراق ثقوب البوابات ثم ينطلق الحمض النووي الخاص به إلى داخل النواة، وبعد هذه العملية التي تبدو انتحارية، يقوم الحمض النووي الخاص به والذي دخل ممزقًا أن ينسخ نفسه داخل شريط الحمض النووي الخاص بالنواة آلاف المرات، ثم بعدها ينتقل إلى الريبوسوم خارج النواة ليُكمل عملية التصنيع، ثم يعود إلى النواة مجددًا ليصبح فيروس متكامل في مهمة من أعجب وأذكى وأمكر وأخبث المهام على الإطلاق، وبعد ٤٨ ساعة من نجاح فيروس واحد في الوصول إلى نواة خلية فإن النواة تصبح محملة بـ١٠ آلاف فيروس مستنسخ حيث يُوقف جميع العمليات الحيوية التي تقوم بها النواة ويكرس كل جهدها في نسخ نفسه فقط.

وفي هذه اللحظة العجيبة والفريدة والتي تحدث داخل كل إنسان ربما كل بضعة أيام، تصل إنذارات من الجسم بوجود مُحتل قام بعملية سطو كاملة على إحدى الخلايا فتقرر جميع الخلايا المجاورة للخلية المنكوبة أن تنتحر سريعًا حتى لا تتحول إلى مصانع لإنتاج جحافل فيروسية جديدة، وبهذه الطريقة تبدأ مقاومة الجسم للمحتل، وما زكام الأنف وانسداد الجيوب الأنفية إلا مخلفات المعركة هذا في حال كان الفيروس تنفسيًّا، إن أبسط الكائنات الحية يحمل بصمة الخلق وعظيم الصنع فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وسبحان الذي أحسن كل شيء خلقه، ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة:٧]

ومن الفيروس إلى البعوضة أبسط الكائنات المرئية، نجد أن للبعوضة مائة عين في رأسها، ٤٨ سن في فمها، ثلاثة قلوب في جوفها بكل أقسامها، لها ستة سكاكين في خرطومها ولكل واحدة وظيفتها، لها ثلاثة أجنحة في كل طرف، مـُزوّدة بجهاز حراري يعمل مثل نظام

الأشعة تحت الحمراء، وظيفته:يعكس لها لون الجلد البشري في الظلمة إلى لون بنفسجي حتى تراه، مـُزوّدة بجهاز تخدير موضعي يساعدها على غرز إبرتها دون أن يحس الإنسان، وما يحس به كالقرصة هو نتيجة مص الدم، مـُزوّدة بجهاز تحليل دم فهي لا تستسيغ كل الدماء، مـُزوّدة بجهاز لتمييع الدم حتى يسري في خرطومها الدقيق جدًّا، مـُزوّدة بجهاز للشم تستطيع من خلاله شم رائحة عرق الإنسان من مسافة تصل إلى كيلومتر.

إن الرؤية المادية الإلحادية والتصور الاختزالي لظهور الكائنات الحية هي فلسفة كهنوتية لا علاقة لها بالعلم ولا ببديهيات المنطق، **إن الإيمان بالإلحاد يتطلب بانتظام إنكار بديهيات عقلية ومنطقية أقسى من أشد الديانات إغراقًا في الوثنية.**



الجرعة العاشرة

الشيطان يكمن في التفاصيل..

لا يستطيع الملحد أن يدخل لك إلا من باب السفسطة في الفرعيات، واللعب على وتر التفاصيل!

لذا كُن حَذِرًا ورُده بسرعة إلى الأصل، لا تجعله يعبث ببدهياتك وضروراتك العقلية بدخوله في التفاصيل، بل كن أكثر ذكاءً ورده أنت إلى الأصل فينكسر وتطيش كل سفسطاته الفرعية..

ولك في أبي الأنبياء إبراهيم – عليه السلام – القدوة والمثل فحين ناظر النمرود في قضية الألوهية حاول الخبيث أن يلعب على الفرعيات ويُسفسط في التفاصيل، فأعاده إبراهيم إلى الأصل فبُهت الذي كفر، وانتهت المناظرة ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:٢٥٨].

فقد اعتبر النمرود أن مجرد إعدام الأشخاص هو قُدرة مطلقة على الإماتة، ومجرد رحمتهم هو قُدرة مطلقة على الإحياء، ولو تنزَّل معه سيدنا إبراهيم عليه السلام وظل يشرح له الفرق بين القدرة المُطلقة والقدرة النسبية المحدودة الموهوبة إلى الشخص، لظن الجالسون أن في قضية الألوهية البدهية محض التباس، فالشيطان يكمن في التفاصيل!

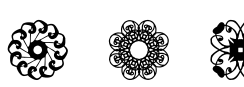
عندما يتحدث الملحد عن طاقة الفراغ الكوانتي المشحون بالجُسيمات، انتقل مباشرةً إلى ما هو مصدر الفراغ الكوانتي..

يقول الكاهن الملحد طاقة الجاذبية يمكن أن تؤثِّر في لحظة الانفجار الكبير، يكون السؤال: وما هو مصدر طاقة الجاذبية؟

يقول الكاهن الملحد سوالب الكون وموجباته ربما تساوي الصفر، يكون السؤال أُخلق لنا قانون (–) + (+)= صفر، أو قُم بتفعيل قانون كهذا.

الملحد لا يملك حُجة مُستقلة على كفره، لا يمتلك علما يُخرج الكفر، وإنما يتغذى الملحدون باستمرار من رحم السفسطة حينًا والمضاربة حينًا آخر، فشككوا الناس في العقل والحق والخير والشر والعدل والظلم.

فالإلحاد هو دين الشيطان تمت أدلجته، وإعادة صياغته والتأسيس له، كمذهب عقلي معاصر..!!



الجرعة الحادية عشرة

ما المانع أن تكون أدلتنا العقلية قائمة على الخبرة البشرية لا أكثر!

يقول الملحد: ما المانع أن تكون الأدلة التي يقدمها المؤمن لإثبات وجود الخالق هي فقط معتمدة على الخبرة البشرية؟

الرد:

في البداية أدلتنا العقلية على الإيمان هي براهين أولية قبلية A-Periori وليست قياسات عقلية، والبرهان العقلي الأولي لا علاقة له بالخبرة البشرية بل هو سابق في الوجدان والوجود عليها.

فالإنسان يولد ببراهين عقلية أولية مسبقة، اتفق على وجودها الملحد والمؤمن، فيُسميها المؤمن بـ"الفطرة" أو "الصبغة الإلهية" ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴾ [البقرة:١٣٨].

ويُسميها الملحد بالغرائز الأولية instincts.

ومن اللافت للنظر أن علم اللغويات الحديثة التي أسس لها نعوم تشومسكي Noam Chomsky تقوم على أن العقل لا يولد كصفحة بيضاء بل يحتوي على الكثير من المقدمات الأولية knowledge is innate.

بل إن أصل علم اللسانيات الحديث لا يمكن دراسته دون التسليم مسبقًا بوجود فطرة منسوجة مسبقًا داخل العقل البشري وأنه ليس صفحة بيضاء.

http://en.wikipedia.org/wiki/Universal_grammar

فالعقل يمتلك براهين أولية أو قبلية، لا تعتمد على الخبرة ولا يتم اكتسابها أو توريثها عبر الأجيال، ومن هذه البراهين العقلية القبلية الأولية برهان السببية!

فهو برهان قبلي أولي لا ينفك ولا ينخرم، فأنت موجود ووجودك لا يُفسر نفسه بنفسه إذن لك موجِد ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾ [الطور:٣٥].

إنه دليل عقلي أولي كوني، يتجاوز أُطر الزمان والمكان، ولا يتقيد بخبرتنا البشرية بل هو أعم وأعمق.

وقِوام كل العلوم النظرية والتجريبية على برهان السببية، فلولا اضطراد هذا البرهان ولولا استقراره في الأذهان ما صحت معادلة ولا انضبطت تجربة ولا سلّمنا بنتيجة، ولصارت كل العلوم لغو فارغ!

فهو برهان كوني أعلى من القانون وعليه تقوم كل العلوم!

أيضًا من أدلة الإيمان بالخالق أن هذا العالم موجود ووجوده يفيد عرضيته وتغيره، والعالم لا يفسر نفسه بنفسه، إذن لابد لهذا العالم من موجِد ﴿ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور:٣٦].

إذن نحن نقوم بالإيمان بالخالق استنادًا إلى برهان عقلي أولي يسبق الخبرة البشرية ويسبق كل ملكاتنا المكتسبة.

ثم بأي دليلٍ من خارجنا نحن مُطالبون بالتمرد على خبرتنا البشرية؟

بأي دليلٍ من خارجنا نحن مضطرون لعدم الانصياع لمكتسباتنا البشرية؟

بأي دليلٍ نرفض كل ما تمدنا به حواسنا؟

الآن الموقف انقلب! نحن الذين نُلزم الملحد بالتسليم بما ترصده الحواس وهو يرفض ويعاند، مع أنه داعيه المذهب الطبيعي والمبشر الأول به، أليس كذلك؟

زِد على ذلك أن براهيننا القبلية الأولية أعلى وثوقية من خبرتنا البشرية بكثير وأكثر منها ضبطًا وإتقانًا.

زِد على ما سبق أن أدلتنا لا تنحصر في البراهين القبلية الأولية، بل هي أحد البراهين لا أكثر، وإلا فبرهان النبوة هو برهان آخر قائم بذاته ومنفصل عن البراهين الأولية، أضف إلى ذلك البراهين التي تتجاوز إطار القيد المادي في هذا العالم مثل برهان الأخلاق، فالأخلاق لا مصلحية ولا مادية وتستمد بانتظام معناها وقيمتها من عالمٍ آخر لا علاقة له بهذا العالم المادي المجرد، فهذه كلها براهين على عدم كفاية المذهب المادي، وأننا بحاجةٍ إلى سندٍ ليس من هذا

العالم يبرر وجود هذه الأمور الغير مادية!

أيضًا برهان انتقال اللاحياة إلى حياة وهو برهان استخدمه القرآن الكريم كثيرًا في إثبات التدخل الإلهي، وهو ما زال حتى اللحظة حجة في وجه كل دعاة الإلحاد، فكل علوم العالم وكل جامعات العالم وكل ما توصل إليه العالم من ذكاءٍ وتقانةٍ وضبطٍ وماكيناتٍ عملاقة لا يستطيع أن يُنتج أبسط صور الحياة، ومع ذلك ما زال الملحد يفترض أن العشوائية أنتجت كل صور الحياة وأنتجت الفيروس والبكتريا والإنسان، إذا لم تكن هذه قمة السذاجة فأين تقبع قمة السذاجة؟

لكن هنا قد يتقافز ملحد ويدعي أن خبرتنا البشرية قد تنخرم كما في فيزياء الكم، وقد يسقط برهان السببية كما أسقطته ميكانيك الكم.

وفي الواقع هذه مغالطة سخيفة لا يزال الملحد يكررها كلما أعيته الحجج العقلية الملزِمة.

فالحقيقة أنه في عالم الكم توجد السببية وتوجد الأطر المعرفية الكبرى بنفس القدر من الاضطراد، لكن قد لا تتبع الجسيمات ردود أفعال واحدة أو حتمية متوقعة دومًا، وإنما يكون لها (احتمالات) فيما يُعرف بالدوال الموجية wave function.

وهذا ما بيّنه عالِم الفيزياء والرياضيات الألماني الأشهر ماكس بورن Max Born حيث أوضح في أثناء تفريقه بين السببية والحتمية Causality and Determinism أن عالم فيزياء الكم لا تنتفي فيه السببية، ولكن تسقط الحتمية لتحل محلها الاحتمالات، وذلك لا يتعارض مع ما جاءت به الأديان![1].

فلا يوجد شيء يسير في هذا الكون بلا قانون، فالكل مُسخَّر تماماً، بمنتهى السببية من المِجرة إلى ما دون الذرَّة، وكل معادلات ميكانيك الكم تخضع لقانون وإطار كلاسيكي صارم، ولا تستطيع أن تتمرد على أُسس الميثودولوجيا السببية.

يقول ستيفن هاوكنج مستهزئاً بالفلسفة التي تدور في هذا الإطار في كتابه الأخير "التصميم العظيم": "في عام ١٢٧٧ قام أسقف باريس بوضع منشور من ٢١٩ هرطقة تجب إدانتها في

---

(١) المصدر: الفصل الثاني مِن كتابه الشهير:

NATURAL PHILOSOPHY OF CAUSE AND CHANCE.

أنحاء البلاد، وأحد هذه الهرطقات هي الإيمان بالسببية، وبتلازم قوانين الطبيعة، ولم تمض شهورٌ حتى مات الأسقف بسبب تلازم أحد قوانين الطبيعة حين سقط عليه سقف الكاتدرائية بفعل قانون الجاذبية وبفعل السببية التلازمية!"(١).

إن الذي يحارب البديهيات هو مسفسط حتى الثمالة، ولا يفعل ذلك إلا في إطار السفسطة العقلية وفي قاعات الدرس بينما هو في واقع حاله يمارس الإيمان بالسببية في كل لحظةٍ بلا تردد!

وحتى ظهور الجسيمات في حالات التذبذب الكمومي Quantum Vacuum Fluctuationsلا يخالف قانون حفظ الطاقة، كما يدعي بعض مروجو العلوم الزائفة من الملحدين!

فالتذبذب الكمومي –ظهور الجسيمات لحظيًّا ثم اختفاؤها داخل الفراغ الكوانتي– يخضع لبرهان السببية في جميع تجلياته، لكنه لا يخضع للإطار الزمني، وهذا أول الإشكال وآخره!

فالجسيمات في الفراغ الكوانتي يمكن أن تقترض طاقة من المستقبل، فتظهر ثم تتلاشى دافعةً القيمة التي قامت باقتراضها بالضبط لحظة التلاشي، لكن هذه المساومة واقتراض طاقة من المستقبل تحدث في الإطار المادي داخل حدود الزمان والمكان، فلولا الزمان المخلوق والموجود لما كان لهذا الاقتراض وجود ولا معنى.

فالتذبذب الكمومي خاضع لقوانين متصل الزمكان space time continuum، فالزمان الذي استخدمته الجسيمات لاقتراض الطاقة ليس بُعد منفصل عن المكان بل هو أحد الأبعاد الأربعة" طول، عرض، ارتفاع، زمن " ويدخل مع المكان في نسيج متصل لا يمكن تجزئته أو تمزيقه، كما تقرر النسبية العامة لأينشتاين!

ولذا فالتذبذب الكمومي يحدث داخل هذا النسيج بقواعد النسيج وعندما يستلف الجسيم طاقة من المُستقبل، ففي هذه الحالة هذا مستقبل بالنسبة للراصد، لكنه جزء لا يتجزأ من النسيج

---

(١) التصميم العظيم، ص41.

الكوني، وبالتالي استلاف طاقة لا يُحدِث خرق في قانون حفظ الطاقة؛ لأن النسيج الزمكاني في لحظة حصول الجسيم على تلك الطاقة التي قام باقتراضها ثم إعادتها لحظة تلاشيه لم يتغير شيء في النسيج الزمكاني، ولم يختلّ قانون حفظ الطاقة، ولم ينفصل الزمن عن الأبعاد المكانية الثلاثة.

ولا جدال أن التذبذب الكمومي في جميع صوره يخضع لقانون وإطار كلاسيكي صارم، ولا يستطيع أن يتمرد على قوانين المادة ولا يستطيع كسر قانون حفظ الطاقة.

فميكانيك الكم يسير وفق قواعد وقوانين بل وتحكمة أسس ابستمولوجية ثبتت بطرق ميثودولوجية معلومة ومنضبطة!

ولو كان ميكانيك الكم عشوائية مطلقة ما أصبح علمًا يتم تدريسه في كل جامعات العالم، ويتم الاستفادة من ظواهره في مناحٍ علمية كثيرة مثل شريحة الكمبيوتر التي تكتب من خلالها – فشريحة الكمبيوتر تعمل بالظاهرة الكمومية ولو كانت العملية عشوائية ما استفدنا منها في شيء! –

بل إن ميكانيك الكم يسير وفق معادلات رياضية صارمة لا يحيد عنها مثل معادلة شرودينغر Schrödinger equation التي تصف الحالة الكمومية المعتمدة على الزمن، والتي تكاد تطابق قانون نيوتن الثاني في الفيزياء الكلاسيكية.

أيضًا هناك معادلة هايزنبرج Heisenberg equation ومعادلة بلانك اينشتاين Planck–Einstein equation وكلها تصف حالات كمومية مختلفة.

وميكانيك الكم يستحيل أن يخترق جدار بلانك فكل شيء يجري بضوابط محددة في العالم الكوانتي لا يتجاوزها ولا يحيد عنها ويمكن التنبؤ بتصرفات العالم الكوانتي طبقًا لمبدأ عدم اليقين لهايزنبرج وفي حدوده.

فافتراض الملحد أن العالم الكوانتي يخرق السببية راجع ليس إلى العلم ولا إلى فيزياء الكوانتم، وإنما راجع إلى طبيعة الملحد وطبيعة الباحث عن الزيغ ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ﴾ [الكهف:٥٦].

لكن قد يسأل ملحد ويقول: كيف سلَّمنا من الأساس بصحة مقدماتنا العقلية؟

أيها الملحد! عليك أن تعي أن عملياتنا العقلية تعكس شيء ما عن العالم المادي الذي نسكنه فهي صحيحة.

ولذلك أحكامنا ناجحة جدًّا وتنبؤاتها صحيحة، وأعطت نتائج جيدة!

والبحوث العلمية تحتوي على قدرٍ كبيرٍ من الدقة؛ لأنها ترتبط بواقع مادي يثبت أننا نسير في الاتجاه الصحيح، لكن الأهم من ذلك أن عقولنا ترصد كل ذلك وتحلله وتتوقع النتائج لذا لنا الحق كاملًا في الثقة في أحكام عقولنا.

فالعقل استنتج قوانين سقوط الأجسام –قوانين نيوتن الثلاثة– وحين قمنا بتطبيقها جاءت النتائج صحيحة تمامًا.

وأيضًا صدقت تنبؤاتنا واستطاع أينشتاين أن يُدخل بعض التعديلات على قوانين نيوتن في السرعات الأعلى وجائت نتائجه أيضًا مبهرة وعلى قدرٍ مدهشٍ من الدقة والضبط بما يعطينا ثقة أعلى في أن أحكام عقولنا ليس وهم فارغ أو سراب خادع!

والعلم نفسه مؤسَّس على أمل أن العالم عقلاني –مستوعَب عقليًّا –في جميع مناحيه المشهودة ولم تنخرم هذه القاعدة حتى الساعة، وفي الفيزياء النووية وفيزياء الأفلاك ظلت قدراتنا العقلية غير خادعة بالمرة بل هي ثابتة ومتزنة وتعطي أحكام لها طابع الوثوقية العالية.

وليس معنى عدم استيعاب عقولنا لأشياء مثل توحيد النسبية مع الكمية أي تشكيكٍ في قيمة عقولنا فلا يعني ما لم نصل إليه افتقاده للمعقولية!

وإنما يعني طبيعتنا البشرية القاصرة لا أكثر، وهذا لا يُخرج العقل عن مصداقية أحكامه!

فلا يعني عدم مقدرة الآلة الحاسبة جمع أرقام تزيد على عشرة أرقام خطأ ما تتوصل إليه، وإنما طبيعة تصميمها لا يتيح لها إلا هذا القدر من المعلومة وما فوق ذلك يتجاوز مقدرتها، ولا يُشكك هذا التجاوز في معطياتها؛ لأن كل معطياتها –العمليات الحسابية – بالتطبيق المادي سليمة وتنبؤاتها صحيحة.

أضف إلى ذلك أن قانون المربع المقلوب للقوة الكهربية تم إثباته دائمًا، فهذه محاكمة

استقرائية ناجحة تمامًا وهي أساس نجاح العلم ذاته!

فالعلم يقوم على إمكانية الاعتماد على الطبيعة من خلال محاكمة استقرائية عقلية مسبقة، توفر قناعة أن المربع المقلوب للقوة الكهربية سيظل ثابتًا في التجربة التالية، وبالتالي فالحكم العقلي سليم!

فالزعم بأن الكون عقلاني مرتبط بحقيقة أنه منظم!

والتشابك المنضبط للأحداث –مثل غليان الماء عند مائة درجة مئوية– يمدنا بانتظام بتأكيد صحة مقدمتنا العقلية عن السببية!

فالسببية هي أحد مظاهر النظام العقلاني للعالم، وجميع الأحداث التي نرصدها تدور في إطار سبب ونتيجة!

وفي الختام قد يقفز ملحد ليقول: اتفقنا على صحة المقدمات العقلية، وعلى صحة أن هذا الوجود لا يفسر نفسه بنفسه، لكن لماذا تقول: إن خالقه هو الخالق تحديدًا؟

وهنا يقُفّ الشعر من سفاهة القول ووقاحة المنطق وبجاحة الفروض العقلية، فهل أنت تُنكر وجود طارق للباب لمجرد أنك لا تعرف مَن الذي يطرق الباب الآن؟

هل تنكر وجود أستاذك لمجرد أنك لا تعرف اسمه؟

هل تنكر وجود ركاب بالطائرة أو قائد لها لمجرد أنك لا تعرف مَن هم؟

ولله المثل الأعلى!

لماذا تصادر على المطلوب وتقفز على الإلزام وتتجاوز التكليف العقلي المباشر الذي لا يحتمل ترددًا بفرضٍ آخر وسؤالٍ آخر لا علاقة له بما يُكلفك به البرهان؟

تقافزك لا يُخرجك من الإلزام، وتجاوزك لا يُسقط عنك التكليف بما عرفت عبر الأدلة الماثلة في الأنفس والآفاق!

وهنا قد يقول الملحد: سلّمنا لك بوجود الخالق فلمَ هو الله –سبحانه– وليس إله آخر من الآلهة الموجودة في الديانات المختلفة؟

الرد:

لا يوجد سوى الخالق سبحانه "الله" ولم نستمد هذه المعرفة الخاصة إلا ببرهان "النبوات"، ولا يختلف أهل الأرض جميعًا في أن الخالق الواحد الأحد هو "الله"!

وخلافنا مع بقية الأديان ليس لأنهم لا يعبدون الله، ولكن لأنهم جعلوا لله شركاء في الدعاء والطلب والتصرف في الكون.

فجميع أديان الأرض تعبد الله وهو عندها الخالق العظيم، حتى أكثر الديانات إغراقاً في الوثنية؛ لكنهم جعلوا له شركاء متشاكسون نسبوهم للخالق واعتبروهم أدنى منه منزلةً – آلهة صغيرة – Subordinationism.

لكنهم مع عبادتهم لهذه الآلهة الصغيرة يعترفون ويُقرون بوجود الله سبحانه!

بل إن الأصنام ما عبدها البشر إلا وساطةً لله عز وجل ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [الزمر:٣].

يقول الشهرستاني عن أوثان العرب قديمًا: "أما الأصنام فلم يكن العرب يعبدونها لذاتها، ولم تكن عندهم أكثر من قطعة حجر".

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦١].

وليست آلهة الهند الكثيرة حاليًا إلا كأوثان العرب الأقدمين، فهي وسائط لله الخالق ولا يعبدونها لذاتها!

وهذا ما ذكره التقرير المرفوع إلى الحكومة البريطانية في الهند وفيه: " أن النتيجة العامة التي انتهت إليها اللجنة من البحث هي أن كثرة الهنود الغالبة تعتقد عقيدة راسخة في كائن واحد أعلى "[١].

ويرى ول ديورانت أن هذه الألوف من الآلهة فقط يتم تقديسها كما تفعل الكنائس المسيحية من تقديس لآلاف القديسين، فلا يتطرق إلى ذهن الهندي ولو للحظةٍ واحدةٍ أن هذه الآلهة التي لا حصر لعددها لها السيادة العليا[٢].

ولذا فقد كان النزاع بين الرسل وأقوامهم في توحيد الألوهية " إفراد الله بالعبادة "، لا في

---

(١) موسوعة قصة الحضارة، ول ديورانت، مجلد ٣ ص ٢٠٩.

(٢) المصدر السابق.

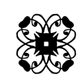
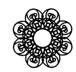
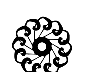
توحيد الربوبية "إفراد الله بالخلق ".

ولهذا لم يَرد التكليف بمعرفة وجود الصانع وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن ظن في عُباد الأصنام أنهم كانوا يعتقدون أنها تخلق العالم، أو أنها تُنزل المطر، أو أنها تنبت النبات، أو تخلق الحيوان أو غير ذلك، فهو جاهلٌ بهم. بل كان قصد عباد الأوثان لأوثانهم من جنس قصد المشركين بالقبور للقبور المعظمة عندهم»[١].

فالله سبحانه هو المعبود في جميع ديانات الأرض، وخلافنا مع بقية الديانات نابع من إشراكهم في الألوهية -إفراد الله بالعبادة-، لا في الربوبية -إفراد الله بالخلق-.

لكن الذي يزعج كل عاقل أن يُنكر ملحد الخالق وينكر الإلزام بالأدلة لمجرد زعمه عدم معرفته بمَن خلق، فيكون كالذي يُنكر وجود بشر بنوا المدينة لأنه لا يعرف أسمائهم!

---

(١) مجموع الفتاوى ١/ ٣٥٩.

الجرعة الثانية عشرة

يدعي الملحد أن كل شيء له سبب؛ فلماذا لا ينطبق الأمر على الخالق ذاته؟

الرد:

أولًا: كل شيء له سبب، وهذا لا يمنع وجود خالق بل يؤكد وجوده، فلماذا يقوم الملحد بترحيل قضية كفره إلى هذا السؤال السفسطي؟ وكأن إلحاده ليس حل في ذاته، وإنما هو موقف وقتي إلى حين إيجاد حل لهذا السؤال.

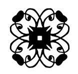
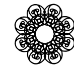
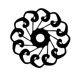
ثانيًا: كل شيء له سبب، لكن الله ليس كمثله شيء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [الشورى:١١].

ثالثًا: الحل الديني لهذه المسألة ذكي وبسيط ويستوعبه أي عاقل فالخالق غيب ولا ينطبق عليه ما ينطبق على مخلوقاته، وبالتالي فبديهة أن كل شيء يجب أن يكون له سبب لا تتعارض مع من ليس كمثله شيء.

والخالق خارج حدود الزمان والمكان وموجد الزمان والمكان، فلا تنطبق عليه قوانين موجوداته بداهةً.

رابعًا: الحل الذي يقول بالتسلسل اللانهائي ممتنع عقلًا، ونسوق هنا مثال الجندي و الرصاصه " لو كان هناك جندي يريد إطلاق رصاصة و لكن يحتاج لأمر من قائد أعلى منه، والقائد يحتاج لأمر من قائد أعلى منه الخ إلى ما لانهاية، فلن تنطلق الرصاصه أبدًا". والمثال يبين كون التسلسل السببي إلى ما لانهايه ممتنع، ويجب وجود سبب أول لا سبب له بدأ السلسلة، هذا واجب عقلي ومنطقي، وعليه فهذا السبب بالتأكيد ليس كمثل أي شيء – ميتافيزيقي-.

خامسًا: الطرح الديني في هذه القضية هو الطرح الأكثر منطقية وعقلانية والأكثر إحكامًا، فوجود خالق ليس من هذا الكون وليس كمثله شيء أزلي موجد للكون وخالق له هو الحل الأقرب للعقل.

الجرعة الثالثة عشرة

ما المانع أن نؤمن بالإنسان بدلًا من الإيمان الدين؟

هل يمكن أن تحل الهيومانية Humanism – الإنسانية – بديلًا عن الدين؟

هل يمكن أن يحيا الجنس البشري بلا دين؟

هل يمكن التأسيس للقيمة والمعرفة والغاية والأخلاق في غياب الإله؟

لقد عاش الجنس البشري آلاف السنين تحت تأثير الدين، واستطاع الدين أن يوفر جميع أوجه الحياة الأخلاقية والقانونية والعقائدية وحتى اللغة، ومن ثَمَّ فمن حقنا أن نتساءل عما إذا كان من الممكن إنتاج جيل ملحد إلحادًا كاملًا؟ لكي تنجح هذه المحاولة لابد من التنشئة في عزلة تامة عن كل دين وعن كل فن وعن كل دراما للوجود الإنساني، وإلغاء كل ما يمكن أن يَستحضر النشء أمامه من رؤيا لعالم آخر، وبالتالي إلغاء جميع الأعمال الفنية التي تُصور صراع الإنسان في العالم وتطلعه لعالم أفضل؛ لأن كل هذه الأمور ستؤدي إلى شعور الإنسان بالاغتراب في هذا العالم، وهو شعور ميتافيزيقي روحاني بحت.

في الواقع هذا أمر صعب في الوقت الراهن؛ لأن الملحدين يعيشون في ظلال الدين، ويمكننا أن نزعم أن كل أخلاق الملحد هي مجرد تأثر بالدين ومبادئه الأخلاقية الأساسية، بطريقة صامتة غير محسوسة ولكنها ثابتة، فقد تربى الملحد في ظلال الدين عشرات السنين وهو في نقده للدين يتأثر بأخلاق من ينتقدهم. إن جوهر الإنسان في أخلاقياته وليس في طبيعته المادية هذه حقيقة ثابتة-.

إن أخلاق الملحد هي عطية الدين هكذا علينا أن نزعم إلى أن ينشأ مجتمع إلحادي كامل.

لكن بعيدًا عن زعمنا، سنحاول أن نتصور تصورًا إبستمولوجيًّا – معرفيًّا- مجرد صورة مبسطة للقيمة والأخلاق من منظور مادي إلحادي مُجرد بناءًا على رؤية الملحدين أنفسهم.

أثبت فلاديمير لينين – مؤسس الدولة البلشفية الملحدة- أن الأخلاق خدعة ميتافيزيقية، وقرَّر فريدريك إنجلز- أبو النظرية الماركسية – في كتابه "أصل العائلة والدولة والملكية الخاصة"؛ أن النظام الأُسري نظام برجوازي، وأن شيوع النساء وإلغاء منظومة الزواج هو الحل

الأقرب لروح الإلحاد المادي.

لكن لماذا لا نكون أكثر تفاؤلًا وأكثر تنزلًا، ونفترض أنه تم التأسيس للمجتمع الإلحادي الكامل بناءًا على أخلاق مثالية! أخلاق كاملة كالتي نادى بها الدين، أخلاق أصلية واضحة وراسخة في الذهن البشري!

لكن في هذه اللحظة **على دعاة الإلحاد أن يطلبوا من الناس مزيدًا من المثالية والتضحية، ربما أكثر مما طلب أي نبي من قومه باسم الدين، فليس ثَمة إغراءات ماورائية، وليس ثمة تطلع أُخروي يبرر التضحية والالتزام بالمُثُل العليا التي هي جوهر القضية الأخلاقية!** وكما يقول المفكر الإنجليزي جون لوك: " إذا كان كُل أمل الإنسان قاصرًا على هذا العالم، وإذا كنا نستمتع بالحيـاة هنا في هذه الدنيـا فحسب، فليس غريبًا ولا مجافيًا للمنطق أن نبحث عن السعادة ولو على حساب الآباء والأبنـاء".

إنها معضلة وأي معضلة؛

لكن سنتنزل مرةً أُخرى ونتصور أنه تم التأسيس للمجتمع الإلحادي الكامل، ونتصور أن هؤلاء الملحدين قرروا التضحية وتبني نموذج أخلاقي، إمعانًا في تحدي مجتمع المؤمنين، وقرروا أن يتركوا الشر والظلم، وقرروا أن يلتزموا بالأخلاق المثالية، هنا ستظهر المعضلة التي بلا حل، فداخل العالم الإلحادي لا يوجد معنى مادي للشر أو الظلم، فالشر أو الظلم هو وضع الشيء في غير محله، ومحل الأحداث في عالم الإلحاد المادي، هو نفس المحل الذي تحدده القوانين الفيزيائية، و بما أنه لا توجد ذرة تخالف تلك القوانين، إذن كل حدث في الكون المادي قد وُضع في محله المادي، ولذلك المفترض ألا يوجد في المجتمع الإلحادي ولا في الكون المادي ظلم أو شر.

فالإنسان مُستَوعب تماما في الطبيعة، قوانين الطبيعة هي قوانينه، تسري عليه الحتمية المادية الفيزيائية بمنتهى الأداتية المعرفية، فلا يمكن الاستقلال برؤية متجاوزة أو مغايرة لما تفرضه المادة، وإلا لاعتبرنا أن للإنسان أصلًا آخر ومقدمة أُخرى وانهار الإلحاد.

أيضًا العقل مادة مُتلقية طبيعية لا تتجاوز هذا الإطار، والحالة النفسية الحاكمة في النموذج الإلحادي هي حالةً نفسيةً للمادة وليس للروح، وبالتالي لا يمكنُها أن تُخَطِّئ حالةً ماديةً أخرى،

فحتى تناطُح الذراتِ هو تصرفٌ لا خطأ فيه ما دام موافقًا للقوانين الفيزيائيةِ الصحيحة.

وطبقًا لهذه الرؤية الإلحادية المادية الحتمية فإنه في المرحلة التالية سيتنازل الإنسان عن مركزيته، فالإنسان من منظور مادي إلحادي ليس هو المركز بل المركز هو الطبيعة المادية وقوانينها وحتمياتها، وبالتالي سيحل محل مركزية الإنسان مركزية الطبيعة باعتبارها المُطلق الأول، وهذا يعني انهيار المشروع الهيوماني (مشروع الإيمان بالإنسان) وبذا يُصفَّى الإنسان على حد تعبير الدكتور عبد الوهاب المسيري لحساب الطبيعة، وسيتم استيعابه تمامًا ويسقط في هيمنة المادية الحتمية، **ويصبح أي حديث عن الإنسان أو قيمه أو مركزيته هو حديث ملوث ميتافيزيقيًّا، ويتحول الإنسان إلى حيوان مادي مجرد ويعود للصراع الدارويني الذي دخل به التاريخ**

وفي هذا الإطار المادي التجريدي يصبح الحديث عن الهيومانية لغو فارغ، وتتحول الشعارات إلى سخافة لا معنى لها، فما معنى حماية المعاقين أو المرضى الوراثيين أو تقديم يد العون لهم؟

إن محاولة من هذا القبيل تأتي ضد الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح، **وإذا كانت الرؤية الداروينية هي الرؤية الصحيحة وكانت حتمياتها هي الأصل الثابت فلن يستوعب الإنسان أصلًا فكرة حماية المعاق أو تقديم يد العون للضعفاء، بل إن تعقيم المعاقين – منعهم من الإنجاب- هو الحل الدارويني الأمثل والأوحد.**

أيضًا في الإطار المادي الحتمي الإلحادي كيف تتم المناداة بمفهوم الإنسانية الهيومانية، في عالم يحكمه البقاء للأصلح؟ بل إن أيَّة محاولة لمعاندة هذا الإطار المادي هي محاولة فاشلة؛ لأنها تأتي ضد التطور وضد قوانين الحتمية المادية التي تسري على الوجود.

يقول الدارويني جيمس هِلْ James J. Hill: " إن الثروات تُحدَّد تبعًا لقانون البقاء للأقوى"[١].

ويقول تايل Tille: " من الخطأ الشديد مجرد محاولة منع الفقر أو الإفلاس أو مساعدة

(1) Martin, James J. Hill pp 414-15.

الضعفاء أو محدودي الإنتاج.. مجرد مساعدة هؤلاء خطأ جوهري في النظرية الدروينية؛ لأنه يتعارض أساسًا مع الانتخاب الطبيعي natural selection وهو جوهر الداروينية"[١].

وطبقا لهربرت سبنسر Herbert Spencer فإن " فكرة وسائل الوقاية الصحية وتدخل الدولة في الحماية الصحية لمواطنيها وتلقيحهم تعارض أبسط بديهيات الانتخاب الطبيعي، وكذلك مساندة الضعفاء أو محاولة حماية المرضى والحرص على بقائهم".!![٢].

هذه هي الصورة التي يتيحها الإلحاد المادي، إنها المعادلة المستحيلة.. يستحيل أن يتم التأسيس للأخلاق داخل المنظومة المادية، **لا يوجد داخل العالم المادي الهيوماني ما يُفرح الإنسان أو يسليه، أو يؤسس لقيمه أو يؤسس لمبادئه أو يؤسس لأخلاقياته، يستحيل أن يوجد داخل المنظومة المادية ما يجعل الإنسان إنسانًا.**

فالأخلاق والقيمة تمثلان ثغرة في النظام الطبيعي، **فالأخلاق ثغرة معرفية كبرى في النسق الكوني،** ولذا لا يمكن إخضاعها لقوانين الطبيعة وحتميات ماركس التاريخية، أو حتميات داروين العضوية أو حتميات دوركايم الاجتماعية، هذا الاختلاف بين الأخلاق والطبيعة يُعبِّر عن نفسه في الاختلاف بين المؤشِّر في العلوم الطبيعية والمؤشِّر في العلوم الإنسانية.

فالأخلاق تسير عكس الطبيعة أو بمعنى أدق لا علاقة لها بالطبيعة، فالأخلاق ثغرة في الزمان فهي نتاج خلق والله خلقها كاملة؛ لأن الله لا ينتج ولا يشيد وإنما يخلق، وهذا يؤكد أصالة ظهور الإنسان.

فالأخلاق عقليًّا غير مربحة بل ضارة بل هي أكبر عبء على صاحبها وقد تساءل ماندفيل Bernard mandeville أستاذ علم الأخلاق الإنجليزي ما أهمية الأخلاق لتقدم المجتمع والتطور الحضاري؟ وأجاب ببساطة : لا شيء بل لعلها تكون ضارة.

ولذا فالأخلاق لم تتم البرهنة عليها عقليًّا إلى الآن، والأخلاق والدين هما أقدم الأفكار الإنسانية تُرًا وقد ظهرا سويًّا مع الإنسان كل هذا يؤكد أصالة الظهور الإنساني وغائية الأخلاق

---

(1) Williams, Raymond. 2000. Social Darwinism. In Herbert Spencer's Critical Assessment. John Offer.

(2) Social Status, p.414-415.

التي يحملها، **إنها اللحظة التي صنعت عصرًا جديدًا.**

إن الإنسان يتحرك في الحياة وهو يعلم يقينًا أنه ليس مُفصل على طراز داروين، ولذا يرفض باستمرار إلحاح العلم المتزايد على أن الجنس الأبيض أفضل من الأسود، أو أن إبادة المعاقين والضعفاء خيرٌ للجنس البشري، أو أن الإنسان حيوان مادي، وهذا يؤكد أن الإنسان لا يستطيع أن يرفض التكليف الإلهي بداخله، وأن الإلحاد لا يصلح لتحليل ظاهرة الوجود الإنساني!

وتأتي النزعة الهيومانية الإنسانية الجديدة كتوكيد عجيب على هذا الأمر، فهي تستقي مباديء غير مادية وغير علمية، تؤسس بها لمفاهيم مستقلة عن الوجود المادي، وتؤكد بها أن الإلحاد يرفض أن يكون إلحادًا، وأن الملحد في قمة إلحاده يترفع عن المادية الحتمية، ولذا لنا أن نتساءل: إذا كان الله غير موجود كما تزعمون، فلماذا التمحك في ظلاله؟

لماذا محاولة التأسيس لفلسفة هيومانية ملوثة ميتافيزيقيًّا؟

إذا كان الإنسان ابن المادة ومن المادة وإلى المادة، فلماذا الحديث عن سموه أو قيمته أو مركزيته؟

إن الهيومانية هي توكيد متزايد على أن الإلحاد لا يصلح لتحليل ظاهرة الوجود الإنساني، وأن الإلحاد شيء والإنسان الروح والجسد شيء آخر تمامًا.

لقد حاول كهنة المادية الإلحادية الغربية بعيدًا عن هذه الرؤى الميتافيزيقية، تحليل ظاهرة الوجود الإنساني، فوجدوا أن الإنسان لا يعدوا كائن طفيلي لا يوجد ما يُميزه، ولذا فقد ظهرت دعوات تعميمية تُنادي بإلغاء التفرقة بين البشر والحيوانات والحشرات، بل والنبات، ومحاكمة كل من يتعرض للفيروسات أو دودة الأرض؛ لأنه بيولوجيًّا لا فرق بين الإنسان ودودة الأرض فكلاهما على نفس الدرجة من التطور النوعي.

يقول كريستوفر مانيز christopher manes: " لا يوجد مستند لرؤية البشر ككائن أرقي من غيره"[١].

(١) christopher manes , the green rage.

وفي سويسرا ظهرت قوانين عدم إذلال النباتات(١).

ويقول بيتر سنجر الأُستاذ بجامعة برينستون princeton university :" حياة رضيع ليست أغلى داروينيًّا من حياة شبمانزي أو خنزير"(٢).

و يقول الدارويني الأمريكي james lee : " يجب تقليل عدد البشر قدر الإمكان، يجب إيقاف الزواج وقتل الرُّضع". وقد اتخذ هذا الدارويني وسائل حقيقية لقتل البشر باعتبارهم طاعون، وحيوان طفيلي فاسد، وفي سبتمبر ٢٠١٠ قُتل جيمس لي حين اتجه إلى موقع قناة ديسكفوري وأخذ ثلاث رهائن وكان معه بعض القنابل، إلا أن الشرطة لم تمهله وأردته قتيلًا، قبل أن يُنفذ مخططه الدارويني(٣).

يقول فرانسيس فوكوياما في كتابه الأشهر "نهـاية التاريخ": "حقوق الانسان لها مشكلة فلسفية عميقة إذ لابد أولًا أن نفهم الإنسان قبل أن نبحث في حقوقه، نفهم طبيعة الإنسان، فالعلوم الطبيعية الحديثة تشير إلى أنه ليس ثمة فارق بين الانسان والطبيعة، وعندما نوسع في المساواة التي تنكر وجود أي اختلافات بين البشر فيمكن أن يشمل ذلك إنكار وجود اختلافات هامة بين الانسان والقردة العليا، وتنشأ عن ذلك أسئلة لا حصر لها، إذ كيف يكون قتل البشر غير مشروع، في حين قتل هذه الحيوانات ليس كذلك، وسنصل حتمًا في مرحلة ما إلى السؤال التالي: ولماذا لا تتمتع الطفيليات المعوية والفيروسات بحقوق مساوية لحقوق الإنسان؟

إن عدم اهتمام الناس بهذه المساواة يوضح أنهم لا يزالون يؤمنون بمفهوم ما عن تفوق قدر

There is no basis for seeing humans as more advanced or developed than any other species.

(1)http://planetsave.com/2008/10/18/switzerland-places-ban-on-the-humiliation-of-plants /.

(2)http://www.lifesitenews.com/news/princeton-professor-singer-and-i-repeat-i-would-kill-disabled-infants.

(3)http://abcnews.go.com/US/gunman-enters-discovery-channel-headquarters-employees -evacuated/story?id=11535128.

الانسان، وحتى حماة الطبيعة وحماة الحيوانات، هم فقط يدافعون عن الحيوانات لأنهم يحبون بقائها معنا، ومجرد إفنائها لا سبيل لتعويضه مع ضياع فوائد ربما تُكتشف منها مستقبلًا، فحتى حماة الحيوانات هم للإفادة منها وليس من أجلها وهذا عكس حقوق الحيوان، **إن مفهوم التوسع في المساواة أدى إلى حيرتنا الراهنة، إننا لو كنا نؤمن حقًّا أن الانسان مجرد كائن في سلسلة حيوانية يخضع لقوانين الطبيعة ليست له قيم متجاوزة، هنا كان لابد أن تتساوى الكائنات جميعًا في الحقوق، وسيتعرض ساعتها المفهوم المساواتي للبشر للهجوم من أعلى ومن أسفل، ولا يسمح لنا هذا المأزق الفكري الذي أوقعتنا فيه النسبية الحديثة بأن نرد على هذا الهجوم أو ذاك، وبالتالي لا يسمح لنا بالدفاع عن الحقوق المساواتية** – فإما طبقية متفحشة أو مساواتية مستحيلة –"[1].

إنه تحليل مدهش وحقيقي للمأزق الهيوماني، فإن فرانسيس فوكوياما يرى أن المساواة مستحيلة داخل المجتمع المادي، حيث يتحول الإنسان داخل هذا النموذج إلى كائن قانع بسعادته غير قادر على الإحساس بالخجل عاجز عن الارتقاء فوق مستوى احتياجاته وبالتالي فإن الإنسان لم يعد إنسانًا[2].

أليس الإنسان الكامل في هذه الصيغة هو كائن فج جدير بالاحتقار– والكلام لفرانسيس فوكوياما–، كائن عاطل عن الاجتهاد والطموح – وهنا تضيع ملحمة الوجود الإنساني و دراما الحياة الانسانية.. لقد مات الانسان في النموذج المادي[3].

بل إن فرانسيس فوكوياما يصف الملحد في هذه المرحلة بالكلب، يقول فوكوياما: إنه داخل ذلك العالم سيصبح الناس حيوانات من جديد كما كانوا قبل المعركة الدامية التي بدأ بها التاريخ، إن الكلب يقنع بالنوم في ضوء الشمس طوال اليوم شرط أن يُطعموه وذلك لأنه راضٍ بما هو عليه ولن يقلقه أن غيره من الكلاب حالها أفضل من حاله، أو أن مستقبله ككلب قد جُمد

---

(١) المصدر : فرانسيس فوكوياما. نهـاية التاريخ وخاتم البشر.ترجمة : حسين أحمد أمين. الطبعة الأولى ١٩٩٣ مركز الأهرام للترجمة والنشرص ٢٥٩ والكلام له بالحرف إلا ما بين – –.

(٢) المصدر السابق ص ١٧.

(٣) المصدر السابق ص١٨ إلا ما بين – –.

أو أن كلابًا في بقعة نائية من العالم تصادف المذلة والهوان[١].

ويتنبأ فوكوياما في صفحة ٢٧٤ من كتابه أن حياة مجتمع مادي إلحادي هيوماني كامل هي حياة بلا فنون ولا أدب ولا دراما ولا كفاءة، وقليلون سيتصدرون للخدمة العامة وستكون الحِرف مبتذلة وغير متطورة، وفي مرحلة ما سيكون هذا المجتمع عاجزًا عن الدفاع عن نفسه في وجه الحضارات الأُخرى حيث الحضارات الأخرى أصحابها على استعداد لهجر الراحة والأمن ويخاطرون بحياتهم من أجل القيمة.

وإذا كانت الهيومانية تسعى للتأسيس لفلسفتها في إطار العلم بعيدًا عن الدين، فماذا لو أثبت العلم أن العِرق الأبيض أفضل بيولوجيًّا من الأسود؟ وأنهم في مرتبة أعلى في سلم التطور، هل سيتم الفصل العنصري بين البيض والسود داخل المجتمع الإلحادي الهيوماني؟ أم ستتم معاندة العلم والبيولوجيا ومعاندة الانتخاب الطبيعي وإقرار المساواة بين البيض والسود، وساعتها ستكون أكبر خيانة للتطور وأكبر ضربة للماديين؟

بالمناسبة: هناك آلاف الأبحاث التي أثبتت تفوق الجنس الأبيض على الجنس الأسود ماديًّا وبيولوجيًّا، منها قديمًا أبحاث عالِم الإنسانيات الشهير صموئيل مورتن Samuel Morton وأبحاث لويس أجاسي louis agassiz الذي كان يقول بأن البيض ليسوا سفاحين حين أبادوا الهنود الحمر، ولكنهم يتبعون قضية حتمية في تشكل الأعراق، فهذه هي حتمية العلم، وحديثًا ظهر كتاب قوس الجرس bell curve أكثر الكتب مبيعًا في السبعينات، وهو الكتاب الذي يتحدث عن أنه لا فائدة من تعليم السود أو تحصينهم من الأمراض، لأنهم أضعف عقلاً وأفقر ذهنًا من البيض ولابد من إنفاق المال في أُمور أكثر فائدة.

ماذا لو أثبت العلم تفوق الرجل على المرأة ماديًّا؟ وأن الرجل في مرتبة أعلى بيولوجيًّا من المرأة، هل ستتم المساواة بين الجنسين داخل المجتمع الإلحادي، أم سيكون هذا مطلب غير علمي غير عقلاني عبثي ميتافيزيقي يقف في وجه التطور وحتميات الطبيعة؟

بالمناسبة: المرأة طبقًا لأدبيات التطور لها تصنيف في السلسلة الحيوانية مستقل تمامًا عن تصنيف الرجل، فالمرأة تندرج تحت تصنيف Homo parietalis بينما الرجل تحت تصنيف

---

(١) المصدر السابق ص٢٧١.

Homo frontalis فدراسة حجم الجمجمة في القرن التاسع عشر أثبتت وجود فرق جوهري في حجم المخ لصالح الرجل بمقدار ١٢- ١٩ ٪ وكتب كارل بروكا brucca يقول أن مخ المرأة أضعف بكثير من مخ الرجل.

فحجم المخ الخاص بالمرأة يكاد يطابق ذلك الخاص بالغوريلا، والمرأة تأتي في المرحلة السفلى من مراحل تطور الإنسان[١].

ويرى داروين أن المرأة لا تصلح إلا لمهام المنزل، وإضفاء البهجة على البيت،- فالمرأة في البيت أفضل من الكلب-[٢].

هذه هي الرؤية الإلحادية الهيومانية للإنسان بصورتها الحقيقية، فالإلحاد حرَّر أتباعه من أية أعباء أخلاقية، وإذا لم يتم تبني هذه الرؤية في المنظومة الهيومانية، فهذا يعني انهيار الأساس الذي بُنيت عليه الهيومانية، وبالتالي استقاء عناصر غير مادية من خارج المنظومة الهيومانية، سيكون اعترافًا بعدم صلاحيتها كمنظومة فكرية مستقلة لتفسير المغزى الوجودي!

إن الأمر الذي لا يجب أن نغفله هنا؛ هو أن الحروب العالمية كانت دائماً نتاج المجتمعات الأرستوقراطية الملحدة، والإلحاد هو الذي زوّد الإمبريالية الغربية بإطار نظري لإبادة الملايين باسم العرقية المادية، والبيولوجية الداروينية، ولن تتجاوز الهيومانية هذه الرؤية مهما تظاهرت بخلاف ذلك، وعلى الهيومانية أن تتبنى بمنتهى الهدوء اليد الخفية عن آدم سميث، والمنفعة عن بنتام، ووسائل الإنتاج عند ماركس، والجنس عند فرويد، وإرادة القوة عند نيتشه، وقانون البقاء عند داروين، والطفرة الحيوية عند برجسون، والروح المطلقة عند هيجل، وإلا فالهيومانية ستُعتبر تمرد على المادية الحتمية[٣].

هذا هو الإلحاد الهيوماني عند التطبيق، وهذا هو أصل معركته وشعارها ودثارها، وفي هذا السبيل قامت حربان عالميتان أُبيد فيهما قرابة ١٢٠ مليون نسمة، وكانت حروب من الدموية

---

(1) Gould, The Mismeasure of Man, p.105.

(2) Charles Darwin, The Autobiography of Charles Darwin 1809-1882, New York pp. 232-233.

(٣) العلمانية الجزئية العلمانية الشاملة د. عبد الوهاب المسيري دار الشروق طبعة ٢٠٠٢ المجلد الأول ص٢٤٠.

بحيث أرجعت كلًّا من المنتصر والمهزوم ثلث قرن إلى الوراء، فالحربان العالميتان اللتان أبادتا حوالي ٥٪ من سكان العالم كانتا نزاع إلحادي- إلحادي، وقام الفلاسفة بوضع مبولة في وسط باريس بدلاً من تمثال الجندي المجهول كنايةً عن نهاية الحضارة.

وقد اعتبر الليبرالي الشهير – رئيس الولايات المتحدة السابق – جون كوينسي آدمز John Quincy Adams أن حرب البيض ضد الهنود الحمر هو قانون الطبيعة، ولهذا القانون تطبيقاته الواسعة جدًّا"[١].

فاستئصال طبقة كاملة من الناس، وتفريغ قارتين كاملتين من البشر- تفريغ الأمركتين من الهنود الحمر- ما كان ليحدث لولا الرؤية المادية للوجود الإنساني، وقد اعتبر الليبراليون الأوائل أن إبادة الهنود الحمر نوع من الدفاع الشرعي، ونتيجةً لذلك: تقلّص عدد الهنود الحمر من ١٠ مليون الى ٢٠٠ الف نسمة خلال سنوات قليلة ولذا يقول سيمون بوليفار Simón Bolívar محرر أمريكا اللاتينية: "يبدو أن الولايات المتحدة تسعى لتعذيب وتقييد القارة باسم الحرية"[٢].

وليست إبادة الملايين في أرخبيل الكولاج The Gulag Archipelago على يد الملحد لينين والملحد ستالين، إلا من خلال مبرّر إلحادي شيوعي، وليست إبادة ٢٢٪ من سكان كمبوديا إلا بمبرر إلحادي على يد بول بوت pol pot، وليست إقامة الحرب العالمية الثانية كلها إلا بمبرر قومي مادي عِرقي ألماني على يد أدولف هتلر، وليست الثورة الثقافية في الصين التي راح ضحيتها ٢٢ مليون نسمة إلا بمبرر إلحاد ماوي Mao zedong، فالحرب في الإلحاد غاية في ذاتها، والمكاسب المادية وتفريغ القارات من البشر، وتطهير الأعراق ليست كلها إلا إفرازات داروينية مادية، ورؤى عِرقية طبيعية، وهذه الرؤى هي التصور المستقبلي للهيومانية حال التطبيق!

يقول ريتشارد فيكارت Richard Weikart: " لقد نجحت الداروينية أو تأويلاتها الطبيعية، في قلب ميزان الأخلاق رأسًا على عقب، ووفرت الأساس العلمي لهتلر وأتباعه، لإقناع أنفسهم

---

(1) Robert Remini, John Quincy Adams.(٢٠٠٢)

(٢) ناعوم تشومسكي الايديولوجية والاقتصاد ص٦.

ومن تعاون معهم، بأن أبشع الجرائم العالمية، كانت بالحقيقة فضيلة أخلاقية مشكورة"[١].

لكن الإنسان له روح خاصة مستقلة عن جميع المخلوقات؛ فهو ليس مُفصّلًا على طراز داروين، ولم يوجد من أجل الصراع، إنما وُجد لعبادة الله من إقامة الحق أيا كان مَن اتبع الحق سواء كان أبيض أو أسود، أما العقل الإلحادي المادي الهيوماني فقد قام بتفكيك البشر بصرامة بالغة ليس فيها موطنٌ للمشاعر الإنسانيّة، والقِيَم الروحيّة.

إن البحث عن السعادة على الأرض من منظور إلحادي هو شكل من أشكال الغرور الإنساني، وهو يعني القول بمركزية الإنسان، وأن له مكانًا خاصًّا في الكون وبداهة لا يمكن القول بوجود غائية إنسانية مستقلة عن الغائية الطبيعية أو المادية.

ولا يأتي الإيمان بمركزية الإنسان وقيمته وسموه إلا بالإيمان بمُطلق أعلى يتجاوز المادة، فالمساواة بين البشر هي مسألة دينية بحتة، فإذا لم يكن الله موجودًا، فالناس بجلاء وبلا أمل غير متساوين، وتأسيسًا على الدين فقط يستطيع الضعفاء المطالبة بالمساواة.

ولذا يقول الدكتور المسيري رحمه الله: «إن الإله هو التركيب اللانهائي المفارق لحدود المُعطى النهائي، هو النقطة التي يتطلع إليها الانسان ويحقق التجاوز من خلالها، ومن ثم بغيابه يتحول العالم إلى مادة طبيعية صماء، خاضعة لقوانين الحركة والصيرورة التي يمكن حصرها وإحاطتها والتحكم فيها، وينضوي الإنسان تحت نفس النمط، إذ بغياب الإله يتحول الإنسان إلى كم مادي يمكن أدلجته وقولبته في إطار مجموعة من المعادلات الرياضية الميته، وفي هذه اللحظة تموت الروح ويتبعها موت الإنسان، فالإيمان بالإنسان وقيمته ومركزيته وسموه هو إيمان يتجاوز حركة المادة وديناميكيتها... فعندما يُقرر الإنسان أن ينسى الإله في هذه اللحظة بالذات يكون قد نسي نفسه ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [الحشر:١٩]».

فالإنسان كائن أقدامه مغروسة في الوحل وعيونه شاخصة للنجوم.

كائن ميتافيزيقي يسأل أسئلة نهائية عن معنى الكون.

أقصى مُتعة لا تكفي إنسان يعلم أن وُلد ليموت.

---

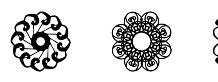
(١) Richard Weikart. from Darwin to Hitler. p.215.

بدون وجود إله تفقد كل الكائنات حدودها وحيزها وتنشأ إشكاليات في النظام المعرفي والأخلاقي، وتفقد الأشياء حدودها وهويتها ويَصعُب التمييز بينهما، كما تَختفي التفرقة بين الخير والشر، وتختفي الإرادة والمقدرة على التجاوز وتسود الواحدية والحتمية، وقد اختصر رئيس التشيك فاكيلاف هافل هذه الإشكالية الكبرى فقال عبارته الرائعة: " حينما أعلنت الإنسانية أنها حاكم العالم الأعلى، في هذه اللحظة نفسها، بدأ العالم يفقد بُعده الإنساني " فالفلسفة الهيومانية ضحت أول ما ضحت بالإنسان.

ومنذ اللحظة التي هبط فيها الإنسان من السماء منذ المقدمة السماوية لا يستطيع الإنسان أن يختار أن يكون حيوان بريء أو يكون إنسان مُخير، لم يكن بإمكانه أن يختار بين أن يكون حيوان أو إنسان إنما اختياره الوحيد أن يكون إنسان أو لا إنسان ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب:٧٢].

فالإنسان هو المركز والطبيعة هي الهامش

هذا هو الإنسان وهذه هي طبيعته الحقيقية، وعلى الهيومانية أن تتقبله في هذا الإطار، وأن تستمد قيم معرفية متجاوزة، وأن تتجاهل الرؤية المادية الإلحادية الداروينية كتحليل لظاهرة وجوده، وهذا يعني أنها لن تصبح هيومانية وإنما دينًا جديدًا وفي هذه اللحظة تفقد أهم سماتها وخصائصها، وينهار المشروع الهيوماني ككل.



الجرعة الرابعة عشرة

لماذا الإيمان بالدين؟

القاعدة التي أسس لها القرآن الكريم وشدَّد عليها في أكثر من موضع أن كل بعيد عن الإيمان هو أعمى ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد:١٩].

فالأصل في الكافر العمى، ولا يتحقق له الإبصار إلا بالإيمان، ولن يستطيع أن يتجاوز مرحلة العمى مهما أوتى من علم أو فُتحت له من معارف أو اتسعت دائرة علومه وتعددت طرقها وتشعبت مصادرها فهو سيظل أعمى؛ نعم: مهما بلغ ومهما ارتقى فلن يتجاوز مرحلة العمى إلى مرحلة الإبصار.

فلن يستطيع الإنسان التأسيس للمعنى ولا التأسيس للقيمة إلا من خلال الإيمان، ولن يستطيع تحرير إجابة عن الأسئلة الوجودية الكلية –أسئلة النشأة– مثل: لماذا نحن هنا؟ ما الغاية من الوجود الإنساني؟ وكل أسئلة لماذا why لن يستطيع تحرير جواب لها؛ وستظل أجوبتها حِكرًا على الإيمان.

ولن يتجاوز الإنسان بكل علومه ومعارفه وفلسفاته الإجابة على أسئلة كيف how، أما أسئلة لماذا فستظل أجوبتها حصرية داخل ميدان الإيمان.

والقارئ في الشأن الإلحادي يعلم أن غاية الإلحاد الآن هي إخراس هذه الأسئلة الوجودية الكبرى –كل أسئلة لماذا–، بل ووصمْها مرة بالتافهة كما فعل ريتشارد داوكينز Richard Dawkins حين سُئل عن بعضها في إحدى الحوارات، ووصمها مرةً أخرى بغير ذات معنى، ولا ندري كيف لأهم الأسئلة في الوجود الإنساني أن توصف بالتافهة أو بلا معنى، وهل كون الإلحاد لا يملك إجابة تصبح الأسئلة تافهة؟

إن المحاولات المتتالية لإسكات الأسئلة الكبرى ليست إجابة ولا تُشبع إنسان يعلم أنه وُلد ليموت! ولا تُقدم حلًّا، بل هي برهان آكد وحُجة سامقة على أن كل بعيد عن الإيمان هو أعمى غير مبصر لحقيقة وجوده ولا لمعنى وجوده ولا قيمة وجوده، ولا يعرف شيئًا عن وجوده.

من أجل ذلك: كانت العودة إلى الإيمان هي شرط استيعاب معنى الإنسان وتحليل ظاهرة وجوده، والتأسيس لقيمته وأخلاقياته ومبادئه وغاية كل عملٍ يعمله، فالعودة إلى الإيمان تملك الإجابة الحصرية لكل أسئلة لماذا، وكل أسئلة المعنى، وداخلها يجد الإنسان ذاته، أما خارجها فلا يجد إلا مجموعة من الذرات المتلاحمة بلا معنى، والتي تتحرك بلا غاية وترتطم بلا هدف.

إن العماء الكامل يصم حالة عدم الإيمان والذين لا يملكون نورًا لن يستطيعوا أن يوجدوه ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

فأصل النور هبة إلهية تقترن بالإيمان، ولن تستطيع كل فلسفات العالم أن تؤسس لومضةٍ من نور، فكوجيتو ديكارت Cogito Descartes " أنا أُفكر" انهار على يد ديفيد هيوم David Hume، والحداثة التي أسس لها كانط Immanuel Kant ذابت على أعتاب ما بعد الحداثة، ولم يعد ثمة إمكان إبستمولوجي –معرفي- لتأسيس الوعي والقيمة والمعنى للوجود خارج الدين[١].

إن الإحالة إلى الإيمان شرط أصيل لضمان المعنى، فالحقيقة التي يُسلِّم بها البشر الآن أنه: لا حقيقة غائية في الخارج المادي المستقل، ولا يمكن ضبط الحقيقة بدون إيمان، فالعودة إلى الإيمان هي شرط فكري وعقلي ومبررها هو المعطى المادي نفسه، ففي الوجود المادي الخارجي كل شيء يسير وفقًا لقوانين مادية عمياء صارمة لا معنى لها في ذاتها، مجرد قوانين عرضية حادثة غير مكتفيه بذاتها، لذا كانت الإحالة إلى الماوراء من مقتضيات تبصر وتفحص العالم المادي ذاته.

لكن لماذا جعل الله النور قرينًا بالإيمان، بينما جعل العمى قرينًا بترك الإيمان؟

لأن هذه غاية وجودنا كله، وحقيقة وجودنا، بل ولا معنى لوجودنا حين نتمرد على هذه الحقيقة.

ولماذا الإسلام بالأخص هو الذي ارتضاه الله لعباده؟

الإسلام ليس فِرقة من الفِرق ولا عقيدة من بين عقائد الأرض، حتى يوضع في مجال

---

(١) في دلالة الفلسفة وسؤال النشأة، د. الطيب بوعزة، ص١٩.

مُقارنة مع باقي الديانات.. بل هو أصل الأديان والعقائد والعبادات، وهو أنقى أديان التوحيد.

فالإسلام هو تصحيح لمسار الديانات التي انحرفت، وإعادة لنهج أنبياء العهد القديم من لدن آدم إلى نوح وصالح وأيوب وهود وإبراهيم وموسى وداوود ويونس وهارون وعيسى.. فعقيدة هؤلاء جميعًا هي عقيدة الرب إلهنا رب واحد بلفظ التوارة والإنجيل.. هذه العقيدة التي لا تعرف تثليث ولا أقانيم ولا موت آلهة منتحرة، ولا انتزاع آلهة من آلهة أخرى – انتزاع الروح القدس من الآب – ولا آلهة قومية.. يقول تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى:١٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء:١٦٣]

إذن فالإسلام ليس ديانة كالديانات وإنما هو أصل الديانات، وتصحيح للخلل الذي أصاب الديانات وبالأخص اليهودية والمسيحية في نسختيهما العهد القديم والجديد[١].

☑ لكن مقتضى الإيمان هو العبادة؛ فلماذا العبادة؟

العبادة هي تهذيب الغريزة وضبط النفس وانكسارها لباريها، واتباع الباري في كل ما أمر ونهى، ولا يُصلح النفس إلا ذلك، فكما قررنا سابقًا لا يمكن التأسيس للأخلاق ولا للمعنى إلا من خلال الإيمان.

وهل يحتاج الله لعبادتنا؟

الله غنيٌّ عن العالمين.. هذا أحد أصول الإسلام ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر:٧] .

لكن الله سبحانه وتعالى يعلم أن عباده لن يصلحهم إلا عبادته.. ولن تستقيم أحوال العباد ومعاشهم إلا في كنف طاعته، وبقدر ابتعاد الإنسان عن الله بقدر استحلاله للمحرمات، فإذا لم

(١) كهنة الإلحاد الجديد، د.هيثم طلعت، ص٨٣.

تكن ثمة عبادة لله فكل شيءٍ مباح؛ لأنه لم تعد ثمة محرمات.

وكلما ابتعد الإنسان عن الله فإنه يُقاد من بطنه وفرجه أكثر مما يُقاد من عقله وضميره، حتى صار يُطلق على إلحاد الغرب "إلحاد الفرج والبطن"، فعبادة الله صمام أمان للإنسان، والعبادة ترجع فائدتها على الإنسان فقط كما في الحديث القُدسي: « **يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أُوفيكم إياها فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**».

فعبادة الله غاية وجود الإنسان، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]، أي لم أخلق الثقلين إلا مُهيئين لعبادتي بما ركَّبت فيهم من العقول والحواس والقُوى، فهم في حالة صالحة للعبادة، مُستعدة لها، فمن جرى على موجب استعداده وفطرته آمن بي وعبدني وحدي، ومَن عاند واستكبر اتبع غير سبيل المؤمنين[1].

وهل الله يُحب أن يُعبد؟

العبادة هي حق الله تبارك وتعالى على عباده، فهل تعرف ما معنى «حق الله تبارك وتعالى على عباده»؟.. إن الله عزَّ وجل هو الرب، الخالق، الملك، الحق؛ الذي يستحق وحده أن يُعبد، وأن يُشكر، وأن يُحمد، هذه صفاته يا إنسان.. هذه صفاتُ ربك الذي خلقك ورزقك.

تخيل رجلاً يسير في صحراء قاحلة ثم ظهرت فجأةً مائدة فيها من أصناف المأكولات ما لا يُحصى، فأكل وشرب، وسمِن جسده وتجشأ، ولم يشكر المُنعم عليه، بل لم يشغل باله بمعرفة مصدر رزقه، هل يستوي هو ومَن يعرف رازقه بل وخالقه ويشكره على نعمه التي لا تُحصى ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم:٣٤].

هل من المستغرب أن تشكر خالقك؟

هل من المستغرب أن تنظر في طعامك وشرابك ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ [عبس:٢٤]، وكيف جعل الله طعامك وشرابك سائغًا، وجعل لك هضمًا ومخرجًا، وقدَّر عليك رزقك منذ كنت في بطن أمك بلا حيلةٍ منك ولا من غيرك؟

---

(١) تفسير سورة الذاريات، الشيخ حسنين مخلوف رحمه الله-شيخ الأزهر السابق-.

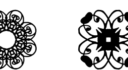
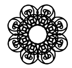
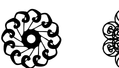
ألا يستقيم لك أن تشكر رازقك والمُنعم عليك به؟

فالله يُحب أن يعبد ويرضى لعباده الشكر، ويكره الجحود ولا يرضى لعباده الكفر.

وبدون عبادة الله يستبيح الإنسان كل المحرمات، وتتفكك عنده كل الأشياء، فعبادة الله هي صمام ضبط الحياة وضبط القيمة، ولن يُصلح الإنسان إلا عبادة خالقه.

ويبقى السؤال: لماذا يقرر الله سبحانه وتعالى لنا طقوسًا محددة في العبادة دون غيرها؟

عندما قام هنري فورد Henry Ford بصناعة السيارة، وقرر كيف تعمل سيارته ووضع الكتالوج وحدَّد الأصلح في التعامل مع سيارته، هنا هو الصانع وهو الأدرى بالأصلح لصنعته، لم يعترض أحد، فإذا كان الله خالقك ورازقك فمن البديهي أن يحدد لك ما هو الأصلح – ولله المثل الأعلى –.

الجرعة الخامسة عشرة

الإحالة إلى الما وراء

العودة إلى الإيمان والإحالة إلى الما وراء، شرط لضمان المعنى وتأسيس الإمكان الأنطولوجي –الوجودي– للحقيقة، ومن ثَم تسويغ بحث إمكانها الإبستمولوجي– المعرفي–[(١)].

إن الحقيقة التي يُسلم بها البشر الآن أنه: لا حقيقة في الخارج المادي المستقل، ولا يمكن ضبط الحقيقة بدون دين واستقاء من الما وراء، ولا يمكن التأسيس للحقيقة أو ضبط المعرفة أو تقييم المعنى بلا دين، ولم يعد ثمة إمكان إبستمولوجي لتأسيس الوعي الماهوي للوجود خارج الدين.

إن شرط الإحالة إلى الدين شرط معرفي إبستمولوجي، وشرط مادي أنطولوجي، وشرط عقلي أولي، لأن إدراك الوجود يفيد تغيره وعرضيته وعدم اكتفاؤه بذاته، وهذا الإدراك –إدارك عدم اكتفاء الوجود بذاته– يستوي فيه البدائي وعالِم الفيزياء والفلسفي البارع، فالإحالة إلى الدين هي قضية عقلية ومعرفية ومادية ومنطقية في الأساس، قبل أن تكون قضية أخلاقية أو نزعة إيمانية أو تجرد روحاني!

والموقف الإلحادي من هذه القضية موقف مدهش للغاية؛ لأنه يفترض التأسيس الماهوي لحقيقة الوجود مجردة، وبعد أن يعجز عن هذا التأسيس يقوم بالعودة إلى الما وراء لاستقاء المعرفة والبحث عن اكتفاء الوجود لكن هذه المرة بصيغ لا عقلية ولا منطقية ولا مادية ولا معرفية، فيفترض الوعي في العدم والأزلية في المُحدث والشيئية في اللاشيء، وذاتية الانتقال إلى الحياة في اللا حي، وذاتية التنسيق والضبط والعناية والانتقال للأفضل على مستوى الكاوس–الفوضى–، فتصير قضية الإلحاد الكفرية قضية جحد للعقل في المقام الأول ومعاندة للوجدان في الجوهر ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠].

وأصل الإحالة إلى الما وراء هو أصل عقلي، هدفه الأسمى بحث الوجود الحق الذي

---

(١) في دلالة الفلسفة وسؤال النشأة، د. الطيب بوعزة، ص١٩.

يفصح عنه عالم الحس إفصاحًا ناقصًا.

ويصبح الانتقال من عالم الحس إلى عالم المُثُل الما ورائي هو مقصد الوعي الوجودي كله، لذا ارتسمت صورة المفكر في كل الحضارات بالشخص المنعزل عن المجتمع المادي؛ لأنه مشغول بالكليات.

ولذا كانت المعرفة الما ورائية عند المفكرين أعلى المعارف وأشرفها لأنها النوع الوحيد المنوط بتفسير القضايا الكلية والوجودية والأسئلة الكبرى، فنجد ديكارت مثلًا يقول:" الفكر الإنساني شجرة جذورها الماوراء وجذعها الفيزياء وأغصانها بقية العلوم"(١).

ولذا كان أكثر الناس انشغالًا بالماورائيات هم المفكرون وعلماء المادة لأنهم لا يجدون في المادة اكتفاءًا ذاتيًا يبرر وجودها، فطاليس كان فيزيائيًّا ورياضيًّا وفيثاغورس عالم فلك، وأفلاطون مؤسس الحركة الميكانيكية، وابن رشد فيزيائي وطبيب، وجابر بن حيان الكيميائي الأول وواضع أُسس المنهج التجريبي في البحث العلمي، والكندي رائد تحليل الشفرات.

ولم ينشغل بعلوم المادة إنسان إلا وأدلى دلوه في الفكر بمقتضى بحثه في المادة، فالإحالة إلى الما وراء هي شرط فكري وعقلي ومبررها المعطى المادي نفسه.

وبذلك يتقرر أن تصور وجود الإله ليس حاجة مشروعة بل حاجة مُلحة، فالعقل هنا لا يبتدع فرضية وإنما يُعبر عن حاجة ضرورية ضرورة الماء والهواء بل أولى منهما، بل إن استيلاء سؤال الخلق على خواطر الأطفال ما أن يبتدؤن في النطق والحكي أمرٌ معلوم، فضرورة الصانع مغروزة منذ وقت مبكر جدًّا، قبل تشكل الوعي ذاته.

فالعقل في أقصى درجات فطريته لا ينفك عن سؤال الصانع.

بل إن فرضية الخالق - بتعبير الملاحدة- هي الأفضل على كل المستويات النفسية والوجودية معًا، وهي الجواب عن سؤال لماذا، وهي الجواب عن معنى تطلعنا لما وراء الزمان والمكان، وهي الجواب عن الأسئلة الوجودية الكبرى، وإن كان الملحد قادر على إخراس جميع هذه الأسئلة فهذا ليس بجواب.

---

(١) Descartes, principes de la philosophie, p.266، منقول من م س ص٧٨.

وباستخدام اللغة العلمية فأيضًا أفضل الفرضيات الممكنة بالنسبة لمعطياتنا المعرفية هو أيضًا وجود الخالق.

فالإلحاد لم يكن يومًا ما مطلب معرفي ولن يكون.

فالذي لا يعرف الله كالأعمى في هذه الحياة الدنيا، فهو لا يدري لماذا خُلق ولا يدري الحكمة من وجوده ويخرج من الدينا ولا يدري لماذا دخل فيها ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ ﴾ [محمد:١٢].

فمعرفة الله هي مقتضى عقلي من الواقع المادي ذاته، فإذا رأيت سيارة تتحرك بين المنحنيات والطرق الدقيقة بمهارة فحتمًا تتأكد أن السائق موجود، إن خروج الوجود من اللاوجود بمنتهى المعايرة الدقيقة لحظة الخلق الأولى fine-tuned universe يدل على خالق عليم قدير حكيم عظيم.

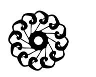
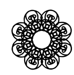
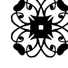
بعض المصطلحات التي قد تبدو غامضة:

الإبستمولوجيا: هي النظرة المعرفية التي في الذهن.

الأنطولوجيا: هي الشيء المادي خارج الذهن.

الماهية: هي حدّ الشيء بما هو هو، وأصلها اسم الاستفهام ما والضمير هو ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ ﴾ [البقرة:٦٨].

الكاوس: الفوضى.

الجرعة السادسة عشرة

لا مكان للفن في الإلحاد

– هذه جرعة ترفيهية بعد جملة المصطلحات الثقيلة في الجرعة السابقة، لكن هذا لا يمنع من أنها علمية ومفيدة–

عندما نتحدث عن الفن فإننا بداهةً لا نقصد الفن الهابط، وإنما الفن الذي يتناول دراما الوجود الإنساني.

إن العلم عندما يواجه الإنسان فهو يبحث فيه عما هو ميت وعما هو لا شخصي، بينما عندما يتناول الفن الإنسان فإنه يبحث فيه عما هو إنساني وغائي، فالفن في صِدام طبيعي مع العالم ومع جميع علومه، إنه التمرد الصامت، وإذا لم يوجد على الإطلاق سند للإنسان ولا مجال لروحه ولذاته، فإن الفن لا مجال له والشعراء وكُتاب التراجيديا يضللوننا ويكتبون هراءً لا معنى له.

إن وجود عالم آخر إلى جانب عالم الطبيعة هو المصدر الأساسي لكل دين وفن، فإذا لم يكن هُنالك سوى عالمٍ واحدٍ لكان الفن مستحيلاً، والمعرفة في الفن لا تُكتسب بطريقة عقلانية علمية وإنما تُكتسب بطريقة حَدسية، وعندما يقوم العلم برسم لوحة فإن سيرسم وجه قرد ممسوخ يقوم بدراسته دراسة آلية، أما عندما يقوم الفن برسم لوحة فإنه سيرسم دراما وجه الإنسان..، فالفن هو ثمرة الروح وإذا لم يتم الاعتراف بوجود الخلاص والعالم الآخر والروح فالفن عبث ولا قيمة له وغير موجود أصلاً.

الفن يتجاهل ظواهر الأشياء، يهتم بالبواطن، والفن التجريدي مثلاً يقوم بحذف كُل شَبه بالعالم الخارجي مُعطِياً للشكل واللون معنًى روحيًّا، وبإقصاء الجانب الروحي بعيدًا وبإنكار وجود الحياة الجوانية داخل كل إنسان منا، فإن أعظم اللوحات في العالم تقاس قيمتها بحسب نوع الورق المستخدم في الرسم وثمن الألوان والأصباغ الموجودة على اللوحة.

وروعة الموناليزا لا تكمن في ثمن الألوان المرسومة بها، وإنما تكمن في أنها من أنجح المحاولات لتصوير سر الحياة الجوانية، فالحقيقة الوحيدة التي يعترف بها الفن هي الإنسان

وشوقه المستمر للوصول للفردوس والخلود.

الفن بطبيعته وباعترافه بوجود عالم آخر نراه يحمل معانٍ ثورية، يحمل الكُفر بالعالم المادي.. وهذا ما فهمه الرسام الفرنسي الشهير دي بيفيه حين قال : " الفن في جوهره غيرُ مريح لا فائدة منه، ضد المجتمع وخطر عليه".

جوهر الأعمال الفنية غامض غموضـًا تامًّا، إنه تمردٌ دائمٌ على الواقع..، إنه اعترافٌ متكررٌ بوجود عالم آخر لا ننتمي إليه وسنذهب إليه يومـًا ما.

جوهر الفن يقوم على اعتراف بمعاناة الإنسان على الأرض وعجزه عن تحقيق الفردوس الذي يبحث عنه في مخيلته، الفن ببساطة هو ثمرة الصلة بين الروح والحقيقة..؛ ولذا عند التدقيق في لوحة فنية عميقة أوعند قراءة روايـة رائعة يعتري الإنسان شعورٌ غريبٌ وغامضٌ بالسموِّ والقداسة ودخول عالم الخلود..، الفن كالدين تمامًا كلاهما يعترف بوجود عالم آخر لكن الفن ليس دينًا إنما هو تعبير عن الدين فهو الابن غير الشرعي للحقيقة، بينما تبقى الحقيقة حصرية للإطار الديني!

الإلحاد لن يفهم أبدًا جوهر الفن وطبيعته، فإذا لم يكن هناك روحٌ للإنسان فلِم إذن نحرص على أن يكون للفن روح؟

بالنسبة للفنـان لا يوجد شيء اسمه إنسان داروين ذاك الكائن النمطي الممسوخ البارد، بالنسبة للفنان لا يوجد شخصـان متطابقان، فالإنسان هو كائن متميز ذو سمو روحي.

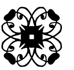
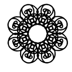
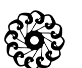
لا يوجد فنانٌ ملحدٌ، لا يستطيع الملحد أن يكتب شِعرًا أو أن يرسم لوحة أو أن يُنشد بيت شعر، ولن يستطيع أن يفعل ذلك إلا إذا دخل في الدين لحظة الرسم واعترف بقضية دراما الوجود والبحث عن الخلود، والمسرحية التي تُمثل دراما الوجود فإن لحظة السكون فيها هي لحظة مليئة بالأحداث.

إننا لن نفهم هذه المسرحيات وهذه الرسوم إلا عندما نعترف بالوجود الجواني، وننكر كل ما هو مادي وخارجي، ولن يستطيع ملحدٌ أن يفهم لوحة ولو وقف أمامها دهرًا كاملاً، بل

سيتتقدها حسب تماسك الألوان وخامة الورق ودرجة حرارة الغرفة وتأثيرها على التباين اللوني.

إن الفن والإلحاد لا يجتمعان؛ الفن في صيغته النهائية والأخيرة هو بحث عن المُطلق، بحث عن الله.

وإذا امتنع وجود حقيقة دينية امتنع وجود حقيقة فنيـة[1].

(١) من وحي كتاب "الإسلام بين الشرق والغرب"، علي عزت بيجوفيتش-رحمه الله-.

الجرعة السابعة عشرة

سوف أبصق على قبوركم!(*)

جرعة ترفيهية إضافية –أي خدمة–

لماذا ماتت الأشياء الجميلة في العالم الإلحادي؟ لماذا قام الفلاسفة بافتتاح مبولة وسط باريس ليرمزوا بذلك الى انتحار الإنسان؟ وظهر الفنان ماليفيتش الذي رسم لوحته "مربع أبيض فوقه خلفية بيضاء" رمزًا لنهاية الحضارة وقمة العبثية، وأرسل الفنان الفرنسي مارسيل دوشام إلى جمعية الفنانين المستقلين في نيويورك نافورة وهي في الحقيقة مبولة احتجاجًا على عبثية الحياة.

وسُمِّي فن الإلحاد بـ"فن المبولة".

فالإلحاد المادي قتل الروح وشَعَر الإنسان في ظله بالعبثية والتفكك فمات الفن وماتت القيمة، وماتت روح الإنسان، وإذا لم يكن هناك روح للإنسان فلن يكون للفن روح؟

وظهر الفنان جاكسون بولوك الذي صوَّر عبثية الإلحاد في لوحاته الشهيرة حيث كان يصب الألوان على اللوحات ثم يتمشى عليها بأحذية مثقوبة، وإذا بأسعارها تقفز الى أرقام مجنونة وبيعت إحدى هذه اللوحات في عام ١٩٩١ في صاله كريستي بـ٤٥ مليون فرنك، وفي معرض لفن الحداثة نظمه مركز جورج بومبيدو في باريس اجتذب المعرض ٨٠٠ ألف زائر مما حقق أرقامًا قياسية تفوق أي معرض راقٍ في العالم، مع أن ما نشهده لا يزيد على مجموعة من رقاب الزجاجات أو سجاجيد عليها أكوام من الحبال وكريات من الصوف.

وقام أحد فناني ما بعد الحداثة برسم لوحة زُجاجية بتكليف من متحف الفن الحديث في نيويورك، وأثناء نقل اللوحة سقطت وظهرت فيها شروخ؛ فطمأنهم الفنان قائلاً: "العمل المكسور أفضل منه سليمًا". وهذه قمة التفكيك واللامعيارية.

بعض رواد المتحف الحديث الذين تعودوا على تقبل التجريد وفن ما بعد الحداثة، توقفوا

(*) الجرعة من وحي أعمال عبد الوهاب المسيري رحمه الله.

أمام سجادة كانت تأخذ شكل مخروط، وأخذوا يبدون إعجابهم الشديد بهذا العمل الفني الرائع، إلى أن حضر أحد عمال النظافة في المتحف وحمل السجادة ثم فرشها على الأرض مع بقية السجاجيد الأخرى، فقد كانت سجادة عادية مُكومة بالصدفة.

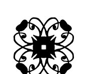
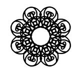
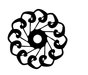
لماذا تموت الأشياء الجميلة في الإلحاد؟ لماذا يصاب كل شيء بالحياد؟

لقد نُزعت القداسة عن الإنسان وتم تفكيكه وأصبح خاليًا من المرجعية والمركز.

إن هذه الموجة من الأعمال الفنية التي تُعبر عن ضياع الإنسان وموت القيمة وانهيار الروح لا يمكن استيعابها إلا من خلال المنظور الإلحادي المادي..

وهل يصلح أن نقارن أعمال شكسبير بـ"سوف أبصق على قبوركم" لبوريس فيان؟

إن الإلحاد يعلنها صريحة: أنه لن يصلح لتحليل ظاهرة الوجود الإنساني، وأن العبثية والتشاؤم والعدمية ثمرة حتمية للرؤية الإلحادية للعالم من حولنا!

الجرعة الثامنة عشرة

الوعي يدمغ الإلحاد!

أدق الكائنات الحية على الإطلاق يقودها الغرض والهدف والغاية، وتتمتع بالوعي و تحليل المعلومات ثم إعطاء رد فعل بِناءًا على تلك المعلومات، مثلًا الأميبا وحيدة الخلية لو جاء بجوارها غِذاء متحرك فإنها تلف أذرعها حوله بحذر حتى لا يهرب، في حين لو كان الغذاء ثابتًا لا يتحرك – حُبيبة نشا – فإنها تلتصق به دون احتراس.

والأميبا كائن وحيد الخلية بلا مخ ولا عين ولا أعصاب ولا حواس.

والبويضة بعد تخصيبها تُعبِّر عن استقلالها البيولوجي ويكون لها وعي وإحساس بحقيقة أنه يمكنها التفاعل مع بيئتها، وتبدأ في الانقسام الذاتي لخلايا يفوق في عددها نجوم مجرة درب التبانة، و لديها القدرة على تلقي المعلومة ومعالجتها والتفاعل باستقلال مع المعلومة.

لا يمكن أن يبلغ الكمبيوتر مهما اشتد تعقيده أبسط درجات الوعي في كائن وحيد الخلية كالأميبا، ومع ذلك عملية تصنيع الكمبيوتر عملية واعية وذكية للغاية وفي حدود زمان ومكان، أما الخلية الأولية كالأميبا التي تفوق في كل عضية من عضياتها أعلى الكمبيوترات تعقيدًا بل ربما لا مجال للمقارنة؛ لأن نسبة وعي أذكي الكمبيوترات على الإطلاق تساوي صفر، I.Q.=ZERO، ومع ذلك المطلوب أن نُصدق أن العشوائية أنشأت الأميبا والإنسان، والذكاء الإنساني لم يستطع أن يُنشئ أبسط صور الوعي، إنها أضيق حدود السذاجة إن استطعت ابتلاعها ابتلعت بعد ذلك أي شيء.

إنه السؤال المفصلي والجوهري، بين الدين المنطقي والإلحاد العبثي.

الإلحاد لا يطرح أجوبة بل يزيد المشكلة تعقيدًا، فلا مبرر مادي للقدرة على الإحساس بالمعلومة ومعالجتها، وإخراج رد فعل ذكي، كما عند أي كائن حي، ولا مبرر مادي للتكامل على كل المستويات – ذاتية التنظيم والتنسيق، ذاتية الانضباط –، لا مبرر مادي للإدراك والوعي والقيمة والهدف والغاية، بل لا مبرر مادي للحياة نفسها بوصفها كينونة مستقلة، لا يمكن لوصلات عصبية أن تُفرز القيمة والهدف والجمال والغاية والحِس الأخلاقي والامتنان للوجود

والحياة، والشعور بالسمو والكيان، والقيمة والحرية، إن هناك وعي أعمق يؤثر على سلوك هذه الأسلاك العصبية.

ليست هناك آلية مادية لتشرح المعنى والوعي في حياتنا، إذا قال لك شخص تحبه أنه يحبك ساعتها سيُفرز جسدك الإندورفين والدوبامين، في حين لو قررت الانفصال عنه وقال: لك أنه يحبك ساعتها سيفرز جسدك الكورتيزول والأدرينالين، المعني والوعي هو الذي يقرر السلوك المادي وليس العكس.

ليست هناك آلية مادية لتشرح كيف تصطدم فوتونات الضوء بشبكية عينك وتصنع صورة ثلاثية الأبعاد للواقع من حولك داخل خلايا مُخك المظلمة؟ إنها عملية لا يوجد للعلم إجابة عنها.. إنها الوعي.. إنها الحياة نفسها.

المادية لن تجيب عن معنى وجودنا، فالوعي لا يفهمه إلا الوعي، لهذا نحتاج إلى الدين، بالمنطق العلمي والعقلي نفسه الذي احتجنا به إلى المادية.

وقد أثبت د. روجر سبيري Roger Sperry الحائز على نوبل في وظائف المخ أن الوظائف العقلية لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالمخ المادي وهي فقط قد تستعمله كآلة.

يقول السير جون إكلز John C. Eccles الحاصل على نوبل في الطب:" أجدني مضطرًّا إلى القول بطبيعة غير مادية لذاتي وعقلي، طبيعة تتفق مع ما يسمونه الروح".

وقد وضع جون إكلز مع فيلسوف العلوم الأشهر كارل بوبر Karl Popper، كتاب يشي عنوانه بأبعاد القضية وعنوان الكتاب" الذات والمخ التابع لها The Self and its Brain".

ويعترف روبرت كون Robert L.Kuhn الحاصل على الدكتوراة في بحوث المخ، أن هناك جوهر غير مادي يتحد بالمخ ليفرز العقل، ولا مفر من اعتباره الروح التي يتحدث عنها المتدينون.

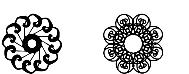
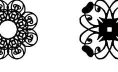
ويعترف ليونارد ملدينوف Leonard Mlodinow الفيزيائي الشهير والمشارك co-author في كتاب التصميم العظيم مع ستيفن هاوكنج ٢٠١٠ أن الوعي والعقل غير ماديين[١].

---

(١) https://www.youtube.com/watch?v=WGvzheu1JQA.

https://www.youtube.com/watch?v=WGvzheu1JQA

والعقل هو مناط التكليف ويوجِب على صاحبه النظر والاستدلال والقيام بما كُلف به، ويمثل العقل ميزة فريدة وضعها الله عز وجل في الإنسان؛ به يعرف ثم يعمل، ومن هنا كانت مسئولياته، ولولا العقل ما صحَّت مُحاكمة ولا وُضع دستور ولا عُرف حق من باطل، ومِن هنا نحن لسنا مُخيرين في رفض التكليف الإلهي، طالما تمتعنا بالعقل.

الجرعة التاسعة عشرة

لو كنّا أبناء الطبيعة فلا معنى للثقة بعقولنا(*)

الذي يزعم أن الإلحاد هو فلسفة عقلية هو أجهل الناس بالعقل؛ لأن لازم قوله بإلحاده هو تطوره عن كائنات أدنى وبالتالي ليس لعقله ثقة ولا لمعرفته قيمة، يقول تشارلز داروين: " ولكن هنا يراودني الشك الآتي: هل يمكن أن يكون عقل الإنسان، والذي أؤمن إيمانًا جازمًا أنه تطور عن عقل كذاك الذي تمتلكه أدنى الكائنات، محلًّا لثقتنا وهو يُدلي بتلك الاستنتاجات العظيمة"(١).

وبالتالي فلا يكون العقل عقلًا إلا بإثبات الخالق أولًا.

وقد طوّر الفيلسوف ألفن بلانتيجا Alvin Plantiga نواة هذا البرهان الذي تحدث عنه داروين، فقد قال بلانتيجا: إذا كان العقل قد طورته الطبيعة لتحقيق غاية بقاء النوع كما تفترض الداروينية في صورتها المعيارية، فإن هذا يعني أن أحكام العقل الأُخرى إما ثانوية أو لا وزن لها، فتحقيق غاية البقاء ممكن من دون الحاجة إلى الوعي بقيمتي الحق أو الباطل، أو القيمة أو الأخلاق أو الأدب أو المعرفة، والدليل من الواقع على إمكان ذلك هو عالم البهائم، فالتطور أصم أبكم أعمى غير آبه بالقيمة المعنوية لهذه الأحكام، وهذا يلزم عنه ألا يستمسك ملحد ولا يثق بأيٍّ من أحكامه العقلية، بل كل حكم عقلي أو تقييم معرفي يراه يجب أن يفترض أنه لغوٌ فارغ بلا معنى، لكن البشر يتملكهم شعور اضطراري بأنه يجب عليهم أن يثقوا في قيمة أحكامهم، ولا يتأتى ذلك إلا بافتراض تميز موقعهم الإدراكي من أصله.

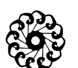
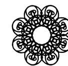
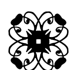
يقول الناقد الأيرلندي الشهير كليف لويس C. S. Lewis: " لا يمكن لاقتناعنا بأن الطبيعة تعكس نظامًا أن يكون أهلًا لثقتنا إلا إذا اعتبرنا نوعًا خاصًّا من الميتافيزيقيا صحيحًا".

(*) هذه الجرعة من وحي كتاب ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان، د. عبد الله بن سعيد الشهري، مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى ٢٠١٤.

(1) Charles Darwin to W. Graham, the Life and Letters of Charles Darwin, vol.1, p.282

ويقول أيضًا:" إذا كان الحق الذي نؤمن به هو بدرجة ما شبيه بنا، أي: إذا كان نفسًا عاقلة صدرت عنها أنفسنا العاقلة، ففي هذه الحالة يمكننا بالفعل أن نثق فيه". غير ذلك فالحق الذي نؤمن به هو بلا معنى ولغو فارغ[١].

فإذا كان الإلحاد صحيحًا فهو غير صحيح، فلو كنَّا أبناء هذا العالم لما كان لأحكامنا العقلية معنى.

(١) Nathan, N. M. L. , Naturalism and Self-Defeat, p.135.

الجرعة العشرون

لو كان الإلحاد صحيحًا لما ألحد أحد!

-اعتبر هذه الجرعة جرعة إضافية -جرعة منشطة- للجرعة السابقة-

داخل العالم المادي تسير الذرات في نسقٍ ثابت لا يتخلف، ويدور الإلكترون حول النواة بسرعة ألف كيلو متر في الثانية الواحدة باضطرادٍ وانتظام.

وذرات دماغك هي نفس الذرات التي يتشكل منها العالم المادي.

وتسود الحتمية المادية في كل شيءٍ حولك، وفي هذا الإطار يصبح الحديث عن المعنى أو القيمة أو الغاية حديثًا غير مفهوم، حديثًا لا ينتمي إلى هذا العالم المادي ولا يمكن ضبطه في إطار هذه الصرامة الحادة!

فالعالم المادي لا يوجد فيه شر ولا خير... لا قداسة ولا نجاسة.... لا صواب ولا خطأ.

وقد عبّر ريتشارد داوكينز Richard Dawkins–عرّاب الملحدين في العالم- عن ذلك قائلًا: "الكون في حقيقته بلا شر ولا خير".

The universe we observe has... no evil and no good[1].

وبناءًا على ما سبق: يستحيل أن يكتشف إنسان وجود أخطاء في دينه -على حد زعمه- فيلحد إلا لو استقر في ذهنه مسبقًا وجود الخطأ والصواب ووجود الخير والشر.

أُكرر مرةً أخرى: يستحيل أن يكتشف إنسان وجود أخطاء في دينه، فيلحد إلا لو استقر في ذهنه مسبقًا وجود الخطأ والصواب ووجود الخير والشر.

فلولا وجود الخير والشر لما استوعب إنسان وجود الخطأ في دينه والذي على أساسه قرّر أن يُلحد!

لكن هذا يعني خطأ الإلحاد؛ لأننا كما قلنا لو كنّا أبناء هذا العالم المادي لما أدركنا وجود الخطأ ولا الصواب، ولا الخير ولا الشر، وبالتالي لن يُلحد أحد لأننا المفترض أننا لا نعرف الخير ولا الشر ولا الصواب ولا الخطأ!

لكن هناك ملحدون؛ إذن هناك خير وشر؛ إذن الإلحاد خطأ!

---

(1) River out of Eden, p.131-132.

فلولا استقرار خطأ الإلحاد في ذهن الإنسان. وأن هذا العالم ليس مبنيًّا على نسق الإلحاد وأن هذا العالم يوجد به خير وشر وصواب وخطأ. لولا هذه المقدمة لما ألحد أحد ولما اكتشفنا وجود خطأ أو شر.

فلولا وجود القيمة والمعنى والهدف والغاية والذين افتقدهم الملحد في دينه –كما يزعم– لما ألحد!

ولولا معرفته بالخطأ والصواب والخير والشر، لما قرر أن إلحاده خيرٌ من دينه –كما يزعم!

وهنا يصبح الإلحاد دليلًا على خطأ الإلحاد، ويصبح الكفر دليلًا على سقوط الكفر!

إنها مفارقة غريبة لكنها حقيقية، وعجيبة لكنها واقعية!

فلن يستطيع الإنسان أن يحصل على المعنى أو القيمة أو الغاية أو أن يستوعب شيئًا من القيم وضد القيم إلا بمددٍ من عالمٍ آخر وناموسٍ آخر ومقدمةٍ أخرى تمامًا –مقدمة سماوية.

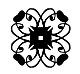
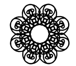
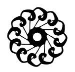
ولن يستطيع الإنسان أن يدرك معيارية وجوده في هذا العالم إلا بقبسٍ لا يوجد في هذا العالم ما يبرهن على معناه.

ويمضي الإنسان في هذا العالم باحثًا عن المعنى والغاية والقيمة؛ لأنه يعلم وجود هذه الأشياء، ولأنه يستقر في وعيه معناها، ولأنه يدرك أنها معانٍ سلميةٍ تمامًا.

وهذا يُقدم توكيد مستمر لمعنى وجود الإنسان في هذا العالم!

ويقدم توكيد أكبر على مدى سخافة الإلحاد، وعجزه حتى عن تحليل وجوده من خلال نفس مقدماته، وعجزه عن تحليل ظاهرة الإنسان!

فلو كان الإلحاد صحيحًا لما ألحد أحد ولا أدرك أحد معنى كلمة إلحاد، ولما أدرك أحد معنى كلمة خير أو شر أو صواب أو خطأ!

الجرعة الحادية والعشرون

برهان الأخلاق ينقض الإلحاد

في البداية الأخلاق نوعان:

أخلاق مصلحية منفعية أنانية مادية، وهي تسمى أخلاق المجتمع – أُعاملك بأدب كي تعاملني بأدب – وهذه ليست الأخلاق الأصيلة التي يؤسس لها الأخلاقيون – أنبياء ومصلحين –، عبر كل العصور والأزمان.

وهناك النوع الثاني من الأخلاق وهي تسمى **الأخلاق الأصيلة**، وهذه الأساس واللب والحقيقة. وهي التي أسس لها المصلحون عبر التاريخ. مثل أخلاق: الصدق والعدل والأمانة والتضحية والإيثار والقناعة والحِلم والرضا وكل معاني حُسن الخُلُق.

لكن هذه الأخلاق تأتي مباشرةً ضد المصلحة الشخصية، فهي غير مربحة عمليًّا.

بل هي ضد المادة، وضد العقل.

ولم يتم البرهنة عليها عمليًّا أو عقليًّا إلى يومنا هذا.

فالعمل الأخلاقي في الأساس لا يكون أصيلًا إلا لو انتفت عنه الفائدة المادية أو الرياء أو أيَّة منفعة شخصية.

لكن هذا النوع من الأخلاق لا يمكن تبرير وجوده في عالم إلحادي مادي.

بل إن وجوده أو الاعتراف بوجوده هو أكبر ضربة يمكن توجيهها للفكر الإلحادي على الإطلاق!

فالإنسـان من منظور مادي أرضي هو كائن عضوي ذو ثلاثة أبعاد، حدود الطبيعة هي حدوده، يسري عليه ما يسري على الظواهر الطبيعية، فهو شيء بين الأشياء يمكن دراسته في إطار دوافعه الاقتصادية والمادية فحسب.

وبالتالي فإن أي حديث عن الأخلاق الأصيلة هو ضرب من القول بالميتافيزيقيا، وإدخال عناصر غير مادية على النموذج الإلحادي المادي المُجرد.

فالأخلاق في هذا الإطار تمثل ثغرة في النظـام الطبيعي، تمثل تمردًا على قوانين المادة.

وقد دخل الإنسان إلى التاريخ برأس مال أخلاقي مبدئي هائل. ومن هنا فقد ظهرت تلك اللحظة التي صنعت عصرًا جديدًا كما يقول علي عزت بيجوفيتش رحمه الله في كتابه «الإسلام بين الشرق والغرب».

فالأخلاق الأصيلة التي ظهرت مع الإنسان أكَّدت منذ اللحظة الأولى على أصالة ظهوره و تمرده على الطبيعة التي نشأ منها.

وفي هذه اللحظة صار الإنسان هو المركز والطبيعة هي الهامش.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ [الأحزاب:٧٢].

والماديون الذين يحاولون تحليل ظهور الأخلاق في إطار المادة، هم يقدِّمون أسهل طريقة لإسقاط الإلحاد؛ لأن المادة مهما تعقّدت لن تأتي بأنساقٍ غير مادية كالأخلاق!

فالمادة مهما تعقّدت لن تنتج شيئًا سوى المادة.

فالأخلاق الأصيلة وقيم الإنسان الأولى التي دخل بها العالم، وحريّته وتَرَفُّعه وتَمَرُّده على المادة كلها أنظمة لا يمكن بحالٍ ردها إلى العالم المادي المجرد!

إن كل هذه الأمور لتؤكد على تلك المقدمة السماوية التي دخل بها الإنسان إلى العالم!

فالأخلاق ثغرة معرفية كبرى في النسق الكوني؛ ولذا لا يمكن إخضاعها لقوانين الطبيعة وحتميات ماركس التاريخية، أو حتميات داروين العضوية، أو حتميات دوركايم الاجتماعية.

وهذا الاختلاف بين الأخلاق والطبيعة يُعبِّر عن نفسه في الاختلاف بين المؤشِّر في العلوم الطبيعية والمؤشِّر في العلوم الإنسانية كما يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري رحمه الله.

فأقل تحرير للنظر في مسألة الأخلاق يجعلك تدرك وبسهولة أنها تسير عكس الطبيعة أو بمعنى أدق لا علاقة لها بالطبيعة.

فالأخلاق ثغرة في الزمان فهي نتاج خلق، والله خلقها كاملة؛ لأن الله لا ينتج ولا يشيد وإنما يخلق، وكل هذا كما قلنا يؤكد أصالة ظهور الإنسان.

بينما في عالم الطبيعة توجد الأشياء وجودًا موضوعيًّا، فالأرض تدور حول الشمس، والشمس بدورها تتحرك. هذه حقائق طبيعية مادية.

أما في عالم الأخلاق فكم من أشياء فعلناها وكنا لا نريد أن نفعلها، وكم من أشياء وددنا أن نفعلها ولكن لم نفعلها أبدًا.

إذن هناك -كما يقول بيجوفيتش- عالمان عالم القلب وعالم الطبيعة، هذه العلاقة بين الإرادة والفعل تعكس التناقض المبدئي بين الإنسان والعالم.

أضف إلى ما سبق؛ إذا ارتكب إنسانٌ جريمة وأَصَرَّ على أنه فعلها بدون قصد، هنا يسعى كل محامي لإثبات عدم القصد. مع أنه بالمنظور المادي والعقلي الجريمة وقعت وانتهت على أرض الواقع، والمجرم أيضًا معترف أنه ارتكبها، لكن يتدخل القانون لمعرفة القصد والنية، ومعرفة حالة النفس أثناء ارتكاب الجريمة هل جرت بقصدٍ أم لا.

وهنا نضع النفس في مركز أعلى من الحقائق، وأعلى من الواقعة المادية المجردة، فنحن في الحقيقة لا نحكم على ما حدث في العالم لكن نحكم على ما حدث داخل النفس.

فالإنسان ليس مُفصَّلًا على طراز داروين.

إن الأخلاق ثغرة في نظام الطبيعة المادي فهي ثغرة معرفية، وثغرة زمانية، وثغرة قيمية، وثغرة عقلية، فالأخلاق كما قلنا عقليًّا غير مربحة بل ضارة بل هي أكبر عبء على صاحبها.

وقد تساءل برنارد ماندفيلBernard mandeville أستاذ علم الأخلاق الإنجليزي عن: ما أهمية الأخلاق لتقدم المجتمع والتطور الحضاري؟

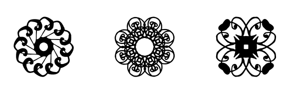
وأجاب ببساطة: لا شيء بل لعلها تكون ضارة.

والأخلاق والدين هما أقدم الأفكار الإنسانية ترًا، وقد ظهرا سويًّا مع الإنسان، **والإله هو الشرط الوحيد لسمو الإنسان وحريته وأخلاقه ومبادئه وقيمه.**

فالأخلاق الأصيلة تستمد قيمتها من عالمٍ آخر؛ عالم لا علاقة له إطلاقاً بعالمنا المادي المجرد، وبدون هذا العالم الآخر تتحول الأخلاق إلى مجرد لغو فارغ، ووهم يستحيل أصلًا التنبؤ بوجوده لعدم وجوده!

فما بالنا والأخلاق موجودة، بل هي ركيزة أيَّة أمة أو حضارة، بل وحتى أعتى الملحدين لا يمنع نفسه من الادعاء بالتزام الأخلاق، مع أنه بذلك ودون أن يدري يُسقط المنظومة الإلحادية بأكملها.

فالأخلاق كقيمة تنقض الإلحاد!



الجرعة الثانية والعشرون

عشرون دليلاً على كون الإلحاد

أغبى مذهب على وجه الأرض!

١) الإلحاد يخالف القانون الأول لنيوتن:

القانون الأول لنيوتن يقول: "إن الجسم الساكن يبقى ساكنًا، والمتحرك بسرعة منتظمة يبقى متحركًا ما لم تؤثر عليه قوة خارجية تؤثر من وضعه (السكوني او الحركي)" إذن لابد من قوة خارجية أجبرت على ظهور كل مادة الكون وكل طاقة الكون في لحظة.

٢) ا لإلحاد يخالف القانون الأول للديناميكا الحرارية

قانون بقاء الطاقة أو ما يعرف بالقانون الأول للديناميكا الحرارية يقول: " المادة لا تفنى و لا تُخلق من العدم". إذا تأملنا هذا القانون نصل إلى استنتاج أن الكون لا يمكن أن يوجد، وطبقًا لهذا القانون فالكون غير موجود أو هو موجود في وجود الخالق.

٣) الإلحاد يخالف القانون الثاني للديناميكا الحرارية

القانون الثاني للثرموديناميك يقول: إن الكون يتجه الآن نحو الموت الحراري عندما تتساوى حرارة جميع الأجرام والجسيمات، فالكون كما يقول العلماء يتجه نحو التفكك نحو الهدم نحو البرودة نحو التبسيط نحو الموت الحراري thermal death of universe بينما يقول الإلحـاد: إن الكون يتجه نحو التعقيد نحو البناء نحو التطور؛ لذا يعتبر العلماء أن القانون الثاني للثرموديناميك يحمل في طياته نهاية الداروينية والتطور الانتقائي..، وهذا قانون وليس نظرية، فالعلم في جانب والإلحاد والداروينية في جانب آخر تمامًا.

٤) الإلحاد يخالف قانون الأخلاق

تعريف الأخلاق الأصلية :–هي تلك الأخلاق التي تأتي ضد المصلحة الشخصية.. ضد المادة.. ضد العقل.

فالالتزام الأخلاقي يُمثل قيدًا للإنسان، وكما قال نيتشه قديمًا : "إن قصور الإنسان في القوة ناتج عن التزامه الأخلاقي".

فالأخلاق غير مربحة عمليـًّا، فلابد أن يكون للأخلاق قيمة وهذه القيمة لا تكون من هذا العالم..، قيمة لا تُقاس بالمعايير المادية المُجردة، ولا تخضع للقوانين الطبيعية..، فالسلوك الأخلاقي والتضحية والمُثُل العليا والزهد والتبتل والإيثار هذه الأخلاق الأصيلة إما أنها لا معنى لها وإما أن لها معنى في وجود الله. هذه الفقرة بسطناها في جرعة مستقلة.

٥) الإلحاد لا يجد تفسيرًا لقانون الزوجية

يقول الشيخ نديم الجسر في كتابه الماتع "قصة الإيمـان" :" وكنت قبل ذلك لا أدرك أبدًا سر الحكمة في تكرار ذكر الزوجين الذكر والأنثى في القرآن ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات:٤٩]،﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ [النجم:٤٥].

إلى أن قرأت للفيلسوف المعاصر هنري برغسون وأدركت أن تكرار ذكر الزوجين لا يُراد به المِنة فحسب بل يُراد به شيءٌ أعظمُ وهو التنبيه إلى ما في اطراد الزوجية في النبات والحيوان بل والجسيمات من دليل عظيم على القصد ونفي المصادفة والداروينية والعشوائية والعبثية"[١].

٦) الإلحاد المادي يقع في تناقض مع النفس اللامادية

إذا ارتكب إنسانٌ جريمة وأصرَّ أنه فعلها بدون قصد يسعى كل محامٍ لإثبات عدم القصد مع أنه بالمنظور المادي، فالجريمة وقعت وانتهت على أرض الواقع، والمجرم أيضًا معترفٌ أنه ارتكبها لكن يتدخل القانون لمعرفة القصد والنية ومعرفة حالة النفس أثناء ارتكاب الجريمة، وهل وقعت الجريمة بقصد أم لا..؟ وهنا نضع النفس في مركز أعلى من الحقائق أعلى من الواقعة المادية المجردة..، فنحن في الحقيقة لا نحكم على ما حدث في العالم لكن نحكم على ما حدث داخل النفس، وهذا يعكس التناقض المبدئي بين الإنسان والعالم[٢]. .

٧) الإلحاد يخالف قوانين حقوق الإنسان

فحقوق الإنسان هي قضية ميتافيزيقية بحتة، فقولك: إن البشر متساوون. هذا ممكن فقط إذا كان الإنسان مخلوقًا لله، فالمساواة بين البشر هي خصوصية أخلاقية وليست حقيقة طبيعية

---

(١) قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ص ٣٩٣.

(٢) هذه الفكرة مُستقاة من روائع علي عزت بيجوفيتش.

أو مادية أو عقلية، فالناس من المنظور المادي أو الطبيعي أو العقلي هم وبلا شك غير متساوين وتأسيسًا على الدين فقط يستطيع الضعفاء المطالبة بالمساواة.

فهؤلاء الضعفاء والفقراء في المال والصحة والعقل والمُستبعدون من موائد الاحتفالات في العالم الذين ليس لديهم ما يعرضونه أو يبرهنون عليه، ليس لديهم إلا مدخل الدين وحسب الذي يبرهنون من خلاله أنهم متساوون بل ربما أحسن حالًا عند الله من الأصحاء، وهذا فيه برهانٌ متكررٌ لقيمة الدين في المساواة [١]..

٨) الإلحاد ينتهك كل الحرمات فهو لا يعترف لا بحرمة ولا بقداسة

لا قيمة لكومة الفضائل التي ظلت الأديان تؤسس لها طيلة عشرات الآلاف من السنين، فكما يقول الدكتور المسيري : "ينظر العلماني إلى الأرض على أنها مادة مُستغلة وغايته هي تحقيق أقصى إشباع منها ". أو كما يقول المفكر الإنجليزي جون لوك : "إذا كان كُل أمل الإنسان قاصرًا على هذا العالم وإذا كنا نستمتع بالحياة هنا في هذه الدنيا فحسب فليس غريبًا ولا مجافيًا للمنطق أن نبحث عن السعادة ولو على حساب الآباء والأبناء".

فأفكار النجاسة والقداسة والعفة والطهارة هي أفكار مُستمدة من عالم آخر لا علاقة لها بالعالم المادي الدارويني الحتمي البارد..، إننا لو كُنا حقًّا أبناء هذا العالم لن يبدو لنا فيه شيءٌ نجسٌ أو مقدسٌ.

٩) الإلحاد يخالف قانون السببية:

العدم لا يصنع شيئا.. لكل سبب مُسبب.. هذه بداهة عقلية مركوزة في الأذهان فهي أعلى من القانون وعليها تقوم علوم الدنيا ومقاصد الغايات، يقول ديكارت" : أنا موجود فمن أوجدني ومَن خلقني؟ إنني لم أخلق نفسي فلابد لي من خالق. وهذا الخالق لابد أن يكون واجب الوجود وغير مفتقر إلى من يوجده ولابد أن يكون متصفًا بكل صفات الكمال". ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ [الطور:٣٥].

ولا يخطر ببالنا أن ننكر هذه البداهة العقلية بحجة أن وهمًا عقليًّا يتطلب منا تسلسل العلل

---

(١) من روائع الأستاذ علي عزت بيجوفيتش في كتابه الرائع (الإسلام بين الشرق والغرب).

إلى غير نهاية فهذا باطل عقلًا، أو بحجة عدم معرفتنا لِكُنْهِ العلة.

وقانون السببية ليس قائمًا على المشاهدة كما يدعي الملاحدة، فحواسنا إنما تُرِينا صورًا عن ظواهر مفككة متتابعة ولا ترينا أبدًا علاقة السببية، فكيف نعرف هذه العلاقة إلا إذا كان العقل فيه قوانين منظمة فطرية – وهذا الكلام لديكارت – يستطيع بها أن يدرك الإحساس ثم يُصدر أحكامًا إنشائية جديدة لا يعتمد فيها على الإحساس.

١٠) الإلحاد يخالف قانون القصد والعناية

كل الموجودات على سطح الأرض موافقة لوجود الإنسان بل وتعمل تبعًا له، فليس غريبًا أن نقول: إن كل ما حولنا يخضع لمتطلباتنا من ليل ونهار وفصول أربعة، والمكان والهواء والجزئيات المحيطة ومدى موافقة كل ذلك لطبيعة الإنسان وحاجياته، وليس مجافيًا للحقيقة أن نقول: إن هذا التناغم مصممٌ خصيصًا لإنتاج الجنس البشري، وأنت بمجرد أن تغسل يدك تموت آلاف البكتريا، فالإنسان هو العنصر الثابت في تاريخ العالم، وتظل روحه وقيمه الأخلاقية لا تتغير، فالإنسان كان وسيبقى هو الإنسان منذ ألف سنة ولدها الماضي إلى ألف سنة يلدها المستقبل لا تتغير طبيعته ولا مراداته، ويبقى كل ما حوله مُسخرٌ له.

١١) الإلحاد يخالف الغائية

العلم في تقدم مستمر؛ كل أبحاث العلماء مؤسسة على وجود قوانين تحكم العالم وتحكم المادة..، وغاية العلم في كل بحث هي إيجاد القانون الذي يحكم، فالعلم غائي ولذا هو في تقدم مستمر..، ولولا إقرار العلم مُسبقاً بوجود قانون يحكم كل شيء لما تقدم العلم خطوة واحدة..، وهنا يكمن التناقض المبدئي بين الإلحاد العبثي والعلم الغائي..، ولا يُتصور أن يكون كل ما حولنا ذا قانون غائي يحكمه، ويكون الإنسان هو الفذ العبثي الوحيد في القضية.

وكما في الأثر عن الباري سبحانه : " كنت كنزًا مخفيًّا فخلقت الخلق ليعرفوني ".

١٢) الإلحاد يخالف قانون التناسق السابق التوطيد

يقول ليبنتز:" إن الذرات تسير بإرادة الله وتعمل بقدرته بصورة يظهر منها أنها تتصل ببعضها وهي في الحقيقة لا تتصل، ولكن قدرة الله تجعل كل ذرة تسير سيرًا يوافق سير الذرات الأخرى،

فالذي يظهر لنا من التوافق هو أثر قانون التناسق السابق التوطيد، فإن المادة لا تعقل القوانين التي تُطبق عليهـا ولا يوجد واجب عقلي يحتم أن يغلي الماء عند مائة درجة مئوية، أو أن تتباعد جزيئاته بالغليان وكما يقول هيوم : "فإن العلم الذي يفسر ذلك بالتفسيرات السابقة هو علم فج جدًّا فهو لا يقوم بأكثر من إقرار الحالة، فحسب دون أن يقدم مبررات لذلك، ولا محيص أمامنا من الاعتراف بقانون التناسق السابق التوطيد".

١٣) الإلحاد يخالف مبدأ باركلي الشهير

يقول هيوم : "ليس من دليل يُحتم علينا الاعتقاد بوجود شيء إذا ما غاب عن حواسنا، ولا دليل يرغمنا على الاعتقاد بأن الشيء الذي رأيناه اليوم ثم تركناه وعدنا لنراه في اليوم الثاني هو هو نفس الشيء الذي رأيناه في اليوم الأول، فنحن لا نعلم عن العالم الخارجي إلا ما في أذهاننا من مدركات حسية، والعقل يُحَتِمُ وجودَ عقلٍ كلي يستوعبُ جميعَ الأشياءِ ويكونُ شهيدًا عليها، وصدق الله إذ يقول: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣].

١٤) الإلحاد هو المؤسس لأكثر المذاهب إجرامية على وجه الأرض

يقول سه غور :" إن مذهب الداروينية من المذاهب المرذولة التي لا يؤيدها إلا أحط النزعات وأسفل المشاعر فأبوها الكفر وأمها القذارة ".

ولم تقم النازية الهتلرية إلا على تفاضل الأجناس والأعراق.

يقول ماو تسي تونج الملحد: "جميع الحيوانات السُّفلية سوف تُعدم و كُلُّ مَن وقف ضد الثورة هو خطأ تطوري"[(١)].

وقال في ٩ ديسمبر ١٩٥٨ : «المقابر الجماعية توفر سمادًا جيدًا للأرض». والنتيجة ٥٠ مليون قتيل صيني.

وقال الملحد جيفارا : "لكي ترسل رجالًا إلى فرقة الإعدام، فالإثبات القضائي غير ضروري. يجب أن نتعلم كيفية قتل الطوابير من البشر في وقت أقصر"[(٢)].

---

(1) china and charles darwin james revee rusey p.456.

(2) http://www.therealcuba.com/MurderedbyChe.htm.

وقال الملحد المجرم لينين : "لا رحمة لأعداء الشعب بل اقتلوا واشنقوا وصادروا"[(١)].

وقال ماركس : "ليس لدينا من شفقة لكم، ولا نسألكم الشفقة، فحينما سيأتي يومنا، فنحن من ناحية الممارسة متوحشون مستنكفون"[(٢)].

ويبرر ماركس هذا التوجه الإجرامي الرهيب قائلًا : "حينما يتهمنا الناس بالقسوة، فنحن نتساءل كيف نسي هؤلاء أساسيات الماركسية؟ – إنها أساسيات إلحادية بداهةً"[(٣)].

والنتيجة ٢٥٠ مليون قتيل في قرن واحد جراء الإلحاد وهذا ربما يفوق قتلى جميع الحروب عبر كل التاريخ.

١٥) الإلحاد ضد الفن والحياة

إن وجود عالم آخر إلى جانب عالم الطبيعة هو المصدر الأساسي لكل دين وفن، فإذا لم يكن هُنـالك سوى عالم واحد لكان الفن مستحيلًا.

الإلحاد لن يفهم أبدًا جوهر الفن وطبيعته، فإذا لم يكن هناك روحٌ للإنسان فلِم إذن نحرص على أن يكون للفن روح؟

إن العلم عندما يواجه الإنسان فهو يبحث فيه عما هو ميت وعما هو لا شخصي، بينما عندما يتناول الفـن الإنسان فإنه يبحث فيه عما هو إنساني وغائي، فالفن في صِدام طبيعي مع العالم ومع جميع علومه، إنه التمرد الصامت، وإذا لم يوجد على الإطلاق سندٌ للإنسـان ولا مجال لروحه ولذاته فإن الفـن لا مجال له.

الفن بطبيعته وباعترافه بوجود عالم آخر فهو يحمل معانٍ ثورية، ويحمل كُفرًا بالعالم المادي..، فجوهر الأعمال الفنية غامضٌ غموضـًا تامًّا، إنه تمردٌ دائمٌ على الواقع..، إنه اعترافٌ متكررٌ بوجودِ عالمٍ آخرَ تنتمي إليه دراما الوجود الإنساني، فهو اعترافٌ بمعاناة الإنسان على الأرض وعجزه عن تحقيق الفردوس الذي تستقر في مخيلته صورته، فالفن ببساطة هو ثمرة

---

(1) http://www.marxists.org/archive/lenin/works/1917/dec/25.htm.

(2) http://www.marxists.org/archive/marx/works/1849/05/19c.htm.

(3) http://www.marxists.org/archive/lenin/works/1918/nov/07b.htm.

الصلة بين الروح والحقيقة.

ولذا عند التدقيق في لوحة فنية عميقة، وعند قراءة رواية رائعة، يعتري الإنسانَ شعورٌ غريبٌ وغامضٌ بالسمو والقداسة ودخول عالم الخلود..، الفن كالدين تمامًا كلاهما يعترف بوجود عالم آخر، لكن الفن ليس دينًا إنما هو تعبير عن الدين فهو الابن غير الشرعي للحقيقة، وتبقى الحقيقة حصرية للدين. وهذه الفقرة بسطناها في جرعة مستقلة.

١٦) الإلحاد يمثل شذوذًا في تاريخ الحضارات

الإلحاد ليس أكثر من شذوذ فكري وتلوث عقلي في تاريخ الأمم والحضارات، يقول المؤرخ الإغريقي بلوتارك : "ربما توجد مدنٌ بلا أسوارٍ بلا جيوشٍ بلا مصانعَ لكن لا توجد مدينة بلا معبد".

ولا يظهر الإلحاد إلا كزعانف سمك القرش وسط بحر الدين الهادر- بتعبير الدكتور عبد الله الشهري-، فالإلحاد ظاهرة طفيلية في تاريخ الأمم.

يقول صاحب كتاب "لماذا نقول أن الله موجود" يقول ما يلي : "ومنهم من قال بأن الإنسان يهتدي إلى الله بوحي وبغير وحي وإن كان الوحي أهدى وأفضل، وقد ذهب البعض إلى أن العباداتِ جميعًا وحيٌ من الله، ولكنه وحيٌ قديمٌ شابته الخرافات من فعل السحرة والكهان فانحرفت الأمم البدائية في جهالاتها، فكان الله يرسل الرسل لتنقية هذه العقائد من الانحرافات ".

فلا توجد أُمة بلا دين، وكل الديانات في أصلها توحيدي، وجائت الوثنيات كمرحلة لاحقة كما يقرر علماء الأديان أمثال شميث ولانج، وقد تم اكتشاف موروثات عند الهنود الحمر وسكان أمريكا الشمالية الأصليين تشبه في كثير من مراسيمها أصحاب الديانات السماوية خاصةً فيما يتعلق بالعقاب والجزاء، وهذا فيه حجة على أن البشر متشابهون في التعقل وطلب الهداية.

يقول الشيخ نديم الجسر في رائعته قصة الإيمان ص٣٥: «وإني أرَجِّحُ أن كثيرًا من فلسفة الأقدمين في مصر والصين والهند هي بقايا نبوات نسيها التاريخ فحُشر أصحابُها في عداد الفلاسفة ولعلهم من الرسل أو اتباع الرسل».

فالإلحاد هو توجه شاذ يظهر بصورة وقتية وسرعان ما يختفي، ولو كان ينفع الناس لمكث

في الأرض.

١٧) بداية الكون وسقوط خرافة الكون الثابت المستقر

عام ١٩٨٩ أطلقت ناسا قمرًا صناعيًّا " **كوبا**" للكشف عن الإشعاع الكوني المُتخلف عن بداية الكون، وتجميع معلومات بشأن هذا الإشعاع، واستطاع القمر في ٨ دقائق فقط أن يُعطي صورة كاملة للإشعاع، وبها ثبت أن الكون مُحدث وهذا ما أوقع الملاحدة في حرج كبير.

يقول الملحد الشهير إدنجتون A.S.Eddington: "إن فكرة أن الطبيعة ظهرت فجأة تبدو لي مُحرجة ".

ويقول دينيس شياما Dennis Scaima : "لم أُدافع عن نظرية الكون المُستقر لكونها صحيحة بل لرغبتي في كونها صحيحة، ولكن بعد أن تراكمت الأدلة فقد تبين لنا أن اللعبة قد انتهت.. وأنه يجب ترك نظرية الكون المستقر جانبًا".

ويقول زميله جورج آبل George Abel : " لم يعد أمامنا مناص من القبول ببداية الكون".

ويقول الملحد الشهير وفيلسوف الإلحاد في القرن العشرين Anthony Flew يقول بعد أن وصل الثمانين من العمر : " يقولون: إن الاعتراف يفيد الإنسان من الناحية النفسية، وأنا سأُدلي باعترافي.. إن بداية الكون شيء محرج جدًّا بالنسبة للملحدين.. ذلك لأن العلم أثبت فكرة طالما دافعت عنها الكتب الدينية".

لقد انهار الإلحاد أمام العلم، لقد صار الملاحدة يُدافعون عن أفكار ميتافيزيقية فاشلة دخلت مزبلة التاريخ، فالكون له بداية وكان الله ولم يكن شيء معه ولا شيء قبله يقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [السجدة:٤]، ولفظة ستة أيام تدل على الحدوث الزمني، فالكون ليس أزلي بل له بداية.

١٨) ما اللغز وراء انحياز العلم الحديث نحو القرآن

يقول غوستاف لوبون: "الإسلام من أكثر الديانات ملاءمة لاكتشافات العلم"، ولذلك يكثر اعتناق الإسلام في الأوساط العلمية من دكاترة وبروفسورات وباحثين.

يقول الرائع علي عزت بيجوفيتش : "كتب أرسطو ثلاثة كتب علمية، في الطبيعيات.. في السماوات.. في الأرض، هذه الكتب الثلاثة لا توجد اليوم فيها جملة واحدة صحيحة علميًّا..، الكتب الثلاثة من منظور علمي تساوي صفرًا من عشرة، بينما القرآن وكما يقول موريس بوكاي في كتابه الشهير "القرآن والإنجيل والتوراة بمنظور العلم الحديث" : "الحقيقة أني لم أجد آية واحدة من القرآن الكريم تخالف حقيقة علمية واحدة، بل لقد سبق القرآن العلم الحديث في مناحٍ كثيرة، وصحح كثيرًا من النظريات العلمية التي كانت سائدة في عصره، مثلًا فكرة أن المياه الجوفية تكونت عن طريق هوة عميقة فى قاع القارات نقلت المياه الجوفية من المحيطات الى أعماق الأرض، هل صادق القرآن هذه الخرافة العلمية التي كانت سائدة في ذاك العصر؟ أم قال ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر:٢١]، فمصدر المياه الجوفية هو الينابيع المتكونة من الأمطار، وليس فجوة أرسطو التي في عمق القارة والتي كانت سائدة في ذلك الوقت"..

١٩) الإلحاد لا يعطي تفسيرًا لأي شيء

الإلحاد ليس حلًّا ولكنه اعتراف بالفشل في إيجاد حل، هذه هي بداية الإلحاد ونهايته..

يقول الملحد الشهير ريتشارد داوكنز في كتابه الأخير: "الملحدون يشبهون أشتات القطط –كل قطة في اتجاه –.. ". فكلُّ ملحدٍ عبارة عن كنيسة مستقلة، وكما يقول الشيخ مقبل بن هادي: " فإذا اجتمع عشرة من أهل الباطل افترقوا على أحد عشر قولًا". فلا تجد ملحدين اثنين يجتمعان على قول، وهذا من بلايا الإلحاد ومصائبه، فهو مذهب غير منضبط لا يحمل تفسيرًا واضحًا لأيَّة قضية، ولا يحمل قيمة، مجرد لعبة عقلية مُسلية كما قال الدكتور يحيى الرخاوي..، فالإلحاد في حد ذاته لا يعدو أن يكون حكمًا سطحيًّا ساذجًا كسولًا للغاية على قضية عميقة وخطيرة

للغاية... فالإلحـاد مذهبٌ شكِّيٌّ عَدَمِيٌّ سَفْسَطِيٌّ عَبَثِيٌّ غَوغائيٌّ، وبما أن العلم في تقدم مستمر، وبما أنه توجد قوانينُ وحقائقُ ثابتةٌ ووظيفة العلم هي أن يبحث عنها إذن لا وجودَ لا للإلحـاد ولا للأدرية العبثيين.

٢٠) عودة العالم العلمي إلى الله

يقول العالم الفيزيائي Frederick Bermham مؤلف كتاب "تاريخ العلم" Science historian : "في الوقت الحالي الأوساط العلمية تعتبر فكرة خلق الله للكون فكرة محترمة أكثر من أي وقت مضى منذ مئات السنين".

يقول ميشيل بيهي : "إن الاضطرار للتسليم بالخالق هو اضطرار علمي، فالنتيجة لكل تلك الجهود المتراكمة لفحص الخلية. أي : لفحص الحياة على المستوى الجزيئي هي صرخة عالية واضحة حادة للتصميم"..

وليس أدل على ذلك من عودة مئات العلماء والمفكرين في السنوات القليلة الماضية إلى الله واعترافهم بأن سببَ الإلحـاد نفسيٌّ أكثر منه عقلي.

يقول عالم الفلك الشهير فريد هويل في كتابه Mathematics of Evolution صفحة ١٣٠ : " في الحقيقة كيف لنظرية علمية واضحة جدًّا تقول: إن الحياة جمعها عقلٌ ذكِيٌّ، ومع ذلك فإن الشخص يتعجب ويتساءل، لماذا لا يقبلها بشكل واسع باعتبارها بدهية؟ ...لكن أغلب الظن أن الأسباب نفسية أكثر منها علمية".

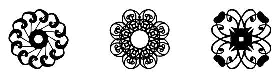
ورحم الله الإمـام الحُسين- رضي الله عنه- حين قال : «**إلهي عميت عينٌ لا تراك**».

والخلاصة فقد صدق الشيخ الغزالي حين قال: «إننـا نتصـور بغلًا يبني الأهـرام ولا نتصـور هذا الذي يفترضـه الملحدون حين ينكرون الأُلوهيـة».. وكمـا قيـل في الأثـر: «الثور يعرف قانيه، والحمار يعـرف صاحبه، أما هـذا فلم يعرف..».

أو كما قال الكتاب المقدس في مزامير داود النبي: "وقال الغبي في نفسه ليس إله"[١].

مزمور..

أو كما قال ربنا في محكم التنزيل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].



(١) مزمور ١٤-١.

الجرعة الثالثة والعشرون

انهيار الربوبية

بعض الناس أمام أدلة الخلق والإيجاد والصنع الإلهي المتقن لمنظومات الحياة والكون، يضطرون إلى التسليم لله بالخلق لكنهم يرفضون التسليم له بالطاعة، وهؤلاء يُسمون الربوبية.

فهم يرفضون الرسل والرسالات!

وفي مثلهم يقول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام:٩١].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: «وما عظَّموا الله حق تعظيمه، إذ كذبوا رسله إليهم».

فمَن أنكر رسل الله لم يُقدر الله حق قدره؛ إذ يفترض أن الله خلقنا ولم يهدنا سبل النجاة، ولم يبين لنا غائية وجودنا.

ويزعم هؤلاء الربوبية أن العقل كافٍ لتحقيق مراد الله من خلقه.

لكنهم وقعوا بذلك في إشكالٍ كبير

فالذكاء الإنساني متفاوت، وبالتالي تتغير صفات الإله ومراداته حسب القدرات العقلية والمنهج الاستنباطي لكل ربوبي، وحتمًا هناك مَن يُجيز على الإله ما لا يُجيزه غيره.

وبالتالي تكون أمامنا عقولٌ متفاوتة ينتج عنها نسخٌ عن صفات الإله تختلف كل نسخة اختلافًا جذريًّا عن النسخة الأُخرى، والمشكلة الفعلية هي: أي نسخة سيؤمن بها الإنسان؟

وبأي حُجة سيتم إقناع أتباع الربوبية باعتماد هذه النسخة بديلاً عن نسخٍ أُخرى؟

وماذا لو ظهرت في المستقبل نُسخٌ أكثر رُقيًّا؟ هل سيتم اعتمادها واعتبار أن المؤمنين بالنسخ السابقة لم يكونوا يعرفون الإله الحقيقي؟

وكيف يتم إقناع الربوبيين بوجود نسخة حصرية وعقل حصري استطاع أن يعرف صفات الإله الحقيقية؟

أليس من الممكن أن يحدث تمرد عام داخل المذهب الربوبي؛ لأن فكرة العقل الحصري

والنسخة الحصرية هي فكرة لا يمكن استيعابها إلا في إطار وحي ورسالات، وبالتالي انهيار كامل لأصل الأصول في الربوبية؟

ثم ما الذي يجعل هذه النسخة أفضل من نُسخ أخرى لا نهائية يفترضها العقل الواحد بمرور السنين والتجارب والنمو الفكري والعقل الأداتي؟

إذن يجب تأجيل طرح النسخة للإيمان الذاتي إلى حين قبل الموت بلحظات بحيث لا تبقى فرصة لطرح نُسخ أعلى رُقِيًّا وأكثر تَهَذُّبًا.

مما سبق يتبين استحالة – استحالة – استحالة اعتبار العقل معيارًا لتحديد صفات الإله أو مراداته من خلقه، واستحالة اعتبار النُّسخ العقلية التي يفترضها لتحديد صفات الإله هي نسخ حصرية، ومن هنا يتبين انهيار الربوبية في أعظم أصل من أُصولها وهو استخدام العقل في تحديد صفات الإله ومراداته.

إن العقل يؤله ويوثن، ويصنع الوهم والخرافة والحقيقة.

فكيف يكلنا الخالق إلى عقولنا وحدها دون بيانٍ، ورسالة هداية؟

كيف تكون الربوبية هي ما يريده الله منا وتكون هي المنهج الذي يرتضيه الله لعباده، والعقل لا يعرف مستقلًّا ماذا بعد الموت ولا يعرف لماذا هو في هذا العالم ولا يعرف ألف باء أجوبة للأسئلة الوجودية الكبرى في حياتنا.

فالعقل بدون النبوات، كالعين بدون آلية الإبصار، وكالأذن بدون آلية السمع. ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف:١٧٩].

فللعقول أقيسة لا نهائية لكل مسألة، وضروب متباينة متفاوتة. فكيف ينجو بعقله مَن رأى نسبية طرحه؟

يقول ابن قتيبة رحمه الله: «وقد كان يجب مع ما يدّعونه – في تقديسهم للعقل–من معرفة القياس وإعداد آلات النظر أن لا يختلفوا كما لا يختلف الحُسّاب والمُسّاح والمُهندسون؛ لأن آلاتهم لا تدل إلى على عددٍ واحد، وإلا على شكلٍ واحد، فما بالهم أكثر الناس اختلافًا؟ لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمرٍ واحدٍ»[(١)].

فما أشد تشرذم الذين اعتمدوا العقل وحده في النظر!

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص١٤.

فالعقول متفاوتة. ولا إجابة إلا ببعثة الرسل فهي التي تحسم الخلاف بين العقول.

قال الماوردي: «إن قضايا العقول قد تختلف فيما تتكافأ فيه أدلتها فانحسم ببعثة الرسل»[١].

وتفاوت العقول ليس لتفاوت الأفهام فحسب، ولا لتفاوت القدرات والملكات فقط. بل إن العقل ذاته يتغير في كل لحظةٍ. فانظر إلى نفسك في يومك وأمسك وغدك. وانظر إلى ما كنت لا تعقله ثم عقلته، ثم ربما غدًا لفظته أو عقِلت غيره. فهذا حالك وأنت **بعقلك لا بعقل غيرك تتقلب!**

فـ: «**رحمة الله الكبرى هي النبوة والرسالة، وكل ما فيها خيرٌ مما يجمعون بعقولهم المختالة**»[٢].

والعقل لا يدل على شيءٍ من الغيب ولا يعرف تفصيل الماوراء وجزئياته فضلًا عن مجمله فضلًا عن ثبوته أو نفيه!

ثم ما فائدة أن تشهد آيات الخلق وشواهد الحق وحِكَم النِّعم بعقلك، ثم لا تعرف ردة فعلك الأصلح تجاه ذلك وغاية وجودك؟

فأي تخلفٍ وانحطاطٍ معرفيٍّ يريد أن يعيشه هؤلاء منكرو الرسالات؟

فليس أكفر من الربوبي الذي يرد على الله وحيه ويعترض نبوة نبيه وينكر رسالته ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد:٩].

فالربوبي الذي يؤمن بالله ويكفر برسله هذه عقيدته ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء:١٥٠].

وهذا مصيره ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ ﴾ [النساء:١٥١].

لقد انهارت الربوبية في أصل أصولها، وانهار معها حلمٌ جديدٌ لإعادة الوثنية بصورة أكثر عقلية وأكثر حكمة ومنطقية في الظاهر لكن في الباطن لا تختلف الربوبية في منهجها الاستدلالي عن أحط الديانات إغراقا في الوثنية والمادية؛ لأن العقل الذي يؤله هو العقل الذي يوثن كما فصّلنا، وعليه تكون الربوبية هي أحد المذاهب الكُفرية لا تختلف كثيرًا عن الإلحاد والوثنية والفلسفات المادية، ويعود الربوبي مرةً أخرى ليكتشف أنه من أكفر الخلق وأبعدهم عن الله والحق، في الوقت الذي كان يظن أنه العبقري الذي أتى بما لم يأت به الأوائل ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم

---

(١) أعلام النبوة للماوردي ٢-٦٨.

(٢) الملل والنحل ٢-٢٥٢.

بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ – ١٠٥]

وكم من ربوبي عبر التاريخ ظن أنه بعقله ناج وهو في الدركات هالك ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [يس: ١٤-١٧].

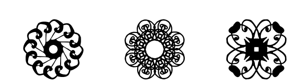
الآن بحمد الله انتهى قراءة نصف الكتاب...

قراءة نصف العدد من الجرعات!

إذا كنت عند هذه المرحلة من الكتاب لم يسقط الإلحاد من نظرك بعد

فأغلق الكتاب وانشغل بغيري!

إذا كنت قد اطمئن قلبك إلى سخف الإلحاد وكذب دعاويه فاترك لي ناظريك فيما يلي، عسى الله أن يصلح قلبك ويزيل ريب عقلك



الجرعة الرابعة والعشرون

كل خيرٍ في الوجود فمنشؤه من جهة الرسل

بدون الرسل والرسالات والإيمان بالنبوات، تتحول كل القيم في هذا العالم إلى غثاء.

بدون الإيمان بالنبوات يتحول الإنسان إلى مجرد نفاية نجمية star-stuff بلا قيمة كما يقول اللاأدري كارل ساغان[١].

بدون التسليم بصحة الرسالة تتحول كل الأشياء الجميلة إلى رعب ويصير الكون بلا هدف، وتصبح كل الغايات السامية هراء لا يُطاق[٢].

هذه مسلمات يتفق عليها الملحد والمؤمن!

فالعالم لا يستمد قيمته من ذاته.

ولذلك لا يرغب عن الإيمان بالله وبرسالاته إلا مَن أراد أن يدمر معنى وجوده، ويُسفه غايته في الحياة ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ [البقرة:١٣٠].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «كل خيرٍ في الوجود فمنشؤه من جهة الرسول، وكل شر في العالم مختص بالعبد فسببه مخالفة الرسول أو الجهل بما جاء به، وأن سعادة العباد في معاشهم ومعادهم باتباع الرسالة، والرسالة ضرورية للعباد لابد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاحٍ للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور، والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة.

وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، ويناله من حياتها وروحها، فهو في ظلمة

---

(1) Video Source: The Shores of the Cosmic Ocean [Episode 1]

Some part of our being knows this is where we came from. We long to return. And we can. Because the cosmos is also within us. We're made of star-stuff. We are a way for the cosmos to know itself. 06 min 04 sec.

(2) cosmically inconsequential bundles of stardust, adrift in an infinite and purposeless universe.

وهو من الأموات قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢].

فهذا وصف المؤمن، كان ميتا فى ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نوراً يمشى به فى الناس.

وأما الكافر فميت القلب ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾، وسمى الله تعالى رسالته روحًا، والروح إذا عُدم فقد فقدت الحياة قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢]. فذكر هنا الأصلين وهما الروح والنور»(١).

فأي ضلالةٍ يحياها المرء بإنكاره للرسل والرسالات!

وكل البشر بفطرتهم وصبغتهم التي صبغهم الله عليها لديهم قناعة بالواجب الأخلاقي، حتى الملحدين منهم. لكن لا شيء مادي يعطي تبريرًا لهذا الواجب الأخلاقي.

فما مصدر هذا الواجب الأخلاقي؟

أيضًا: لا شيء مادي نستمد منه وخز الضمير الأخلاقي وشعورنا بالحرج حين نُخطئ!

وإذا لم تكن الرسالات موجودة فلا يمكنك أن تصف عمل ما بأنه "أخلاقي" أو عمل آخر بأنه "لا أخلاقي"، فقط يمكنك أن تقول: هذا "يعجبني" وذاك "لا يعجبني".

فبمعزل عن الله والرسالات لا يمكنك أن تبرر الواجب والحق والعدل والقيمة!

فنحن في عالمٍ مادي غير معني بالأخلاق أصلًا!

فإما أن هذه الأخلاق سخف على أعلى درجة، وإما أنها تستمد معناها من عالمٍ آخر!

لذا فالرسالة هي روح هذا العالم، وهي نبضه الأوحد، وبغيرها يتحول العالم بكل صخبه إلى جثةٍ هامدة.

فالدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩-٩٣،٩٤.

رحمه الله، فالرسالة روح العالم ونوره وحياته.

وظاهرة الرسالات والنبوات هي من الظواهر التي يتوقف عندها التاريخ بالرصد والتعجب واليقين. فالرسالة ليست حدثًا فرديًّا لا يتكرر.

ولا هي تطلعًا نفسيًّا عند دعاتها بل هي على العكس من ذلك تمامًا، فكثير من الأنبياء كيونس وأرميا ومحمد -عليهم الصلاة والسلام- توقفوا في بداية رسالتهم ورهبوا الموقف وابتعدوا، ولكن دعوتهم استولت عليهم أخيرًا، بعد أن تبين أنها دعوة من خارج أنفسهم.

فمقاومتهم في البداية تدل على التعارض بين اختيارهم والإرادة الإلهية العليا التي تطوق رغبتهم. وفي هذا دلالة قوية على استقلالية حجة الرسالة عن الرغبة الشخصية والنزعة النفسية.

أيضًا الرسالة ليست حدثًا فرديًّا بل هي تتكرر في أصقاعٍ شتى وأزمانٍ متباينة؛ يقول مالك بن نبي -رحمه الله: «ثم إنَّ مبعث نبيٍّ ما ليس حدثًا فردًا؛ ليكون غريبًا نادرًا، بل هو على العكس من ذلك ظاهرة مستمرة تتكرر بانتظام واستمرار، ظاهرة تتكرر بالكيفية نفسها، وهذا يُعد شاهدًا علميًّا يمكن استخدامه لتقرير مبدأ وجودها بشرط التثبت من صحة هذا الوجود بالوقائع المتفقة مع العقل ومع طبيعة المبدأ»[1].

فهنا لك أن تسأل دعاة التجريب: ألا يعد تكرار ظاهرة الرسالة شاهدًا على موضوعيتها؟

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ [المؤمنون:٤٤].

أما التثبت من صحة وجود الرسالة فيسير.

وترصّده جد بسيط.

وآياته متكاثرة لا تتوقف ولا يحصيها المتبصر!

ومدار التسليم بصحة الرسالة يتوقف على صدق مدعيها لا أكثر!

يقول الفيلسوف زكي نجيب محمود: « ليس مدار التسليم برسالة النبي على ما يقدمه من برهان عقلي، بقدر ما يكون مدار التسليم مبنيًّا على صدق صاحب الرسالة وأمانته»[2].

---

(١) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية ص٨٧.

(٢) من وحي كتاب موقف من الميتافيزيقيا، زكي نجيب محمود.

فمدعي الرسالة إما أن يكون من أفضل الخلق وأكملهم؛ لأنه رسول من عند الله، وإما أن يكون من أنقص الخلق وأذلهم؛ لأنه ادعى بهتانًا عظيمًا، فكيف يشتهب أفضل الخلق وأكملهم بأنقص الخلق وأذلهم؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «كل شخصين ادَّعيا أمرًا من الأمور أحدهما صادق في دعواه والآخر كاذب، فلابد أن يبين صدق هذا وكذب هذا من وجوه كثيرة، إذ الصدق مستلزم للبر والكذب مستلزم للفجور»[١].

ويقول رحمه الله في موضعٍ آخر من كتبه: «ليست المعجزة هي الشرط الأوحد للنبوة، فمُدعي النبوة إما أن يكون أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يُلبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين.

وقد أسلم السابقون الأولون أمثال أبي بكر الصديق وخديجة والمُبشَّرين قبل انشقاق القمر والإخبار بالغيب والتحدي بالقرآن... وكثيرٌ من الناس يعلم صدقَ المُخبر بلا آية البتة...وموسى بن عمران لما جاء إلى مصر وقال لهم: إن الله أرسلني. علموا صدقه قبل أن يُظهر لهم الآيات، وكذلك النبي لما ذكر حاله لخديجة وذهبت به إلى ورقة بن نوفل، قال: هذا هو الناموس الذي يأتي موسى. وكذلك النجاشي وأبو بكر علموا صدقه علمًا ضروريًّا لمَّا أخبرهم بما جاء به وما يعرفون من صدقه وأمانته.

مع غير ذلك من القرائن يوجب علمًا ضروريًّا بأنه صادق، وخبر الواحد المجهول من آحاد الناس قد تقترن به قرائن يُعرف بها صدقه بالضرورة، فكيف بمن عُرف بصدقه وأمانته وأخبر بمثل هذا الأمر الذي لا يقوله إلا مَن هو أصدقُ الناس أو أكذبهم وهم يعلمون أنه من الصنف الأول دون الثاني؟»[٢].

فالاستدلال على صحة دعوى الرسالة أمرٌ يسير.

والنبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يدعِ أحد أنه كذَب ولو لمرةٍ واحدة!

فقد عجز البشر عن إظهار كذبةٍ واحدة في جميع عمره صلى الله عليه وسلم على تعدد

(١) الأصفهانية ص٤٧٤.

(٢) ثبوت النبوات عقلًا ونقلًا، شيخ الإسلام ابن تيمية، دار ابن الجوزي، ص ٥٧٣، وبمعناه في نفس المصدر ص٣١٨.

مواقفه وكثرة أخباره.

"ما عهدنا عليك كذبًا قط".

"ما جربنا عليك كذبًا" ألم تكن هذه الجملة هي أول رد من المشركين في أول حوارٍ بينه وبينهم بشأن رسالته؟[١]

بل ما اشتهر ﷺ إلا بالصادق الأمين، ولذا فقد أخبر القرآن العرب أنهم ماكرين حين يتنكرون لرسالته صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون حاله قبل بعثته وأنه صادق وأمين ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون:٦٩].

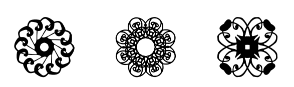
ولو تبصّرت الكتب السابقة لما ازددت إلى يقينًا!

فقد عُرِّف النبي –صلى الله عليه وسلم– أيضًا بالصادق الأمين في كتب الأسبقين.

ينقل سفر الرؤيا –آخر أسفار الكتاب المقدس– وهو السفر الخاص بنبوءات آخر الزمان، ينقل لنا صورة النبي محمد ﷺ ونعته فيقول: " ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أمينًا وصادقًا، وبالعدل يحكم ويحارب"[٢].

مَن هو الذي ركب الفرس وبالعدل كان يحكم ويحارب، وكان لقبه "الصادق الأمين"، وكان مبتعثًا من السماء –السماء مفتوحة– غيره ﷺ ؟

إن حجة الرسالة وحجة صدق الرسول هي من الحجج العقلية التي لا تتطلب من المرء أكثر من التسليم والإسلام!



(١) انظر تفسير الطبري في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤].

(٢) سفر الرؤيا إصحاح ١٩ عدد١١.

الجرعة الخامسة والعشرون

لا يستقيم إيمان عبدٍ يؤمن بأحد الأنبياء ويكفر بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم

لقد قام الأنبياء بدورٍ رئيس في تاريخ الإنسانية، ومن خلال الأنبياء فحسب أصبح الإنسان محورًا للتاريخ، ومعنىً للوجود، وغايةً كبرى في هذا الكون!

وعن طريق الإيمان بالأنبياء تـأكّد سمو الإنسان ومعنى قيمته وأصل مركزيته.

فكما قرّرنا من قبل: العالم بدون النبوات ظلامٌ دامس وغثاءٌ قاحل وصحراء مجدبة.

ولولا النبوات لما اطمأنت النفس ولا اهتدت البصيرة ولا رُزقت القلوب حياتها!

فبالنبوات تحيا القلوب وتطمئن النفوس وتهتدي البصائر.

فالحمد لله رب العالمين.

وكل جاهلٍ بالعلم الإلهي الذي بثَّه الأنبياء جاهلٌ بأعظم مطلوبٍ في الوجود.

فحاجة العبد إلى الرسالة أعظم من حاجته لكل شيءٍ، فالرسالة ضرورية للعباد، لا بدَّ لهم منها.

ونبوة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– لم تكن بدعًا من النبوات قبله ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف:٩].

فنبوة محمد ﷺ جاءت بترسيخ التوحيد واستمرار الشريعة وحفظ المصادر، واستقرار موازين الفضيلة وظهور الدين.

بل كان لنبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– من كل هذا الحظ الأوفر والجناب الأسمى والمقام الأرفع!

فلن يجد الملحدة لأحدٍ مثل الذي لمحمدٍ ﷺ في الأعجوبة والرفعة.

وشريعته ﷺ لم يعترها ما اعترى سائر الشرائع بل هي في كل عصرٍ غضة طرية، ومنذ موته ﷺ وحتى الآن لم تلزم الحاجة لمبعث رسولٍ آخر، فالأحكام تُقرأ ليل نهار كأنها للتو

خرجت من فم رسول الله ﷺ.

فمَن يُقر بجنس الأنبياء لا يبقى عنده أدنى شك في نبوة محمدٍ ﷺ.

والذي يُكذب بنبوة محمدٍ ﷺ هو بالأحرى يكذب بنبوة كل نبيٍّ آخر. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الذي يُكذب بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم يُكذب بالطريق الذي عرفنا من خلاله صدق الأنبياء وصحة نبوتهم.

فإن الطريق الذي يعلم به نبوة موسى وعيسى يُعلم به نبوة محمد بطريق الأولى، فإذا قالوا: علمت نبوة موسى والمسيح بالمعجزات وعرفت المعجزات بالنقل المتواتر إلينا. قيل لهم معجزات محمد صلى الله عليه وسلم أعظم وتواترها أبلغ والكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أكمل، وأمته أفضل وشرائع دينه أحسن. **وموسى جاء بالعدل وعيسى جاء بتكميلها بالفضل وهو صلى الله عليه وسلم قد جمع في شريعته بين العدل والفضل.**

فإن ساغ لقائل أن يقول: هو مع هذا كاذب مفترٍ. كان على هذا التقدير الباطل غيره أولى أن يقال فيه ذلك، فيبطل بتكذيبهم محمدًا جميع ما معهم من النبوات، **إذ حكم أحد الشيئين حكم مثله فكيف بما هو أولى منه؟!!**

فلو قال قائل: إن هارون ويوشع وداود وسليمان كانوا أنبياء وموسى لم يكن نبيًّا أو أن داود وسليمان ويوشع كانوا أنبياء والمسيح لم يكن نبيًّا. أو قال ما تقوله السامرة: إن يوشع كان نبيًّا ومن بعده كداود وسليمان والمسيح لم يكونوا أنبياء. أو قال ما يقوله اليهود: إن داود وسليمان وأشعيا وحبقوق وميخا وعاموص ودانيال كانوا أنبياء والمسيح بن مريم لم يكن نبيًّا. كان هذا قولًا متناقِضًا معلوم البطلان. فإن الذين نفى هؤلاء عنهم النبوة أحق بالنبوة وأكمل نبوةً ممن أثبتوها له، **ودلائل نبوة الأكمل أفضل فكيف يجوز إثبات النبوة للنبي المفضول دون الفاضل؟!!** وصار هذا كما لو قال قائل: إن زفر وابن القاسم والمزني والأثرم كانوا فقهاء وأبا حنيفة ومالكًا والشافعي وأحمد لم يكونوا فقهاء. أو قال: إن الأخفش وابن الأنباري والمبرد كانوا نحاة والخليل وسيبويه والفراء لم يكونوا نحاة. أو قال: إن صاحب الملكي والمسيحي ونحوهما من كتب الطب كانوا أطباء وبقراط وجالينوس ونحوهما لم يكونوا أطباء. أو قال: إن كوشيار والخرقي ونحوهما كانوا يعرفون علم الهيئة وبطليموس ونحوه لم يكن لهم علمٌ بالهيئة.

ومن قال: إن داود وسليمان وميخا وعاموص ودانيال كانوا أنبياء، ومحمد بن عبدالله لم يكن نبيًّا. فتناقضه أظهر وفساد قوله أبين من هذا جميعه، بل وكذلك من قال: إن موسى وعيسى رسولان والتوراة والإنجيل كتابان منزلان من عند الله، ومحمد ليس برسول والقرآن لم ينزل من الله. فبطلان قوله في غاية الظهور والبيان لمن تدبّر ما جاء به محمد وما جاء به من قبله، وتدبّر كتابه والكتب التي قبله وآيات نبوته وآيات نبوة هؤلاء، وشرائع دينه وشرائع دين هؤلاء، وهذه الجملة مفصّلة مشروحة في غير هذا الموضع لكن المقصود هنا التنبيه على مجامع جوابهم، وهؤلاء القوم لم يأتوا بدليلٍ واحدٍ يدل على صدق من احتجوا به من الأنبياء، فلو ناظرهم من يكذب بهؤلاء الأنبياء كلهم من المشركين والملاحدة لم يكن فيما ذكروه حجة لهم، ولا حجة لهم أيضًا على المسلمين الذين يقرون بنبوة هؤلاء، **فإن جمهور المسلمين إنما عرفوا صدق هؤلاء الأنبياء بإخبار محمد أنهم أنبياء، فيمتنع أن يصدقوا بالفرع مع القدح في الأصل الذي به علموا صدقهم.**

وأيضًا فالطريق الذي به علمت نبوة هؤلاء بما ثبت من معجزاتهم وأخبارهم فكذلك تعلم نبوة محمد بما ثبت من معجزاته وأخباره بطريق الأولى، فيمتنع أن يصدق أحد من المسلمين بنبوة واحدٍ من هؤلاء مع تكذيبه لمحمد في كلمةٍ مما جاء به"[١].

ويقول في موضعٍ آخر: «فما من جنسٍ من الأدلة يدل على نبوة موسى والمسيح إلا ودلالته على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أقوى وأكثر، فيلزم من ثبوت نبوة موسى والمسيح ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومن الطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الطعن في نبوة موسى والمسيح»[٢].

فلا يمكن التصديق بنبوة نبيٍّ من الأنبياء مع التكذيب بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم.

والطريق الذي بها تثبت نبوة الأنبياء بمثلها وبأعظم منها بكثير تثبت نبوة محمدٍ ﷺ.

بل إن التصديق بنبوته أولى من التصديق بنبوة غيره، وكل دليلٍ يُستدل به على نبوة نبيٍّ،

---

(١) الجواب الصحيح ٢-٢٦، ٢٩.

(٢) الجواب الصحيح ٢-٤٥.

فمحمد ﷺ حاز منتهى جنس ذلك الدليل.

وما ترتب على بعثته ﷺ من تحقيق التوحيد ووضع شرائع العدل وغيرها من مقاصد الرسل أعظم من غيره وأجل وأكثر.

وبذلك يجب القطع بأن رسالته أتم وأعظم.

فلم يأت ﷺ بنسقٍ خارجٍ على نسق الأنبياء قبله ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات:٣٧].

وإلا فمَن علّمه –صلى الله عليه وسلم– بطلان عبادة الأوثان؟

مَن علّمه بطلان عبادة الآلهة البشرية؟

–مع أن العرب ما عرفوا التقرب إلى الله إلا بوثنٍ أو ببشر!–

ومَن علّمه عصمة الأنبياء حتى يطهر مقامهم الشريف مما ألصقه به أتباعهم؟

من علّمه فضيلة ترك الزنا والخمر والربا وفواحش الأعمال مع أن مدار أشعار العرب ومعلقاتهم التي بها يتباهون على الخمر والنساء والغزل؟

من علّمه ﷺ التقرب إلى الله بالطاعات؟

أليس كل هذا كان طريق الأنبياء قبله؟

﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ ﴾ [فصلت:٤٣].

فلم يكن ﷺ بدعًا من الرسل.

ولذلك مَن آمن بأحد الأنبياء وقرّر في نفس الوقت أن يكفر بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم فهو ضالٌّ مفترٍ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [آل عمران:٩٠].

يقول الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله في تفسير الآية: (إن الذين كفروا) بعيسى (بعد إيمانهم) بموسى (ثم ازدادوا كفراً) بمحمد (لن تقبل توبتهم) إذا غرغروا أو ماتوا كفارًا (

وأولئك هم الضالون).

فالذين وصلتهم البينات الظاهرات على صدق النبي ﷺ ، وهم يعرفون حال الأنبياء من قبله ثم شهدوا حاله، وبعد ذلك أنكروا رسالته فأولئك هم الظالمون ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران:٨٦].

وقد جاء وفدٌ من النصارى إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– وهم وفد نجران، وأرادوا مباهلته. لكن لما شهدوا حاله وحال رسالته ومشابهتها لرسالات الأنبياء من قبله نكصوا عن المباهلة وخافوا.

وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران:٦١].

والمباهلة أن يقولوا: اللهم العن الكاذب في شأن عيسى وقد وافقهم صلى الله عليه وسلم، وبالفعل خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي، وقال لهم: إذا دعوت فأمِّنوا. فقالوا: حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك. فقال ذو رأيهم: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدًا نبيٌّ مرسل، وأنه ما باهل قومٌ نبيًّا إلا هلكوا، فأبوا أن يلاعنوا وصالحوه على الجزية![1].

تخيل!

تخيل صالحوه على الجزية، في مقابل ألا يدعو عليهم؟

أي حجمٍ من المكابرة والعناد وصل إليه هؤلاء!

وعن ابن عباسٍ قال: لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالًا ولا أهلًا![2].

فهؤلاء الذين شهدوا صدق الرسالة لا حجة لهم في كفرهم ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ

---

(١) نقلًا عن تفسير البغوي!.

(٢) تفسير الإمام السيوطي للآية.

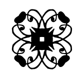
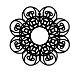
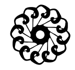
تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٠].

فلا يستقيم إيمان عبدٍ يرفض رسالة ربه ويمتنع عن قبول بعض الرسل، بينما يرض بآخرين.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ ﴾ [الحديد:٢٨].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بعيسى ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى[1].

فدعوة الإسلام دعوة لا يمكن لعاقلٍ أن يردها!

(١) نقلًا عن تفسير الإمام جلال الدين المحلي للآية.

الجرعة السادسة والعشرون

معجزة مكتملة الأركان للنبي محمد صلى الله عليه وسلم

من القضايا التي نُقلت إلينا نقلها الكافة عن الكافة أن إسلام أهل اليمن في عهد النبي ﷺ جرى بمعجزة شهيرة.

وكانت بداية القصة أن النبي ﷺ أرسل رسالةً إلى كسرى ملك الفرس -خسرو الثاني- يدعوه فيها للإسلام، وكان حامل الرسالة عبد الله بن حذافة السهمي -رضي الله عنه-، فلما قُرئت الرسالة على كسرى أخذها ومزقها ورمى بها، وأرسل رسالةً عاجلةً إلى باذان عامله على اليمن في صنعاء يقول له فيها: ابعث برجلين جلدين -قويين- إلى الحجاز فليأتياني بهذا الرجل، فاختار باذان في سذاجةٍ نادرة رجلين من عنده ليأتيا برسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فلما قدم الرجلان إلى المدينة قابلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ودخلا عليه وقد حلقا لحاهما وفتلا شواربهما، فكرِه النبي - صلى الله عليه وسلم - النظر إليهما، وقال: «**ويلكما من أمركما بهذا؟**». قالا: ربنا. يقصدان كسرى، فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «**ولكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي**».

فقال أحدهما: يامحمد إن شاهنشاه يعني ملك الملوك -يقصد به كسرى- قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك وبعثني إليك لتنطلق معي، وقالا قولًا فيه تهديد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فلم يرد عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأمرهما أن يلاقياه غدًا.

وفي اليوم الثاني جاء الرجلان إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال لهما النبي ﷺ: «**أخبِرا الذي أرسلكما-باذان- إن ربي قتل ربه الليلة- أي أن الله عز وجل أهلك كسرى في تلك الليلة-، وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى وينتهي إلى منتهى الخف والحافر**».

فقد انتقم الله لرسوله من كسرى وقتله في تلك الليلة، فعاد الرجلان إلى باذان يخبرانه بالأمر، فعجب جدًّا وانتظر الخبر من بلاد الفرس، فجاء الخبر بعد شهورٍ بمقتل كسرى في تلك الليلة التي حددها النبي -صلى الله عليه وسلم -فعلًا، فأسلم باذان من هول المفاجأة، وأسلمت

حكومته، وأسلم أهل اليمن بإسلامهم، وجاء وفدٌ من أهل اليمن يتعلمون الإسلام وأرسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل.

وأمر النبي ﷺ وبر بن يحنس ببناء جامع في بستان باذان -سنة ٦ هجرية-، وحدد قبلته وإحداثياته بالضبط ببعض الصخور سيجدونها هناك.

وهذه معجزة أخرى مدهشة فصنعاء تبعد عن المدينة أكثر من ٨٠٠ كيلو متر، وقد حافظ أهل اليمن قديمًا وحديثًا على موقع المسجد الذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُبني فيه، وذلك بالحفاظ على معالم حدوده التي حدَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنائه، مثل الصخرة الململمة أحد حدّي المسجد وموقعه اليوم بين ساريتين من سواري المسجد تسمى أحدهما "المسمورة" والأخرى "المنقورة".

وسبحان الله نكتشف اليوم بالأقمار الصناعية أن القبلة التي حددها النبي صلى الله عليه وسلم منذ أكثر من ١٤٠٠ عام هي القبلة المثالية للجامع، فتصير معجزة جديدة كبرى نشهدها اليوم ويشهدها أهل اليمن إلى قيام الساعة.

والذي يطالبنا بدليل مادي رصدي قائم على معجزة من معجزات النبوة يمكنه ببساطة أن يرصد المسمورة والمنقورة في الجامع الكبير بصنعاء إلى اليوم![١].

فهذه معجزة مكتملة الأركان...

اشتملت على:

١- إسلام أهل اليمن خلال أيام من حدوث المعجزة.

٢- خبر مثل هذا ليس بالذي يحتاج إلى التثبت منه، فهو منقول نقل الكافة عن الكافة.

٣- أدلة الخبر موجودة إلى يومنا هذا.

٤- إسلام أهل اليمن ليس بالشيء الذي يتم التشكيك في صحة روايته، فأنت لا تتحدث عن قصة فردية وإنما قصة مجتمع بأكمله وتاريخ أمة من الأمم -ولو أنك كتبت في الجوجل إسلام أهل اليمن لأتتك من تفاصيل هذه الحادثة ما يطمئن له قلبك

---

(١) https://www.youtube.com/watch?v=H99ycqm9q_I.

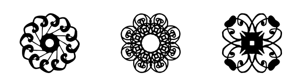
بعجائبها- وترتب على هذه القصة أحداث كثيرة في السيرة النبوية مثل أحاديث معاذ بن جبل فترة إعداده للذهاب إلى اليمن لتعليم الناس الإسلام.

٥- إمكان التثبت من بعض تفاصيل القصة في يومنا هذا بأدلة مادية رصدية كما هو موضح في الفيديو.

هذا خبر أسلمت على مثله أمة فهل يُسلم قلبك يا صاح!؟

لكن دعني هنا أسرد عليك شيئًا من أدلة نبوة محمدٍ صلى الله عليه وسلم

فأنا أشعر أن قلبك انفتح لتلقي المزيد إن شاء الله



الجرعة السابعة والعشرون

من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم

١) حادث "طُعمة" ؛ وطُعمة كان رجل مسلم مسكين، سرق درعًا من جاره وخبأها عند يهودي، فوجد الناس الدرع عند اليهودي، فتحركت العصبية وقال اليهود أن المسلم "طعمة" هو سارق الدرع، وقال المسلمون إنها مكيدة يهودية للإسلام، فنزل الوحي بكشف طعمة وتبرئة اليهودي، فاستسلم طعمة واعترف ﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿١١٢﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾ [النساء: ١١٢-١١٣]، فالذي كسب الخطيئة هو طعمة، والبريء هو اليهودي.

بل إن القرآن يعلم النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لظنه السوء باليهودي ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء:١٠٦].

وإن كان معذورًا صلى الله عليه وسلم، لكن ما صدر منه بالنسبة إلى مقامه المحمود – صلى الله عليه وسلم– يوشك أن يكون كالذنب.

﴿ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴾ [النساء:١٠٧].

فما أحكم القرآن وما أعدله حتى مع اليهودي.

وما كانت هذه الآيات إلى من دلائل نبوته –صلى الله عليه وسلم– إذ كيف يهم النبي صلى الله عليه وسلم باتهام اليهودي مع اجتماع القرائن على تهمته، وفجأةً تنزل الآيات التي تُبرئه وتدافع عنه وتنقل التهمة إلى طُعمة، فالحمد لله رب العالمين!

٢) حادث حاطب ابن أبي بلتعة؛ الذي أرسل إلى قريش قبل فتح مكة يُخبرهم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، حتى يؤمِّنه المشركون على أهله بمكة، وأرسل الرسالة مع امرأةٍ، فأخبر الله نبيه، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عليًّا والزبير والمقداد أن ينطلقوا حتى يأتوا مكان

يدعى"روضة خاخ" فإذا به امرأة معها كتاب وليأخذوه منها، فحدث ما أخبر به صلى الله عليه وسلم. وسجَّل الله تعالى هذا الحادث في كتابه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة:١].

٣) أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن التمكين قادم للإسلام في الأرض، وأنها ستعمر بعبادة الله فقال: «**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض**».

ولم يمض جيلٌ من الناس حتى كان الإسلام جناحاه بين الصين شرقًا والأندلس غربًا.

٤) إخباره صلى الله عليه وسلم بتقارب الزمان والمكان، وبالفعل ظهرت الوسائل السريعة للاتصال والنقل والتي جعلت أجزاء الأرض متقاربةً، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان وتزى الأرض زيًّا**». أي: تُطوى ويضم بعضها إلى بعض.

٥) إخباره صلى الله عليه وسلم بأننا لن نعود في حاجة إلى الجِمال بعد ظهور وسائل جديدة، فقال صلى الله عليه وسلم في أحاديث آخر الزمان: «**ولتُتركن القلاص فلا يُسعى إليها**».

القلاص: الجِمال.

لمحة عن السُحب

السحاب عبارة عن سيول عملاقة تطير في جو السماء، وينزل ليُشكل الأنهار والمياه الجوفية والآبار.

وكان القدماء يظنون أن المياه الجوفية تتكون نتيجة فجوة في قلب الأرض تنقل مياه المحيط إليها – الطرح الأرسطي –، بينما يقول القرآن خلاصة ما توصل له العلم منذ عقود قليلة فقط، وهو أن المياه الجوفية مصدرها مياه الأمطار ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الزمر:٢١].

فمصدر المياه الجوفيه هو الينابيع المتكونة من الأمطار، وليس فجوة أرسطو التي في

عمق القارة.

ويتكون السحاب نتيجة تبخر الماء وصعوده إلى مستوى يتجاوز أعلى قمم الجبال غالبًا، حتى لا تصير الجبال عائقًا لحركة السحب إلى أواسط القارات ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ ﴾ [الأعراف:٥٧].

ومن العجيب أن برودة الجو في الطبقات العليا سبب رئيس في عدم مغادرة السحاب لجو الأرض إلى ما بين الكواكب فيضيع الماء وبالتالي تخرب الأرض و تتوقف الحياة ﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِى ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١٨].

فذهاب الماء المتصاعد أولى فيزيائيًا من تجمعه ثم نزوله مرةً أخرى، ولذا امتنّ الله علينا بحفظه.

وعندما يصعد بخار الماء الخفيف نتيجة عمليات البخر، تتحرك الرياح المحملة بذرات الغبار فتتجمع حول ذرات الغبار جزيئات بخار الماء، ثم تتضخم تلك الجزيئات فتصير سحابًا عملاقًا به مليارات الجالونات من المياه محمولة في جو السماء ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ ﴾ [الروم:٤٨].

والآية صريحة في أن الرياح هي التي تُثير السحاب وإلا ما تجمع بخار الماء على شكل سحب، ولظل بخار الماء تائهًا في طبقات جو الأرض الفسيحة.

وهذه الرياح لها منظومة من ثلاث درجات بحيث تضبط حركة السحب وتنقلها وترفعها وتثيرها دون تداخل بين هذه الدرجات، فهناك درجة الرياح العادية وهي الملاصقة للأرض حتى ارتفاع ٥ أميال ثم تأتي درجة التيار النفاث وهي رياح بسرعة ٢٠٠ ميل في الساعة، ولو نزلت إلى الارض لدمرت كل شيء، وليست الأعاصير المدمرة بسرعة ٧٥ ميل إلا عبرة، وتأتي الدرجة الثالثة وهي عند مستوى ٨ أميال فوق مستوى سطح البحر وهي منطقة بلا ريح.

المهم بعد أن تتشكل السُّحب بإثارة الريح لها، ينزل الماء من السحب بمنظومة أعجب– منظومة القطرات لا السكب المفاجئ–، وتسلك تلك القطرات في الأرض دون أن تتعفن ولا تركد على ظهر الأرض فتعيق الحركة، ولا تغوص في باطن الأرض فلا ننتفع بها، بل تظل قريبةً من سطح الأرض في متناولنا، ويظل ماؤها نابعًا ومعينًا؛ و لو افترضنا أن مسامية الصخور التي

ينزل ماء المطر بين عروقها زادت فقط للضعف لغار الماء في بطن الارض وما استطعنا إليه سبيلًا، ولانهارت منظومة المياه الجوفية التي يعيش عليها ٤٠٪ من البشر- أي يعيشون على نعمة أن مسام الصخور بهذا الحد الذي يتيح حفظ الماء وليس غوره بعيدًا في قلب الأرض-، والله فقط يُذكرنا بهذه النعمة التي ربما لا نلتفت لها فيقول سبحانه ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ﴾ [الملك:٣٠].

لكن هنا السؤال الهام: كيف ضبط القرآن الكريم هذه المفاهيم العلمية الصحيحة لكيفية تكون السحب ونزولها وطريقة تشكل المياه الجوفية ونعمة عدم غَور الماء؟

ثم كيف نفترض أن الطبيعة العمياء قدّرت لنا هذه النعم بهذا الضبط التي لو اختلت منها منظومة واحدة لما كنّا هنا لنكتب أصلًا؟

نعود لتكملة دلائل النبوة:

٦) الجلد مصدر الإحساس وأغلب مراكز الإحساس في الجلد فحسب {﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء:٥٦].

فكلما نضجت جلودهم ظنوا أنهم استراحوا من عذاب النار، ويخبرنا سبحانه أنه سيبدلهم جلودًا غيرها، فكيف علم النبي صلى الله عليه وسلم أن قضية الإحساس جلدية في المقام الأول؟

كيف علم النبي صلى الله عليه وسلم أن نضج الجلد يوقف الألم، ففي الدرجة الثالثة ينتهي عمل عصب الإحساس تمامًا، ولذا فالحرق المؤلم هي حرق الجلد فحسب {﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء:٥٦]، أعاذنا الله من نار الدنيا والآخرة.

٧) حتى عام ١٩٠٠ كانت فكرة وجود أمواج عميقة غير مطروحة، إلى أن لاحظ العلماء الإسكندنافيون في أوائل عام ١٩٠٠ أمواج تحت سطح الماء، تقذف الغواصات على أبعاد عميقة ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ ﴾ [النور: ٤٠].

٨) موافقة صفة النبي الخاتم واسمه ونعته لما يجده أهل الكتاب موصوفًا في كُتبهم،

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف:١٥٧].

وبسفر نشيد الإنشاد في التوراة إلى اليوم اسم محمد –صلى الله عليه وسلم– بالعبرية.. الذي يترجمه النصارى في الترجمة العربية إلى مشتهى الأمم، محمد نطقًا وكتابةً في ترجمة The KJV Old Testament Hebrew Lexicon Original Word من اليمين إلى الشمال: dmxm Transliterated Word Machmad Phonetic وبالنطق اللاتيني تتطابق مع "محمد" 'Spelling…. makh-mawd

وفي الإنجيل إلى اليوم الباركليتوس القادم الذي بشَّر به المسيح والذي معناه باليونانية أفعل تفضيل من الحمد أي أحمد، والباراكليتوس ليس هو الروح القدس كما يُروج أحبار النصارى؛ لأن الباركليتوس لن يأتي حتى يذهب المسيح، والروح القدس نزل على المسيح على هيئة حمامة قبل هذا الحوار الذي تنبأ فيه بقدوم أحمد بسنوات.

٩) جاء في كتاب أدروا فيدم–الكتاب المقدس لدى الهندوس– وصف النبي صلى الله عليه وسلم باسمه ونعته: " أيها الناس اسمعوا، يُبعث محمد بين أظهر الناس، وعظمته تُحمد حتى في الجنة"[١].

وجاء في بهوشي برانم: " في ذلك الحين يُبعث محمد أُستاذ العالم، مُطهر بالخمس المطهرة– الصلوات الخمس–"[٢].

١٠) وما زالت كتب الهندوس إلى اليوم تحمل البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم

PROPHET MUHAMMAD IN HINDU SCRIPTURES[3].

The Sanskrit text and translation of Verse 5 of Bhavishya Puran, Prati Sarg Parv III: 3, 3 are given below. (The boxed area in the Sanskrit text identifies

(١) الجزء ٢٠، فصل١٢٧، فقرة٧٠، عبارات ١–٣.

(٢) الجزء ٢ الفصل ٣ عبارات ٣ وما بعدها.

(3) **http://www.cyberistan.org/islamic/prophhs.html**

the word Mahamad or Mohammad).

A malechha (belonging to a foreign country and speaking foreign language) spiritual teacher will appear with his companions. His name will be Mahamad...

The translation of Verses 5-27 (Sanskrit text of the Puranas, Prati Sarg Parv III: 3, 3) is presented below from the work of Dr. Vidyarthi.

“A malechha (belonging to a foreign country and speaking foreign language) spiritual teacher will appear with his companions. His name will be Mahamad. Raja (Bhoj) after giving this Mahadev Arab (of angelic disposition) a bath in the 'Panchgavya' and the Ganges water, (i.e. purging him of all sins) offered him the presents of his sincere devotion and showing him all reverence said, 'I make obeisance to thee.' 'O Ye! the pride of mankind, the dweller in Arabia, Ye have collected a great force to kill the Devil and you yourself have been protected from the malechha opponents (idol worshipers, pagans).' ‘O Ye! the image of the Most Pious God the biggest Lord, I am a slave to thee, take me as one lying on thy feet '.

النبوءة الكبرى

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم: ١-٥].

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتنبأ بانتصار المهزوم –الروم– الذي يكاد يستسلم لخصمه، ويحدد موعدًا دقيقًا لهذا النصر الذي ما من شيء أبعد في تحققه منه.

اشتدت المعارك بين الروم والفرس خلال الفترة التي كان فيها المسلمون في مكة يعانون الأمَرَّيْنِ من المشركين فقد كان أبرويز قد قاد حملة فارسية سنة ٦١١ توِّجت بانتصار كاسح على الروم في معركة أنطاكية – قرب البحر الميت – سنة ٦١٤ وكان هذا الخبر قد أحزن الرسول – صلى الله عليه وسلم– وأفرح المشركين.

فجاء القرآن الكريم بتحريات غيبية معجزة وعجيبة:

١- أن الروم غُلبت في أدنى الأرض – أي أخفض منطقة بالعالم وبالفعل هذه المنطقة تقع قرب البحر الميت وهي التي وقعت المعركة قريبًا منها.

اخفض منطقة بالعالم قرب البحر الميت(١).

٢- يقرر القرآن الكريم في وعد عظيم ومدهش أن الروم بعد هزيمتهم سينتصرون في بضع سنين وهذا وعد الله لا يخلف الله وعده.

وهو ما دفع أبو بكر الصديق –رضي الله عنه– للرهان مع أهل قريش أن الروم ستنتصر في بضع سنين من ٣-٩ سنوات.

الآن نعود لمعركة أنطاكية وبعد هذه المعركة التي حدثت كما ذكرنا عام ٦١٤ م وطيلة تسع سنوات لم تكن الروم تقف في وجه الجيوش الفارسية، بل كانت المدن تتوالى ساقطةً واحدة تلو أخرى وكان أبرويز يحرق الكنائس ويذبح الآلاف، حتى يروى أنه في القدس وحدها قتل تسعين ألفًا من المسيحيين ثم انتزع منها أقدس رمز ديني عند الروم وهو صليب الصلبوت وكانت هذه

(١) http://en.wikipediaorg/wiki/extretremes-on-earth.

علامة على نهاية الروم.

الآن لا يوجد أدنى بصيص أمل في الانتصار مجددًا وإلى عام ٦١٦ كان الفرس لهم الزعامة في العالم وانتزعوا الإسكندرية عام ٦١٦ م ووصلنا الآن إلى العام ٦١٩ م والفرس ينتصرون ويسحقون الروم سحقًا، ولم يبق على انتهاء المهلة التي حددها القرآن إلا أربع سنوات وفي هذه الفترة كان هرقل ملك الروم غارقًا في اللهو والخمر ومعاقرة النساء، وتتساقط منه الدول والمدن بلدًا بعد الآخر وقد سقطت منه مصر في تلك الأثناء وصارت تابعة للفرس.. ثم فجأةً تحدث اليقظة المفاجأة لهرقل – على حد تعبير كتّاب التاريخ – فيهجر ليالي الملذات ويركب الفرس ويمتشق السلاح!!

ثم في المقابل أيضًا حدثت ظاهرة مماثلة لكنها معكوسة، إذ نجد أبرويز يتوقف فجأةً عن القيادة، وينغمس في اللهو على نحوٍ مفرط، حيث سيعتزل في قصر بدستجرد لينغمس في الملذات، وكان شغله الشاغل هو تحفيز النحاتين على نحت تمثال لشيرين أجمل زوجاته اللاتي بلغ عددهن ثلاثة آلاف!!

وبدأت المناوشات بين الروم والفرس تصب في صالح الروم لأول مرة وظلت المناوشات تزداد يومًا بعد يوم في صالح الروم إلى أن حدثت المعركة بين الروم والفرس عام ٦٢٣ واسترد الروم ليس أنطاكية فحسب بل كل بلاد الشام من الفرس أي بعد الهزيمة بتسع سنوات تمامًا كما تنبأ القرآن، و سنة ٦٢٤ م كان طرد الفرس من سوريا يوم نصر بدر. وظل هرقل زاحفًا حتى احتل عاصمة فارس واسترجع منها صليب الصلبوت.

ما الذي يدفع القرآن للحديث عن نبوءة كهذه؟ لو لم تقع ولو استمر هرقل غارقًا في ملذاته لسقطت الدعوة...!!

لكن القرآن تحدث عن ذلك وتحققت نبوئته، فكان أول انتصار للروم من بعد هزائمهم المتتالية بعد تسع سنوات بالضبط من هزيمتهم في أنطاكية.

يقول المؤرخ إدوار جِبن Edward Gibbon : "في ذلك الوقت، حين تنبأ القرآن بهذه النبوءة، لم تكن أيَّة نبوءةٍ أبعدَ منها وقوعًا، لأن السنين العشر الأولى من حكومة هرقل كانت تؤذن

بانتهاء الامبرطورية الرومانية"(١).

نعود لتكملة دلائل النبوة:

(١١) الإسلام يوافق في عقيدته عقيدة جميع أنبياء العهد القديم فالإسلام هو تصحيح لمسار الديانات التي انحرفت، وإعادة لنهج أنبياء العهد القديم من لدن آدم إلى نوح وصالح وأيوب وهود وإبراهيم وموسى وداود ويونس وهارون وعيسى، فعقيدة هؤلاء جميعاً هي عقيدة الرب إلهنا رب واحد بلفظ التوارة والإنجيل، هذه العقيدة التي لا تعرف تثليث ولا أقانيم ولا موت آلهة منتحرة ولا انتزاع آلهة من آلهة أخرى – انتزاع الروح القدس من الآب – ولا آلهة قومية، يقول تعالى ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى:١٣].

وقال تعالى : ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء:١٦٣].

إذن فالإسلام ليس ديانة كالديانات وإنما هو أصل الديانات وتصحيح للخلل الذي أصاب الديانات، وبالأخص اليهودية والمسيحية في نسختيهما العهد القديم والجديد.

---

(١) تاريخ انحدار وسقوط الإمبراطورية الرومانية، المجلد ٥ ص٧٤، طبعة جيه دي موريس.

﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾

يقول دكتور محجوب عبيد –رحمه الله– عالم الفضاء السوداني بناسا، والذي توفي في أوائل عام ٢٠١٤.

عندما قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾

والمعني هنا واضح: ألم تنظر إلىٰ بديع صنع الله وقدرته، كيف بسط الظل ومده؟!! والإشارة إلىٰ وقت النهار ابتداءً من الزوال، او منتصف النهار، وهو وقت زيادة طول الظلال

والتأمل المطلوب في كيفية مد الظل يقود للتفكير في سببه. فنجد أن سببه دوران الأرض حول نفسها في اتجاه الشرق والغرب.

ما وجدنا له سببـًا سوىٰ إرادة الله سبحانه وتعالي، ذلك أن أجرامـًا سماوية كثيرة لا تدور حول نفسها، وهي إن دارت حول نفسها تدور في اتجاهات عفوية، فليس مما يناقض أي قانون طبيعي أن يكون دوران الأرض علي غير ما هو عليه، ولذلك جاءت الجملة اعتراضية: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾.

وهو إنما يكون ساكنـًا في حالتين فقط: في حالة سكون الأرض آو في حالة دورانها حول نفسها جنوبـًا وشمالاً. ويكون معني الجملة الاعتراضية: لو شاء الله لجعل الأرض ساكنة أو جعل دورانها شمالاً وجنوبـًا وإذن لما اختلت الظلال بل صارت ساكنة في نصف الأرض الذي يواجه الشمس، ولتكدرت حياة الإنسان بالحر الدائم علىٰ هذا النصف والبرد الدائم علي النصف الأخر. ولا يكون في ذلك ما يناقض ما يعلم الإنسان من القوانين الطبيعية.

ولقد راجعت استعمال التعبير ﴿وَلَوْ شَآءَ﴾ في القران الكريم فوجدت في كل الحالات إن ما يرد بعد التعبير يكون مما لا يناقض حدوثه شيئـًا مما نعلم من السنن والقوانين، ولكنه لا يحدث في الواقع بسبب إرادة الله .

من أمثلة ذلك:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم﴾، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾، إلىٰ أخر الآيات وهي كثيرة . بعد هذه الجملة الاعتراضية:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾

﴿ثُمَّ﴾ هنا تفيد الترتيب والتوقيت، أي: بعد أن يكتمل مد الظل تحت أعيننا، تكون الشمس دليلنا عليه، وذلك قبيل الغروب بقليل بعد أن يتعذر علي الناس متابعة امتداد الظلال إذ تطول وتبعد وتخفت وتتداخل، فيكون موضع الشمس دليلنا عليها، وبالنظر للشمس وتحديد موضعها نستطيع أن نحسب طول الظل واتجاهه وحدوده مما كان متيسرًا بالقياس المباشر من وقت الزوال حتىٰ هذا الحين قبيل الغروب .

وتستمر الشمس دليلنا علي الظلال حتىٰ ارتفاعها بعد الشروق قدرًا يمكن الإنسان من متابعة الظل علي وجه الأرض بالقياس المباشر، فيراه الآن ينحسر ويتضاءل، ولذلك جاءت الآية:

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾

ونلاحظ ﴿ثُمَّ﴾ مرة أخرىٰ لمقتضىٰ الترتيب والتوقيت . ويستمر انحسار الظل حتىٰ وقت الزوال، فنكون قد أكملنا يومـًا كاملًا من الزوال إلىٰ الزوال، أي دورة كاملة من دورات الأرض حول نفسها شرقـًا وغربـًا . وهذا الدوران يحقق امتداد الظلال وانحسارها، ويحقق أيضا الليل والنهار . لذلك جاءت الآية:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾

أي: جعل دوران الأرض أيضا سببـًا في الليل والنهار، وبهما تستقيم الحياة، إذ في الليل ستر وراحة للأبدان بالنوم وفي النهار انتشار الناس ومعايشهم .

ولكن نتساءل هل كل الدوران شرقـًا وغربـًا للأرض حول نفسها يحقق المعيشة الطيبة المستقرة بتعاقب الليل والنهار؟ الإجابة أن لمعدل الدوران أهمية قصوىٰ في هذا، إذ هو الذي يحدد طول الليل وطول النهار . ولا يعرف الإنسان قانونـًا طبيعيًّا يمنع أن تدور الأرض حول

نفسها بمعدل عالٍ جدًّا. ففي السماء أجرام معلومة تدور حول نفسها بمعدل ثلاثين مرة في الثانية الواحدة.

ولكن تدبير الله سبحانه وتعالي جعل الأرض تدور حول نفسها بمعدل معين، مكن من تعاقب الليل و النهار بحيث تحققت راحة الأبدان ليلاً وتحصيل المقاصد والمعايش نهاراً . ولقد أشار لذلك بغاية البيان والتبيان، في لفظ: ﴿يَسِيرًا﴾ في الآية:

﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾

أي: جعل الظل ينحسر شيئًا فشيئًا في تدرج ويسر وتأنٍّ . تبارك الله أحسن الخالقين .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾.

والله أعلم بمراده

نعود لتكملة دلائل النبوة:

(١٢) كيف لرجل يرعىٰ الغنم علىٰ قراريط لأهل مكة أن يضع دستورًا يستمد منه الأولون والآخرون موادهم وقوانينهم؟

يقرر مارسيل أ. بويسارد Marcel A. Boisard في دراسة مستقلة أن أصول القانون الدولي الحديث مستمدة بالأساس من دواوين الفقه الإسلامي.

وتشريع نابليون Napoleonic Code , French civil code مُستمد من الفقه المالكي.

بل وتم الاعتراف بالشريعة الإسلامية كمصدر عالمي للتشريع والقانون في عدد من المؤتمرات الدولية العلمية منذ عام (١٩٣٢م) منها:

١- القانون المقارن الدولي في لاهاي عام ١٩٣٢م.

٢- مؤتمر لاهاي المنعقد في عام ١٩٣٧م.

٣- مؤتمر القانون المقارن في لاهاي ١٩٣٨م.

٤- المؤتمر الدولي عام ١٩٤٥م بواشنطن.

٥- شعبة الحقوق بالمجمع الدولي للقانون المقارن ١٩٥١م بباريس.

وقد صدرت عن هذه المؤتمرة قرارات هامة هي:

أ- اعتبار التشريع الإسلامي مصدرًا رابعًا لمقارنة الشرائع.

ب- الشريعة الإسلامية قائمة بذاتها لا تمت إلى القانون الروماني أو إلى أي شريعة أخرى.

ج- صلاحية الفقه الإسلامي لجميع الأزمنة والأمكنة.

د- تمثيل الشريعة الإسلامية في القضاء الدولي ومحكمة العدل الدولية.

(١٣) كيف يعلم رجل يرعىٰ الغنم علىٰ قراريط لأهل مكة أن الجبال أوتادًا؟ ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧].

يقول الدكتور André Cailleux في كتابه "تشريح الأرض":

The mountains, like pegs, have deep roots embedded in the

ground, These roots are deeply embedded in the ground, thus, a mountain have a shape like peg.

الترجمة: الجبال تشبه الأوتاد فهي تملك جذورًا عميقة في الأرض، هذه الجذور ممتدة بعمق في الأرض ولذلك فإن شكل الجبل يشبه الوتد.

ما هذه الدقة الجيولوجية العجيبة؟

١٤) كيف يتنبأ –صلىٰ الله عليه وسلم– أن أمته ستكثر ثم ستتداعىٰ عليها الأُمم؟ قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**يوشك أن تداعىٰ عليكم الأمم من كل أفق كما تداعىٰ الأكلة علىٰ قصعتها**». قال: قلنا: يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ؟ **قال:** «**أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن**». قال: قلنا: وما الوهن؟ **قال:** «**حب الحياة وكراهية الموت**». صححه الألباني.

١٥) أخبر النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – **أن أسرع أزواجه لحوقًا به أطولهن يدًا**، فكانت زينب رضي الله عنها لطول يدها بالصدقة[1].

١٦) إعجاز القرآن البلاغي: فقد نزل القرآن في أعظم الأقوام فصاحةً وبلاغةً وكانت تُعقد الأسواق للتبارز بالفصاحة واللغة، فجاء القرآن في درجة من البلاغة لم يُعهد مثلها في تراكيب العرب، يقول د.الطيب بو عزة: "وكانت فصاحة العرب أكثرها في وصف المشاهدات والغزل والتغني بالأمجاد، وكان الشاعر الذي يتقن المديح يضعف عند غيره والقرآن جاء فصيحًا في كل فن، على نفس المستوى والنسق وجاء القرآن للتأسيس لمنهج حياة في الاقتصاد والسياسة والعبادة وما يُحسن الدين والدنيا دون أن يخرج عن قالبه البلاغي، وأعلن في هذه اللحظة عن تحدي هؤلاء أن يأتوا بمثله فرأى هؤلاء أن تجميع الجيوش وتحزيب الأحزاب وتأليب القبائل لمحاربة رسول الله أهون وأيسر من معارضة القرآن وقبول التحدي، فكانوا يؤلبون القبائل من ناحية ويقولون: لا تسمعوا لهذا القرآن. من ناحية أخرى فهذا بالغ جهدهم لمعارضة الدين الجديد، ثم إنهم كانوا يختبئون فرادى يستمعون القرآن من فرط انجذابهم لسحره، حتى إذا تقابلوا قرب الفجر اجمعوا ألا يعودوا لمثلها وهكذا، ولذا اجتمعت كلمة وفود العرب على ألا

---

(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما.

يسمعوا للقرآن ولا يُسمعوه أهليهم واعتبروا أن هذا هو السبيل الوحيد لمقاومة التحدي بمثل هذا القرآن ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت:٢٦].

١٧) كيف له –صلى الله عليه وسلم– أن يتنبأ بأن الحفاة العراة رعاة الغنم في الخليج سيتطالون في البنيان؟

برج خليفة في الإمارات الأطول في العالم، وتبني السعودية في جدة برجًا أطول منه؟! بل وتُصنف مدن الخليج الآن في المعايير العالمية أنها ظواهر خرسانية عملاقة!

ففي حديث جبريل المعروف عندما سأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن الساعة وقال: أخبرني عن أمارتها. فقال صلى الله عليه وسلم: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**». رواه مسلم.

١٨) أخبر صلى الله عليه وسلم أم حرام بنت ملحان أن أُناسًا من أمته سيركبون البحر غزاةً في سبيل الله، وستكون هي أول الشهداء في غزاة البحر وقد كان. والحديث في البخاري ومسلم في أعلى درجات الصحة.

١٩) أخبر صلى الله عليه وسلم أننا سنقاتل الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن وجوههم المجال المطرقة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهؤلاء الطوائف كلها قاتلهم المسلمون وهؤلاء هم التتار وهذه هي صفتهم »[١].

٢٠) إخباره صلى الله عليه وسلم بحدوث الردة، مع أن هذا كان مستبعدًا تمامًا في عصره، وكان الناس يأتون للدين أفواجًا وتُسلخ ظهورهم لتركه فما يزيدهم هذا إلا تمسكًا وقد كان.

٢١) أخبر الله رسوله أنه سيرده إلى معاد أي مكة ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ﴾ [القصص:٨٥]، بعد أن خرج منها مهاجرًا بدينه إلى المدينة. وقد تم.

٢٢) وأخبره أنه سيدخل المسجد الحرام وصحابته محلقين رؤوسهم ومقصرين. وقد تم ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ [الفتح:٢٧].

٢٣) وأخبره أنه بعد دخول المسجد الحرام سيكون فتح آخر وهو فتح خيبر. وقد تم

---

(١) الجواب الصحيح: ٢/٨١.

﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ﴾ [الفتح:٢٧].

(٢٤) أخبر الله تعالى أنه سوف يغني قريشًا. وقد تم ﴿ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ ﴾ [التوبة:٢٨].

(٢٥) تحدى القرآن اليهود أن يتمنوا الموت بأن يقولوا نحن نتمنى الموت، فخافوا لأنهم يعلمون أن من تمنى الموت في تلك الساعة فهو حتمًا سيموت، مع أن التحدى لو أجابوا له وظلوا أحياءً، لسقطت الدعوة، قال ابن عباس: لو تمنى اليهود الموت لماتوا، فما تمنوه على حرصهم الشديد على تكذيبه. ﴿ قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٤ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٩٤-٩٥].

(٢٦) أخبر القرآن أن الوليد ابن المغيره سيموت على الكفر وسيصلى سقر، وقد كان ﴿ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر:٢٦].

(٢٧) وأخبر أنه – الوليد بن المغيرة- رُزق ببنين كثيرين ويطمع في الزيادة. لكن كلا ﴿ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ﴾ [المدثر:١٦]، ولو رُزق ببنين آخرين، أو أسلم لانتهت الدعوة!

(٢٨) تحدث القرآن الكريم عن مثيل للفلك المشحون ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ٤١ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴾ [يس: ٤١-٤٢].

فما هو مثيله إن لم تكن نبوءة عن وسائل أُخرى للمواصلات؟

(٢٩) يقول تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات:٤٧].

والسماء هنا هي مادة الأفلاك وما حولها من فضاء... فهل الفضاء مبني عند علماء الفيزياء؟؟؟؟ في عام ١٩١٦ لخص اينشتاين نظريته العامة في بحث نشر في مجلة annalen derphysic بيّن في أقل من ٦٠ صفحة أن الفضاء ليس مجرد ستار تتجلى عليه الحوادث، بل هو نفسه بنية أساسيه تتأثر بطاقة الأجسام التي يحويها وبكتلتها، وقد علق ماكس برون على النظرية بقوله: " تبدو لي النظرية أنها أعظم إنجاز حققه الفكر البشري عن الطبيعة، وأنها أعظم تركيب مذهل يجمع بين النظرة الفلسفية الثاقبة والإلهام الفيزيائي والمهارة الرياضية".

أما باقي الآية الكريمة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات:٤٧] فمعجزة سارت بها الركبان، فمن أهم الاكتشافات الفلكية فى القرن الماضى هو توسع الكون، ولا نحتاج لعناءٍ كبير فى فهم مدلول ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات:٤٧] والتي تفيد التوسع الكونى Expanding universe منذ خُلق الكون وحتى وقتنا هذا، وهذا ما بيّنه العلم وأصبح من أهم بل هو أهم منجزات الفيزياء في القرن الماضي حيث عن طريق إثبات توسع الكون تم إثبات بداية الوجود، وتم اكتشاف الثابت الكوني.

(٣٠) طبقًا للمبدأ البوكيلي Bucaillism – وهو مبدأ علمي محايد – القرآن هو الكتاب المقدس الوحيد الذي لا يوجد به خطأ علمي واحد رغم أن عمره ١٤٠٠ عام، وهذا مستحيل علميًّا؛ لأنه طبقًا لنفس المبدأ فقد كتب أرسطو ثلاثة كتب علمية: في الطبيعيات.. في السماوات.. في الأرض، هذه الكتب الثلاثة لا توجد اليوم فيها جملة واحدة صحيحة علميًّا.

(٣١) كيف يتنبأ النبي صلى الله عليه وسلم ويخبر بشهادة عمرَ وعثمانَ وعلي وطلحة والزبير، رضي الله عنهم أجمعين، وأن موتهم سيكون شهادة، وأنهم لن يموتوا على فُرُشِهم أو سواه مما يموت به الناس.

وقد صعد رسول الله ﷺ على حراء، هو وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ وطلحةُ والزبيرُ، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اهدأ، فما عليك إلا نبيٌّ أو صديقٌ أو شهيد**»(١).

فشهد صلى الله عليه وسلم لنفسه بالنبوة، ولأبي بكر بالصديقية، ولعثمانَ وعليٍّ وطلحةَ بالشهادة وقد كان.

وذات يوم مرِض علي رضي الله عنه مرضًا شديدًا، فزاره أبو سنان الدؤلي، فقال له: لقد تخوفنا عليك يا أمير المؤمنين في شكواك هذه.

فقال له علي: لكني والله ما تخوفتُ على نفسي منه؛ لأني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الصادقَ المصدوقَ يقول: «**إنك ستُضرب ضربةً ها هنا، وضربةً ها هنا – وأشار إلى**

---

(١) رواه مسلم ح٢٤١٧.

صُدغَيه - فيسيل دمها حتى تختضب لحيتُك، ويكونَ صاحبها أشقاها، كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود»[(١)].

٣٢ وتقبل فاطمة بنت النبي ﷺ تمشي، فيقول لها أبوها: «**مرحباً بابنتي**». تقول أم المؤمنين عائشة: ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسرَّ إليها حديثاً، فبكت، ثم أسرَّ إليها حديثاً فضحكتْ.

فقلت لها: ما رأيتُ كاليوم فرحًا أقرب من حزن، فسألتُها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأُفشي سِرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما قُبِض النبيُّ صلى الله عليه وسلم سألتُها، فقالت: أسرَّ إلي: «**إن جبريل كان يعارضني القرآن كلَّ سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أولُ أهلِ بيتي لحاقًا بي**»، فبكيتُ، فقال صلى الله عليه وسلم: «**أما ترضَينَ أن تكوني سيدةَ نساء أهل الجنة أو نساءِ المؤمنين**». فضحكتُ لذلك[(٢)].

٣٣ وأيضاً، من دلائل نبوته وأعلام صدقه صلى الله عليه وسلم ؛ إخبارُه أم المؤمنين ميمونةَ أنها لا تموت في مكة، فقد مرضت ميمونة في مكة، واشتد عليها المرض، فقالت لمن عندَها: أخرجوني من مكة، فإني لا أموتُ بها، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني أني لا أموت بمكة.

فحملوها حتى أتوا بها سَرِف، إلى الشجرة التي بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها في موضع الفَيئة.فماتت هناك ودفنت، وقبرها معروف اليوم في ضاحية النوارية بمكة، فكانت وفاتُها خارجاً عن مكة، كما أخبر الذي لا ينطق عن الهوى.

٣٤ ومن هؤلاء الذين تحدث النبي صلى الله عليه وسلم عن وفاتهم، سِبطُه الحسين بن علي ريحانة أهل الجنة، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لإحدى أزواجه: «**لقد دخل عليّ البيت ملَك لم يدخل عليَّ قبلَها، فقال لي: إن ابنك هذا حسين مقتول، وإن شئت أريتُك من تربة**

---

(١) رواه الحاكم (٣/ ١٢٢)، والطبراني في الكبير ح (١٧٣). قال الهيثمي: إسناده حسن.

(٢) وهذا الحديث في أعلى درجات الصحة رواه البخاري ح (٣٦٢٤)، ومسلم ح (٢٤٥٠).

الأرض التي يقتل بها. قال: فأخرج تربةً حمراء»[١].

﴿٣٥﴾ ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم إخبارُه عن موت النجاشي في أرض الحبشة في يوم وفاته، وهذا خبر تحمله الركبان يومذاك في شهر، يقول أبو هريرة –رضي الله عنه– : «نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي في اليوم الذي مات فيه، خرج إلى المصلى، فصف بهم، وكبر أربعاً»[٢].

﴿٣٦﴾ وفي اليوم السابق ليوم بدر، تفقد رسول الله أرض المعركة المرتقبة، وجعل يشير إلى مواضع مقتل المشركين فيها، ويقول: «**هذا مصرع فلان**».

قال أنس: ويضع يده على الأرض هاهنا هاهنا. فما ماطَ أحدهم عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣].

﴿٣٧﴾ ومثله في الدلالة على النبوة إخباره صلى الله عليه وسلم عن سوء خاتمة رجل قاتل مع المسلمين فأحسن البلاء والجلاد، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل ممن يدعي الإسلام: «**هذا من أهل النار**»

يقول أبو هريرة: فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً، فأصابته جراحة، فقيل: يا رسول الله، الذي قلتَ له: إنه من أهل النار؛ فإنه قد قاتل اليوم قتالاً شديداً، وقد مات! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إلى النار**».

قال أبو هريرة: فكاد بعض الناس أن يرتاب. فبينما هم على ذلك إذ قيل: إنه لم يمت، ولكن به جراحاً شديداً.

فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح، فقتل نفسه، فأُخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال: «**الله أكبر، أشهد أني عبدُ الله ورسولُه**». ثم أمر بلالاً فنادى بالناس: «**إنه لا يدخلُ**

---

(١) السلسلة الصحيحة ٨٨٢.

(٢) رواه البخاري ح١٢٥٤.

(٣) رواه مسلم ح١٧٧٩.

الجنة إلا نفسٌ مسلمة، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجلِ الفاجر»[١].

٣٨) ثبت في البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن الماء نبع من بين أصابعه الشريفة حتى توضأ منه زهاء ثلاثمائة رجل.. وهذا حديث في أعلى درجات الصحة، شهده جمعٌ غفير من الصحابة.

٣٩) ردّ عين قتادة بعد تدليها على وجنته؛ فردها – صلى الله عليه وسلم– بيده الشريفة فبرئت على الفور وكانت أحسن من قبل، والصحابي الذي كُسِرَت ساقه فبرئت بمسح النبي صلى الله عليه وسلم عليها، وبصقه ﷺ في عين عليٍّ رضي الله عنه، فبرئت في الحال والأحاديث كلها في الصحيحين.

٤٠) حديث الرجل الذي ارتد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال ﷺ: «**إن الأرض لا تقبله فمات الرجل فكلما دفنه الناس لفِظته الأرض ولم تقبله**».

٤١) تكثير القليل من الطعام بين يديه– صلى الله عليه وسلم– حتى كان يأكل منه الجيش، وتبقى منه بقية والأحاديث في ذلك في الصحيحين وغيرهما، و أشهرها حديث جابر بن عبد الله في غزوة الخندق.

٤٢) حديث عبد الله بن مسعود: « كنت أمشي في مكة فأرى حجراً أعرفه ما مرَّ عليه– رسول الله صلى الله عليه وسلم– مرة إلا وسمعته بأذني يقول السلام عليك يا رسول الله »..، وهذا الحجر العجيب قال عنه رسول الله– صلى الله عليه وسلم– :« **إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن** »[٢].

٤٣) أما إخباره صلى الله عليه وسلم بالمُغيبات فأكثر من أن يُحصى، منه إخباره عن عير

---

(١) رواه البخارى ٣٦٠٢.

(٢) والحديث راوه مسلم من طريق جابر بن سمرة.

قريش ضمن تحدي أهل مكة له لإثبات معجزة الإسراء والمعراج، ومنه إخباره بقتل أُمية بن خلف.. وكلها أحاديث في أعلى درجات الصحة.

(٤٤) أما إجابة الدعاء في الحال فالأحاديث في الباب كثيرة ومنها الرجل الذي رفض الأكل بيده اليمنى محتجًّا أنه لا يستطيع، فقال ﷺ «**لا استطعت**». فما رفعه إلى فيه والحديث رواه مسلم. وحديث نزول المطر في تبوك وغيره.

(٤٥) بل إن أحاديث تسبيح الحصى بين يديه الكريمتين وحنين الجذع وعصمته من الناس – كما في غزوة ذات الرقاع –، وشرب ١٤٠٠ من بئر لا ماءَ فيه في أعلى درجات الصحة..

(٤٦) قال البخاري رحمه الله: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**».

فأي دليلٍ أعظم من هذا الدليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم يُحدث بالوحي الذي لا يعلمه إلا الله، فإنه لم يكن يتصور أحد أن دولة الأكاسرة التي استمرت نحو ألف عامٍ يكون سقوطها وزوالها بأيدي المسلمين، وأن الأكاسرة لا يستطيعون، وإلى قيام الساعة أن يعيدوا ملكهم مرةً ثانية.

(٤٧) بينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب جاء الحسن فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

«**ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»[1].

وسُمي العام الذي أصلح الله فيه بين المسلمين على يد الحسن بن علي عام الجماعة –٤٠ هجرية–، فكيف لرجل أن يرهن دعوته كلها بمصير طفلٍ صغير؟ ثم تتحقق النبوءة على نحوٍ عجيب، إلا أن يكون ذلك وحيٌ يوحى!

(٤٨) لماذا مع الترهيب لا يتوقف رسول الله – صلى الله عليه وسلم– عن دعوته؟ فضربه

---

(١) الحديث الآخر في البخاري ٦٦٩٢.

الصبيان في الطائف حتى أُدمي رأسه ورجله الشريفة، ودخل مكة في جوار مطعم بن عدي ثم رد جواره، ورُمي أمعاء الجزور عليه، وعانى وأتباعه الجوع والحصار لمدة ثلاث سنوات في شعاب مكة حتى أنه كان يربط الحجرين على بطنه من شدة الجوع، حتى قال صلى الله عليه وسلم – بأبي وأمي ونفسي– : « **لقد أُخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت علي ثلاثون من بين ليلة ويوم، وما لي ولبَلال طعام يأكله ذو كبد، إلا شيء يواريه إبط بلال**». رواه الترمذي.

كل هذا يجري في الوقت الذي يعرض عليه الكفار الرياسة والمال، لا مقابل أن يتنازل عن دعوته، بل مقابل أن يتركهم وآلهتهم وألا يُسفه عقيدتهم! لكن دعوته كانت وحيٌ يوحى ليست مِن قِبل نفسه حتى يتركها لأفضل العروض المتاحة!

- هذه كانت حلقة من آلاف الحلقات من أُدلة نبوته صلى الله عليه وسلم، وإذا أكثرت النظر في هذا الباب يحصل لك العلم الضروري بكونه صلى الله عليه وسلم على أعلى درجات النبوة.

الجرعة التاسعة والعشرون

لماذا القرآن؟

ربما تقول لي: وأين الجرعة الثامنة والعشرون

أنا اعتبرت الجرعة السابقة كبسولتين أما ترى طولها يا صاح!؟.-

لا يوجد كتاب نزّه الخالق وقدّسه وأمر بالتوحيد والتصديق بالرسل وتنزيههم عن كل نقيصةٍ، والحث على الصالحات الباقيات مثل القرآن؛ منذ كانت الدنيا.

فالقرآن منسوجٌ بالتوحيد والنبوات والغيبيات والحِكم والفقه والتشريع والآداب، كل هذا بحبكةٍ لغويةٍ ونسجٍ لم تعهده العرب[1].

وكم من ملايين القناطير المقنطرة من الذهب والفضة دُفعت لمحو القرآن، وإذهاب أثره عن القلوب، وتشتيت أتباعه وتشويه مراده عبر الأزمان، طمعًا أن يُفعل به ما فُعل بالكُتب من قبله.

فبقي رغم كل المحاولات رافعًا أعلامه حافظًا أحكامه.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٦].

وإذا أنعمت النظر في دين النصارى وجدت أن كل شرائعهم مبدلة محرفة محدثة، فلم يكن المسيح عليه السلام يعرف كنيسةً فضلاً عن أن يبنيها فضلاً عن أن يضع قوانينها، ولم يكن يعرف ناقوسًا ولا صليبًا ولا أسرارًا ولا مطانيات –السجود للقساوسة–، ولا أيقونات –صور قديسين–، ولا مراتب كنسية ولا طقوس كهنوتية. وليس في الإنجيل الذي بين أيدي النصارى اليوم شيءٌ من ذلك!

فهي تشريعات ما أنزل الله بها من سلطان.

ولو انتقلت إلى التوراة لوجدت أن العمل بها صار من الصعوبة بمكان. حيث شدّد اليهود

---

(١) الفقرة من وحي كتاب: "رسالة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، د. ثامر بن ناصر، مكتبة الرشد".

على أنفسهم فما أطاقوا؛ وطقوس التطّهر والنجاسة عندهم تحتاج إلى قرابين وانعزالية تامة عن الحياة!

وقد تعلقت أحكام التوراة بالهيكل السليماني والمذبح وقد خرِب الهيكل ولا أحد يعرف له مكانًا، وهُدم المذبح وزال أثرهما من الوجود وهذا برهانٌ واضح على نسخ الشريعة.

أما الهندوس الذين يتردون من الجبال ويحرقون الأجساد ويغرقون في الماء من أجل التطهر فلم يبتعدوا كثيرًا عن طقوس اليهود، ولو أراد الله بعباده الهلكة للتطهر ما أذِن لهم في صنعة لبوسٍ لتحصنهم من بأسهم. ولما أوجد لهم سرابيل تقيهم الحر![1].

ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فليس في التوراة ولا الإنجيل مماثلاً لمعاني القرآن:

لا في الحقيقة.

ولا في الكيفية.

ولا الكمية.

بل يظهر التفاوت لكل مَن تدبر القرآن وتدبر الكتب"[2].

فالقرآن رسالة "اليسرى" للأمم؛ يقول الإمام جلال الدين المحلي رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الأعلى:٨].

لليسرى أي: للشريعة السهلة وهي الإسلام.

ولو انتقلت إلى معاني القرآن لوجدتها غير محدودةٍ.

وعلومه غير محصورةٍ ولا معدودةٍ.

فقد اتسع مجاله لكل فن.

يقول الآلوسي رحمه الله: «فأنت تجد في كتاب الله أخبارًا وأحكام ومواعظ وأمثال

---

(١) الإعلام بمناقب الإسلام، أبو الحسن العامري، ص١٣٧.

(٢) الجواب الصحيح ٥- ٤٣٥.

وأخلاق وآداب، وترغيب وترهيب ومدح الأخيار وذم الفجار، وتدبير السياسات ومجادلة الأخصام وإقامة الدلائل على أصول الاعتقاد وإزالة الريب، ووصف الغيب ووصف عوالم الأرض والسماوات، خارجًا بكل ذلك في حسن نظمه عن كل أسلوب فلا هو من الأراجيز البدوية ولا القصائد العربية فكلما تكرر حلا، وسمعته من أي الأفواه غلا مع اقتران معانيه المتغايرة فينقلك من الوعد إلى الوعيد ومن ماضٍ إلى حاضرٍ ومستقبل، ومن حكم إلى جدل، فلا ينبو ولا يتنافر بل تتجانس معانيه في بنيةٍ نظميةٍ بديعة»[١].

وإعجاز القرآن ليس في بلاغته فقط كما يظن الملحدة.

ولا في لفظه فقط.

ولا في معانه فقط.

بل إعجاز القرآن يشمل اللفظ والمعنى والبلاغة، وينتقل إلى العلوم والأحكام والتشريعات وتحليل النفس وسبر أغوارها وإشباع مراداتها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فالإعجاز في معناه –القرآن الكريم– أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه، وجميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه»[٢].

وانظر إلى عبارته الأخيرة – رحمه الله– والتي تُسبك بماء الذهب: " وجميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه".

فالقرآن معجزٌ وإعجازه لا يتوقف؛ فهو معجزٌ بلفظه ومعناه ومعارفه وفنونه وعلومه.

ولم يقدر أحد من العرب أن يأتي بمثله في لفظه ولا غير العرب في معانيه.

وعدم الفعل مع كمال الداعي يستلزم عدم القدرة.

أما إعجاز القرآن البلاغي فلأنه:

جاء بأفصح الألفاظ.

---

(١) الدلائل العقلية/ الألوسي، مخطوط.

(٢) الجواب الصحيح ٥– ٤٣٤.

في أحسن نظوم التأليف.

مضمنًا أصح المعاني.

فاللفظة الواحدة من القرآن لو أخذتها وأدرت لغة العرب كله لتحصل على لفظةٍ أحسن منها ما استطعت[١].

ولو أردت أن تؤلف بكلماتٍ أخرى غير كلمات القرآن لتوازي حسن تأليفه وحبكته ورونقه لشهدت له بالنصر وعلى نفسك بالعجز.

انظر إيجاز اللفظ مع دقة المعاني وكثرتها وتلاؤم الكلام في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود:٤٤].

وانظر إلى الإيجاز القرآني المعجز في قوله تعالى ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ [الصافات:١٠٣].

وتفسير الآية: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ خضعا وانقادا لأمر الله تعالى ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ صرعه عليه ولكل إنسان جبينان بينهما الجبهة وكان ذلك بمعنى وأمر السكين على حلقه فلم تعمل شيئا بمانع من القدرة الإلهية[٢].

هل تستطيع أن تأتي بهذا المعنى المطلوب بنفس هذا العدد من الكلمات في إطار حبكةٍ بلاغية لا تنبو عن سير الآيات قبلها وبعدها؟

ولو انتقلت عن لغة العرب وأردت أن تترجم كلمة مثل " أنلزمكموها" في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ [هود:٢٨].

فأنت تترجمها بعد أن تتفكك ويخفت رونقها إلى سبع كلماتٍ بالإنجليزية Shall we compel you to accept it.

---

(١) الفقرة من وحي "رسالة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم"؛ م. س.

(٢) تفسير الجلالين للآية.

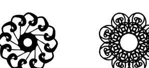
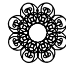
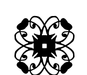
وحبكة اللفظ القرآني واستيعابه للمعنى التام مما سارت بأمثاله الركبان. انظر إلى كلمة ﴿ فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾ في قوله تعالى ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَازِنِينَ ﴾ [الحجر:٢٢].

لفظة واحدة بها حرف عطف، وفعل وفاعل، ومفعول أول ومفعول ثانٍ.

ولذا عندما سمع العرب الأقحاح كتاب الله عز وجل خطف أسماعهم بقوة تأثيره ورقراق بلاغته؛ فعن جبير بن مطعم عن أبيه حين سمع قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧].

قال: كاد قلبي أن يطير![١].

إن كل هذا ليقطع بأن الظاهرة القرآنية ما جائت إلا لتتحدى وتهدي وتُصلح!

---

(١) صحيح البخاري، ٤٥٠١.

الجرعة الثلاثون

الفرق بين معجزات القرآن ومعجزات الهندوس -مثلاً-

الظاهرة القرآنية هي الظاهرة المستحيلة!

مستحيلة التكرار.

مستحيلة التحدي.

مستحيلة المقابلة.

مستحيلة المقارنة بغيرها.

ومجرد إتيان الرسول ﷺ الأمي بهذا الكتاب في دلائله وتشريعاته ومعجزاته وبيانه لمن أكبر الآيات على صدقه.

ثم عجْز المشركين عن معارضته أو حتى مجاراته؛ ثم إصلاح هذا الكتاب لأكبر مشكلتين في الوجود وهما "المعرفة والسلوك" مع المحافظة على النسق البياني البلاغي البديع؛ ومطابقة كل أمرٍ ونهيٍ في الكتاب للعدل والميزان والفطرة ومنهج الأنبياء قبله؛ لهي حججٌ بعضها فوق بعض لمن تدّبر.

وقد أوجدت الظاهرة القرآنية من الهباء أُمةً ضخمةً واستبقت على القرون جيلاً من الناس ما كانوا ليدخلوا التاريخ أبدًا لولا نهوض هذه الظاهرة بهم!

وقد تقررت هذه الحقيقة في اللحظات التي كانت فيها الدعوة على المحك ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف:٤٤].

ولم يستطع ملاحدة العصر أن يواجهوا الظاهرة القرآنية إلا بسخافاتٍ، كان صمتهم أفضل وأكثر تعقلاً من التصريح بها!

ومن هذه السخافات: زعم بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم تلقى القرآن من حدّادٍ نصراني مشتغلٍ في الحدادة، منهمك في مطرقته لا يعلم الكتاب إلا أماني، لسانه أعجمي.

وقال آخرون: ربما نقله من بحيرا الراهب حين قابله وهو طفل.

فيا له من منطقٍ كان السكوت أستر لهم!

ويأتي زعم آخر أن القرآن من حديث نفس محمدٍ ﷺ حيث أفاضت نفسه هذه المعارف، ويرد د.عبد الله دراز رحمه الله على هذا الادعاء المضحك فيقول: «نعم؛ إنها لعجيبة حقًّا: رجلٌ أمي بين أظهر قومٍ أميين، يحضر مشاهدهم -في غير الباطل والفجور- ويعيش معيشتهم مشغولًا برزق نفسه وزوجه وأولاده، راعيًا بالأجر، أو تاجرًا بالأجر، لا صلة له بالعلم والعلماء؛ يقضي في هذا المستوى أكثر من أربعين سنة من عمره، ثم يطلع علينا فيما بين عشيةٍ وضحاها فيكلمنا بما لا عهد له به في سالف حياته، وربما لم يتحدث إلى أحدٍ بحرفٍ واحد منه قبل ذلك، ويبدي لنا من أخبار تلك القرون الأولى مما أخفاه أهل العلم في دفاترهم وقماطرهم.

أفي مثل هذا يقول الجاهلون: إنه استوحى عقله واستلهم ضميره؟

أي منطقٍ يسوغ أن يكون هذا الطور الجديد العلمي نتيجة طبيعية لتلك الحياة الماضية الأمية؟

إنه لا مناص في قضية العقل من أن يكون لهذا الانتقال الطفري سرٌّ آخر يلتمس خارجًا عن حدود النفس وعن دائرة المعلومات القديمة.

وإن ملاحدة الجاهلية وهم أجلاف الأعراب في البادية كانوا في الجملة أصدق تعليلًا لهذه الظاهرة وأقرب فهمًا لهذا السر من ملاحدة هذا العصر، إذ لم يقولوا كما قال هؤلاء: إنه استقى هذه الأخبار من وحي نفسه، بل قالوا: إنه لا بد أن تكون قد أمليت عليه منذ يومئذٍ علومٌ جديدة، فدرس منها ما لم يكن قد درس، وتعلم ما لم يكن يعلم ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام:١٠٥].

ولقد صدقوا؛ فإنه درسها، ولكن على أستاذه الروح الأمين، واكتتبها، ولكن من صحفٍ مكرمةٍ مرفوعةٍ مطهرةٍ، بأيدي سفرة، كرامٍ بررة.

﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يونس:١٦].

ذلك شأن ما في القرآن من الأنباء التاريخية، لا جدال في أن سبيلها النقل لا العقل، وأنها

تجيء من خارج النفس لا من داخلها»[١].

والظاهرة القرآنية بُعيد كل هذا هي في استقلالٍ تام عن ذات موضوع النبي ﷺ، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– يتعرض لنكباتٍ ونكبات –مثل موت خديجة وعمه أبي طالب–، ولا نجد لذلك أثراً في القرآن.

أيضًا لا نجد أسماء زوجاته في القرآن الكريم مع تعلقه بخديجة إلى آخر لحظةٍ في حياته؛ وفي المقابل نجد اسم السيدة مريم تكرر قرابة ٣٤ مرة.

وأيضًا لو نظرت إلى المجاز القرآني لوجدته بعيدًا تمامًا عن خيال العربي الذي ينشد في معلقاته وأشعاره الغزل ووصف المرأة والخمر، فالمجاز القرآني لوحة شاملة رائعة تختلط فيها الأنهار التي تجري في المروج الخضر مع الظلمات التي في البحار اللجية.

وداخل هذه الوحدة الأدبية تتوافر الدقة العلمية والدقة المعرفية لأنه كتابٌ موحًى به من خالق السماء والأرض.

وفي إطار حديثنا عن الدقة العلمية. فالقرآن الكريم هو الكتاب المقدس الوحيد على وجه الأرض الذي يخلو من خطأ علمي واحد وهذا بحد ذاته أعظم إعجاز علمي على الإطلاق.

في المقابل أعطني كتيب أو مطوية صغيرة مكتوبة منذ مائتي عام فقط تصف أية مسألةٍ علمية وسأُخرج لك منها أخطاء صريحة.

فقد كَتب أرسطو ثلاثة كتب علمية "في الطبيعيات، في السماوات، في الأرض" هذه الكتب الثلاثة لا توجد اليوم فيها جملة واحدة صحيحة علميًا، فقد كان أرسطو طبقًا لهذه الكتب يرى أن:

أسنان المرأة تختلف في العدد عن أسنان الرجل!

وأنه يوجد في صدر المرأة ثلاثة ضلوع فقط!

وأن وظيفة المخ تبريد الدم بينما وظيفة القلب تسخينه![٢].

---

(١) النبأ العظيم، د.عبد الله دراز، ص٤٠.

(2) http://chsi.harvard.edu/bok/06.html.

وكان أرسطو يرى أن المياه الجوفية تتكون نتيجة فجوة في قلب الأرض تنقل مياه المحيط إليها!

وما إلى ذلك من الخرافات العلمية التي تملأ كتبه. بينما يقول القرآن في هذه المسألة الأخيرة مثلًا –تكوّن المياه الجوفية– خلاصة ما توصل له العلم منذ عقودٍ قليلة فقط، وهو أن المياه الجوفية مصدرها مياه الأمطار ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر:٢١].

فمصدر الميـاه الجوفيه هو الينابيع المتكونة من الأمطـار، وليس فجوة أرسطو التي في عمق القارة.

فمعجزة الضبط العلمي للقرآن الكريم هي أعظم معجزة علمية على الإطلاق!

وطبقا للمبدأ البوكيلي Bucaillism – الذي قام بصكه موريس بوكاي منذ عقودٍ قليلة– فإن القرآن الكريم بعد مراجعة علمية دقيقة هو الكتاب الوحيد الذي لا يوجد به خطـأ علمي واحد رغم أن عمره ١٤٠٠ عام[1].

مع أن القرآن كتاب إصلاح للمعرفة والسلوك في المقام الأول.

ولو ترحّلت عن القرآن الكريم إلى غيره من الكتب فأنعمت النظر في منحى الدقة العلمية في تلك الكتب. لوجدت نصوصًا تقطع بالوضع –التحريف– في تلكم الكتب!

فلك أن تتخيل! لو أن نصًّا واحدًا من كتاب مثل الفيدا – الكتاب المقدس للهندوس– كان موجودًا في كتاب الله؟

وسأعرض الآن بين يديك شيئًا من نصوص كتب الأسبقين:

تقول الفيدا أن: الأرض ثابتة لا تتحرك " الريج فيدا ٢١٢".

وخلق الله الأرض ثابتة. "ياجور فيدا ٣٢-٦".

والشمس تدور حول الأرض داخل عربة ذهبية يقودها سبعة أحصنة. " ياجور فيدا ٣٣–

---

(١) Bucaillism at wikipedia.

٤٣".

والثور يُثبت السماء. "ياجور فيدا ٤-٣٠".

-والياجور فيدا هي أحد الكتب الأربعة القانونية المقدسة لدى الهندوس-.

ويقول الفيشنو بارانا أن الشمس تبتعد عن الأرض ٨٠٠ ألف ميل، بينما المسافة علميًّا ٩٣ مليون ميل.

ويقول الآثارفا فيدا: وفي خضم الماء يدور القمر. "آثارفا فيدا ١٨٨٩".

وغيرها الكثير؛ فالحمد لله على الدين الخاتم المعصوم المحفوظ، الذي بلغه لنا أشرف الخلق محمدًا صلى الله عليه وسلم، كاملاً غير منقوص.

ولو نظرنا إلى تقرير الظاهرة القرآنية لجانب العقيدة والتوحيد. فالقرآن هو منتهى الرقي في تنقية العقيدة التوحيدية من أية شوائب كفرية؛ يقول د.الطيب بو عزة: «يؤكد القرآن دائماً دور الكتب المقدسة في المسألة التوحيدية، ومع ذلك يؤكد القرآن دائماً على إخراج الذات الإلهية من نطاق الأنانية اليهودية – حيث الرب القومي لليهود –، والتعدد المسيحي – حيث عقيدة الثالوث الموغلة في التشويش والارتياب –، فالله ربُّ العالمين واحدٌ أحدٌ ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير، ولذا فقد خرجت التعديلات اللاهوتية اللاحقة على اليهودية والمسيحية على يد توما الاكويني وموسى بن ميمون كإفراز لقراءتهم المنشور الإسلامي في عقيدته الصافية بالله، والتي شوهتها معاصى اليهود والمسيحيين، فحاول الرجلان تنسيق ديانتيهما بما يتناسب مع المنشور الجديد الذي سيجذب كل أتباع الديانات إليه إذا لم يحدث تدخل سريع لموارية الصدع ومحاولة التقرب من عقيدة الإسلام النقية، وإثبات أن كلتا العقيدتين الأخريتين بناؤهما الأصلى وعمادهما أيضاً على توحيد الله في الصيغة النهائية، فالتحسينات التي أُدخلت على العقيدتين لم يكن منها مناص لإيقاف أفواج الداخلين في الدين الجديد»[1].

وفي الختام هل تبقى دعوى لمدعٍ أن القرآن من صنع محمدٍ ﷺ ؟

يقول دكتور محمد عبد الله دراز –رحمه الله-: «القرآن إذن صريح في أنه لا صنعة فيه

---

(١) من وحي بعض مقالات د. الطيب بو عزة على منتدى التوحيد –بتصرف-.

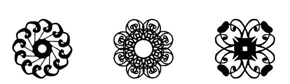
لمحمدٍ – صلى الله عليه وسلم– ولا لأحدٍ من الخلق، وإنما هو منزلٌ من عند الله بلفظه ومعناه ومن العجب أن يبقى بعضُ الناس في حاجةٍ إلى الاستدلال على الشطر الأول من هذه المسألة وهو أنه ليس من عند محمد.

في الحق أن هذه القضية لو وجدت قاضيًا يقضي بالعدل لاكتفى بسماع هذه الشهادة التي جاءت بلسان صاحبها على نفسه.

وأي مصلحةٍ للعاقل الذي يدَّعي لنفسه حق الزعامة ويتحدى الناس بالأعاجيب والمعجزات لتأييد تلك الزعامة، أي مصلحةٍ له كي ينسب بضاعته لغيره ولو انتحلها لما وجد من البشر أحدًا يعارضه ويزعمها لنفسه؟

بل وشهد الرسول ﷺ على نفسه بالعجز ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يونس:١٦] »[١].

إنها قضية عادلة، قضية محايدة، قضية يقتضيها العقل والمنطق ألا وهي: التسليم بأن القرآن الكريم موحًى به من عند الله سبحانه.



(١) النبأ العظيم ص ٢١.

الجرعة الحادية والثلاثون

لماذا الشر موجود؟(*)

أحد الأصول الكبرى التي ينبني عليها الإلحاد هو: "تقعيد الاستثناءات".

وتقعيد الاستثناءات تعني: **جعل الاستثناء قاعدة.**

وهذا أصل إلحادي كبير!

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧].

فإذا شهد الملحد شخصًا مريضًا حكم بأن الشر أصلٌ في العالم: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ﴾ [آل عمران:٧].

وإذا شهد جواز التعدد في النكاح حكم باستلاب كافة حقوق المرأة، وإذا شهد جواز الخُلع حكم باستلاب كافة حقوق الرجل.

وهكذا صار أصل الإلحاد تقعيدًا للاستثناءات!

(*) هناك نقطة جميلة ذكرها الأخ الحبيب د.مهاب السعيد في كتابه "الإجابة" بشأن موضوع الشر وهي أن: مشكلة الشر مشكلة نصرانية لا علاقة لنا بها أصلاً!

لكن كهنة الإلحاد ينقلون لنا إفراز ملاحدة الغرب بلا وعي بالثقافة الإسلامية، وكأنهم لم يقرئوا يومًا ما سطرًا في الإسلام! هذه القضية لا تمثل لنا أدنى مشكلة.

المشكلة هي مع النصرانية حيث ترى النصرانية أن الإله محبة وأنه صلب ابنه –الذي هو نفسه أيضًا– على الصليب من أجلنا، وهنا تظهر المشكلة الكبرى إذا كان الله محبة وصلب ابنه لماذا ما زال للشر موجودًا؟

أين المحبة؟

أما في الإسلام فالشر والخير ابتلاء من جملة الابتلاءات ﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٥].

والله في الإسلام كما له كل صفات الجمال –المحبة والرضا والعفو والرحمة– كذلك له كل صفات الجلال فهو العزيز المنتقم القوي المتعال!

وهذا التقعيد الذي يمارسه الملحدة الجدد يسري على أحكام الشريعة والجهاد والنكاح والبيوع والمعاملات، والفتن والبلايا والأوجاع والشرور والتكليف وكل شيء!

فهذا أصل جوهري من أصول إلحادهم.

مع أن الإلحاد لو كان صحيحًا لما استوعبنا وجود الشر ولا الخير، ولا استوعبنا الحكم على أمثال هذه القضايا بأحكامٍ كليةٍ، وكأن معنا تركيبًا عقليًّا متجاوزًا نعطي خلاله أحكامًا وتصير هذه الأحكام صحيحة.

فمِن أين لنا بهذا السلطان authority التي نحكم من خلاله ونعطي تقييمًا؟

هل العالم المادي الذي يفتقد للمعيارية أصلاً يعطي هذا السلطان وهذه الوثوقية في الأحكام؟

إن حُكم الملحد وقراره بخطأ هذا وصحة ذاك، وخيرية هذا الحكم وشر الحكم الآخر. هذه القرارات التي يصدرها الملحد تعني خطأ الإلحاد ذاته.

فلو كنّا أبناء هذا العالم فلن يبدو فيه شر ولا خير، ولن تعرف معنى الخطأ ولا الخلل وهذا ما يقرره بالحرف ريتشارد داوكينز Richard Dawkins –عرّاب الملحدين في العالم– حين قال: "الكون في حقيقته بلا تصميم، بلا غاية، بلا شر ولا خير"[1].

فإذا كانت قسوة عمياء غير مبالية كما تقولون وكما تصفون الكون. فكيف أنت تبالي بالخير أو بالشر؟

إن مبالاتك بالخير والشر وتساؤلك عن وجود أطفال مشوهين، أو وجود ظلم في هذا الحكم الشرعي او ذاك. لهو أكبر دليل على سخافة التصور الإلحادي للوجود!

فالمرء لا يصف خطًّا بأنه غير مستقيم إلا إذا كانت لديه فكرة ما عن ماهية الخط المستقيم.

وإذا كان العرض كله سيئًا وتافهًا من الألف إلى الياء كما تزعمون، فلماذا وجدت نفسك

---

(١) The universe we observe has precisely the properties we should expect if there is, at bottom no design, no purpose, no evil and no good.

River out of Eden, p.131-132.

أيها الملحد! في ردة فعل عنيفة هكذا تُجاهه، مع أنك من المفترض جزءٌ من العرض؟

فلو كان الكون كله عديم المعنى لما كان قد تبين لنا إطلاقًا أنه عديم المعنى.

فالوضع شبيه بهذا تمامًا: لو لم يكن في العالم نور، ولم تكن في العالم مخلوقات لها أعين لما كُنا نعرف قطعًا أن الظُلمة مسيطرة ولكانت الظُلمة كلمة عديمة المعنى(١).

فاستيعاب التشوه واستيعاب الخطأ يدلان على استقرار الكمال في الفِطر، ولولا ذلك لما أدركنا معنى الخلل، وكل هذه مفاهيم لا تنتمي إلى هذا العالم المادي اللامعياري في شيء!

إذن الشر هو أكبر دليل على أننا لسنا أبناء هذا العالم؛ واستيعابك للشر دليلٌ على أن المقدمة الدينية موجودة وصحيحة.

لأنه لا بديل ثالث!

إما مقدمتك الإلحادية: وهذه تفتقد للمعيارية، وبالتالي لا تستطيع عبرها أن تستوعب الخطأ ولا الشر.

وإما المقدمة الدينية: وهذه المقدمة تؤكد وجود الكمال ووجود الفِطرة التي تستوعب ذلك الكمال، وتؤكد هذه المقدمة أن الشر لحِكمة والخير لاختبار. فهي مقدمة متسقة مع ذاتها وتملك تعليلاً ومعنًى وقيمةً للأحكام!

أضِف إلى ما سبق: أن وجود التشوه يُسقط الإلحاد رياضيًّا لو كنت تعي!

فلو كانت قضية وجود الإنسان في هذا العالم محض صدفة وتطور، فلن ينشأ إنسان واحد معافًى بالصدفة، ولا كائن أقل تطورًا ولا ميكروب ولا حتى عضية خلية بل ولا إنزيم واحد!

فلو افترضنا أن الكون كله تحوّل إلى برميلٍ من الأحماض الأمينية –البنى التحتية للبروتين – ومضى على هذا البرميل مليارات أضعاف عمر الكون فلن يُنتج إنزيم واحد متخصص فضلاً عن آلاف الإنزيمات والبروتينات المتخصصة التي توجد في أدنى الكائنات الحية وأبسطها.

وهذا ما يعترف به الملحد العنيد فريد هويل Fred Hoyle حين يقرر أن فرصة الحصول على فقط مجموعة الإنزيمات لأبسط خلية حية تصل إلى ١٠ أس ٤٠,٠٠٠ مع أن عدد الذرات

---

(١) C.S. Lewis response بتصرف.

في الكون كله لا تتجاوز ١٠ أس ٨٠[١].

بل مجرد افتراض أن البرنامج المنظم للخلية الحية، يمكن أن يظهر بالمصادفة في الحساء البدئي لبيئة الأرض الأولى، هو هراء على أعلى مستوًى ممكن؛ كما يقول بالحرف فريد هويل.

Is evidently nonsense of a high order[2].

وهذا نفس ما توصل إليه اللاديني فرانسيس كريك Crick Francis مكتشف جزيء الDNA حيث يقرر أن نشأة بروتين واحد وظيفي بسيط بالصدفة هو ضرب من الاستحالة يكاد يفوق ١٠ أس ٢٦٠ مع أن عدد ذرات الكون ككل كما قلنا لا تتجاوز ١٠ أس ٨٠، هذا في بروتين وظيفي بسيط. مع أن أدنى الكائنات به آلاف البروتينات، وفي النهاية يعترف فرانسيس كريك قائلاً: "كرجل منصف، ومُسلح بالعلم المتاح لنا الآن، أستطيع أن أُقرر بشيءٍ من المنطق، أن نشأة الحياة معجزة"[٣].

---

(1) the chance of obtaining the required set of enzymes for even the simplest living cell without panspermia was one in 1040,000. Since the number of atoms in the known universe is infinitesimally tiny by comparison (1080).

(2) The notion that not only the biopolymer but the operating program of a living cell could be arrived at by chance in a primordial organic soup here on the Earth is evidently nonsense of a high order.

Sir Fredrick Hoyle and Chandra Wickramasinghe, Evolution from Space (New York: Simon & Schuster, 1984), p. 148

" (3)If a particular amino acid sequence was selected by chance, how rare an event would this be؟

"This is an easy exercise in combinatorials. Suppose the chain is about two hundred amino acids long; this is, if anything rather less than the average length of proteins of all types. Since we have just twenty possibilities at each place, the number of possibilities is twenty multiplied by itself some two hundred times. This is conveniently written 20200 and is approximately equal to 10260, that is, a one followed by 260 zeros .

فإذا كنت أيها الملحد صادقًا مع نفسك في طرحك للشبهة فودِّع إلحادك قبل أن تطرحها!

فوجودك ذاته دليلٌ على خطأ إلحادك.

واستيعابك الشبهة دليلٌ إضافي على وجود الفطرة والمقدمة الدينية.

لذلك أقول أن الملحد لحظة إلحاده يشبه قول القائل: "أعطني معجزة واحدة مجانًا –خلق الحياة، خلق الكون، خلق الجينوم، خلق الفطرة، خلق القيم الأخلاقية، خلق منظومات الحدود الحرجة فيزيائيًّا وكيميائيًّا،....– وسأشرح أنا البقية".

أما عن جواب "معضلة الشر" –كما يُسمونها– من منظورٍ ديني فنزيده تفصيلاً كما يلي:

الشر موجود لأنك في عالم اختباري تكليفي توجد فيه بعض الغوامض التي لا تستوعبها لكن تكِل علمها إلى الله، وهذا هو التصرف الحكيم المُطالب به ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران:٧].

فأنت تجد المحكم –الأطفال الأصحاء– وهو الأشمل والأعم، وتجد المتشابه –المشوهين– في صورةٍ لها حِكمتها التي قد تخفى عليك، والمطلوب منك أن تكِل علم هذا المتشابه إلى الله؛ لأن حكمتك ليست كُلية وربما يَفتح الله لك بالجهد العلمي المادي، والجهد الإيماني الروحي وتطلع على شيءٍ من الحكمة! ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البقرة:٢٦٩].

يقول ديكارت في كتابه "التأملات": "ليس لدي أدنى سبب يجعلني أتذمر من أن الله لم يمنحني قدرة أعظم على الفهم، أو أنه لم يهبني نورًا طبيعيًّا أكثر مما وهب، فمن الطبيعي أن تظل

"Moreover, we have only considered a polypeptide chain of rather modest length. Had we considered longer ones as well, the figure would have been even more immense. The great majority of sequences can never have been synthesized at all, at any time". pp. 51-52

"An honest man, armed with all the knowledge available to us now, could only state that in some sense, the origin of life appears at the moment to be almost a miracle, so many are the conditions which would have had to have been satisfied to get it going."

Life Itself: Its Origin and Nature, P.88

هناك أشياء غير مفهومة بالنسبة لفهمٍ محدود، ومن الطبيعي أن يظل الفهم المخلوق محدودًا"[١].

فقوام التكليف على الحكمة وقوام الحكمة على الخفاء!

فلو كان الله موجودًا فما المـانع أن تكون له حكمـة في تدبير الامور؟

فما أبعد أحكامه سبحانه وتعالى عن الفحص، وطُرقه عن الاستقصاء[٢].

وقد جلَّى الله الحِكمة من أفعال الخضر لسيدنا موسى –عليه السلام–، مع أنها أفعالٌ تُعد ظاهريًّا مُنكرة وغير مستساغة، لكنها تكتنف على خيرٍ عظيم، وقصة موسى والخضر لم تأت في القرآن من باب السرد والحكايا، لكن من باب التدبر والإخبات والإقرار بقصور النفس البشرية وحكمها المُتعجل.

ثم إنك لو تدبّرت أحوال العباد؛ فقد تجد عجبًا. وقد تحزن على حال الذي يموت في سن المائة بضيق الشرايين التاجية، وتفرح لمآل الذي وُلِد مشوَّهًا.

فالعبرة لا تقاس بمُعاملٍ واحدٍ في مسألةٍ متشابكةٍ كالإنسان، فربما المشوه يجد الوقت ليتدبر ويرتقي، وابن المائة سنة يرتع في الملذات ويسقط في الدركات.

لذا التبسيط واختزال المُعاملات في مُعاملٍ واحد أسلوبٌ غير مقبولٍ منطقيًّا وغير صحيح دينيًّا، لكنه الحجة الباقية للملحد، وبدون هذا الأُسلوب لن تستقيم له شبهة.

فلا يجوز لملحدٍ أن يحتجَّ في باب الحِكمة الإلهية بشيءٍ، لأن الملحد بداهةً ليس كُلي العلم، ولا يعرف ما في غدٍ حتى يُقرر ويعطي نظرةً شموليةً على مسألةٍ لم يستوعبها.

فحُكم الملحد على الأمور التي تخفى فيها الحِكمة قـاصرٌ بقصور الطبيعة البشرية نفسهـا، وبقصور نظرتهـا الإدراكية.

فالاستيعـاب الشمولي، والحُكم الكُلي، ليس مجال النفس البشرية ولا يقع في نطاق قدراتهـا القاصرة، وبالتالي فلا يحق للملحد أن يتحدث في باب الحِكمة الإلهية بشيءٍ أو يعطي

---

(١) Descartes, R., Meditations and Other Metaphysical Writings, p.49 .

(نقلاً عن كتاب ثلاث رسائل؛ د.عبد الله الشهري، مركز نماء)

(٢) قول كتابي –منقول عن الكتب المقدسة القديمة، الرسالة إلى رومية إصحاح ١١ عدد ٣٣–.

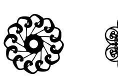
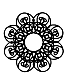
فيها رأيًا!

فالبقعة السوداء قد تكون فى الصورة كلها لونًا من ألوانها التى لا غنى عنها –كما يقول محمود عباس العقاد رحمه الله–، ونحن فى حياتنا القريبة قد نبكى لحادثٍ يعجبنا ثم نعود فنضحك أو نغتبط بما كسبناه منه بعد فواته.

فسبحان الخالق المدبِّر!

المهم خلاصة ما نريد أن يرصده القلم، ويثبت عليه البصر، ويستجليه القلب، أن إطباق الملحدين على تقعيد الاستثناءات صار أصلاً لا ينفك رصده عمن قرأ خطابهم!

والحمد لله رب العالمين

الجرعة الثانية والثلاثون

تمجيد الملحد للفلسفة والفلاسفة شيء مثير للشفقة

دائمًا ما ينتابني شعور بالغثيان كلما رأيت بحثًا لملحد يضع بجانبه تمثال المفكر Le Penseur – تلك المنحوتة الموجودة في باريس والتي تشير إلى رجل يتأمل بعمق–، أو يضع صورة لأحد الفلاسفة القدامى مكان صورته، ويجهل المسكين أنه يُمجد مَن دمروا فلسفته الإلحادية عبر العصور، فعندما يتحدث الملحد عن الفلاسفة أو يفخر بجهودهم، فهو يُشبه اليهودي الذي يفخر بجهود هتلر وجوبلز.

يا نيافات الملحدين ويا حضرات الشمامسة الصغار، ويا كهنة الإلحاد! إن أصل الفلسفة وقوامها وغايتها هو التأسيس للدين ومحاربة الوثنية في كل مكان، وقد كان فلاسفة هليوبوليس وفلاسفة منف Menphis وفلاسفة الأشمونين يعيشون لقضية الكبرى وهي: محاربة كهنة الوثنية في معابد مصر، وكانت جهود طلاب الفلسفة في تلك الحقبة تدور حول رد الآلهة جميعًا إلى الله الواحد الأحد، وكانت هذه الجهود قبل ظهور أخناتون بحقب طويلة، وقد انتصرت جهود هؤلاء في كثير من الأوقات وتمّ الإعتراف رسميًّا بوحدة الإله الخالق في مذهبي عين شمس ومنف قبل إخناتون بكثير على يد فلاسفة منف وهليوبوليس(١).

وأصبح للتوحيد السيادة الكلية في مصر وصار عقيدة الجميع في الفترة من ١٥٧٥ق.م. إلى١٠٨٧ ق.م.

ولا نستبعد بل ونُرجح بشدة أن يكون طلاب الفلسفة هؤلاء هم تلاميذ الأنبياء وأتباعهم، فمن الصعب بمكان تخيل استقلال العقل بفكرة التوحيد – توحيد الله –، بل والدعوة إليها ووجود صدى لها عند جموع الشباب والمثقفين وقيام الثورات من أجل تحقيق ذلك المطلب الأسمى؛ نقول: لم يكن ليتحقق كل ذلك دون قبس إلهي ونقولات النبوات وعقيدة مترسخة في العقل القديم تقول بالتوحيد وأنه الأصل، وأن كهنة المعابد خانوا الأمانة فوجبت الثورات المتتالية عليهم والتي لم تتوقف يومًا حتى في عصور الاستعمار الطويلة.

---

(١) Wilson-the culture of ancient Egypt p.228، ترجمة دكتور عبد العزيز صالح.

يقول الشيخ نديم الجسر في رائعته: «وإني أرَجِّحُ أن كثيرًا من فلسفة الأقدمين في مصر والصين والهند هي بقايا نبوات نسيها التاريخ فحُشر أصحابُها في عداد الفلاسفة، ولعلهم من الرسل أو اتباع الرسل»(١).

وإذا تركنا مصر واتجهنا شمالًا حيث ياقوتة الفلسفة في كل العصور ودرة الفلاسفة دولة اليونان القديمة، فإن أصل وقوام الفلسفة اليونانية هو تحرير العقل من أسر الوثنية والدعوة للإيمان بالخالق الواحد، وكان هذا هو السبب في الحكم بالإعدام على الفيلسوف أناكساغوراس، واضطراره إلى الرحيل عن أثينا- حتى لا يُنفذ فيه الحكم-، فقد كانت تهمته المباشرة هي الدعوة للتوحيد ونبذ الوثنية.

بل إن الذي لا خلاف عليه بين المؤرخين هو أن غاية كل فلاسفة اليونان هو تصحيح الوثنية الإغريقية وإعادة ضبطها على النمط التوحيدي، وقد تكفل ذلك إصدار أحكام بالإعدام على كثيرين من هؤلاء الفلاسفة بعد نقدهم لوثنية أشعار هوميروس وهيزيود(٢).

وقد انتقد كزيونفان بشدة وكذلك أفلاطون ومن قبلهما فيثاغورس و....، الصورة الوثنية لآلهة اليونان، وقد كان أفلاطون ينصح بعدم تدريس أشعار هوميروس للأطفال، لما فيها من إخلال بسمو الإلوهية، ولم يعترف أناكساغور وسقراط وأنتيستين وأفلاطون وغيرهم من الفلاسفة إلا بإله واحد رافضين التعدد الوثني(٣).

فتنزيه الألوهية وتوحيدها كان المطلب الأسمى لفلاسفة اليونان، فقد كانت الفلسفة رؤية مشغولة بهاجس الوثنية ومحاولة تنقيتها وإعادتها إلى التوحيد الصحيح، وهذا ما ظهر مع نشأة الفلسفة على يد طاليس وأنكسيمندر وأمباذوقليس، فلم تكن الفلسفة لتظهر على يد هؤلاء باصطلاحها المعروف اليوم إلا من أجل نفي الوثنية والدعوة للتوحيد وتنزيه الخالق.

وكانت المدرسة الإيلية التي أسسها الفيلسوف كزينوفان مدرسة توحيدية لتعليم الناس التوحيد الخالص ومحاربة الوثنية بكل صورها، وكان مستند محاكمة وإعدام سقراط هو ما جاء

---

(١) قصة الإيمان ص٣٥.

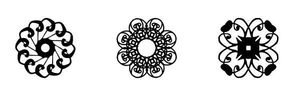
(٢) في دلالة الفلسفة وسؤال النشأة، د. الطيب بوعزة، ص٢٣٢.

(٣) م س نفس الصفحة.

في صك الاتهام أنه " لم يكن يؤمن بالمعتقد الديني للمدينة" فقد كان سقراط داعية التوحيد وتنزيه الله، ولم يخرج أرسطو من أثينا هاربًا إلا للفرار بالعقيدة التوحيدية حين قال كلمته الشهيرة" لا أُريد لأثينا أن ترتكب في حق الفلسفة حماقة أُخرى مثلما ارتكبتها عندما أعدمت سقراط".

إننا هنا لسنا بصدد الدفاع عن الفلسفة أو تبرير وجودها في وجود النص الديني الأنقى والأسلم والأقرب والأحكم والأعلم، لكن أن يتجرد قمص ملحد لتمجيد الفلسفة فهذا يعني غياب العقلاء عن الساحة وانفراد المجاذيب والمخابيل بالحضور.

إن الفلسفة في أصلها نزوع نحو التنزيه، بل ربما الإفراط في التنزيه- التوحيد الأرسطي- وبالتالي فهي حجر عثرة لكل ملحد، ولا يليق بملحد عاقل أن يدافع عنها فضلاً عن أن يمجدها، فالفلسفة ظلت طيلة ٢٢ قرن تمثل سند معرفي مباشر ودعم ظاهر لكل المدارس المؤمنة.



الجرعة الثالثة والثلاثون

هل كان فلاسفة الإسلام ملحدين؟

صراحةً هذا السؤال يكرره الملاحدة كثيرًا، وهو يمثل خرافة من أسخف ما يكون؛

وقد رددت على هذا السؤال في كتابي كهنة الإلحاد الجديد وأنقل منه الآن شاهدًا:

لا يوجد في تاريخ أُمة الإسلام ملحد واحد،

ومشكلة الملحد العربي أنه لا يعرف الفرق بين الإلحاد الاصطلاحي والإلحاد في اللغة..

فيظن أن كل شخص أُطلق عليه لفظة ملحد أنه مُنكر للصانع..!!

فالإلحاد في اللغة يشمل كل من يميل عن شرع الله..

أما الإلحاد الاصطلاحي الذي يعني إنكار الصانع فهذا لا يُعرف في تاريخ أُمة الإسلام..

ولا يوجد في تاريخ أُمة الإسلام عبر التاريخ وعبر الجغرافيا مُلحد واحد..!!

لا يوجد في تاريخ أُمة الإسلام عبر التاريخ وعبر الجغرافيا مُلحد واحد..!!

يقول ابن رشد: « إن العرب كلها تعترف بوجود الباري سبحانه وتعالى»[(١)].

ويقول الشهرستاني: «وشبهات العرب مقصورة على شبهتين..إنكار البعث.. وبعثة الرسول»[(٢)].

ويقول الشهرستاني أيضًا: «أما تعطيل الصانع العالم القادر الحكيم فلست أراها مقالة لأحد.. ولا أعرف عليها صاحب مقالة»[(٣)].

ولذا «لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك»[(٤)].

---

(١) منهاج الأدلة ص١٢٨. من كتاب (العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الإلحادية. د.فرج الله عبد الباري أُستاذ العقيدة والأديان.دار الآفاق العربية.ص٤٣).

(٢) الملل والنِحل ٤-١٠٥. (نفس المصدر السابق ص ٤٣).

(٣) نهاية الإقدام ص١٢٣. (نفس المصدر السابق ص ٤٣).

(٤) المصدر السابق.

بل وقد ذهب الآلوسي وابن كثير في تفسيرهما إلى أن الدهرية كانوا يؤمنون بالله لكنهم ينكرون البعث وهذا في تفسيرهم قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وسنذكر فيما يلي الشخصيات التي وُصفت جهلاً وزورًا وكذباً بالإلحاد..

وليس معنى ذلك أن هذه شخصيات مُنزهة عن الخطأ بل بعضها له أخطاء شنيعة في العقيدة لكن هذا أمر لا علاقة له بالإلحاد – الذي هو إنكار الصانع – من قريب أو بعيد.

الفارابي:

وُلد سنة ٢٦٠ هجرية ولُقِّب بـ" المعلم الثاني " نسبةً للمعلم الأول أرسطو.. وهو شارح مؤلفات أرسطو المنطقية... وصاحب كتاب "الآثار العلوية" والمنافح عن عقيدة التوحيد.. والذي قضى عمره زاهدًا متقشفاً ليتفرغ لتأصيل فلسفة التوحيد، وواجب الوجود وحين مات صلَّى عليه سيف الدولة ابن حمدان.. يقول الفارابي " معرفة الحقائق القصوى كلها مصدرها الله والفيلسوف يتلقى الحقائق بواسطة العقل الفعال فتكون طبيعتها عقليه وليس حسية، أما الرسول فتأتيه المعارف مُنَّزلة من عند الله بتوسط الملك جبريل "(١).

ويضع الفارابي شرطًا جوهريًّا في مدينته الفاضلة وهو الإيمان بالله الواحد الأحد لكل أبناء المدينة.. فكيف يُقال عن هذا أنه ملحد؟.!!

ابن سينا:

وُلد سنة ٣٧٠ هجرية، وكان والده شيعيًّا إسماعيليًّا.. ولُقِّب بـ " الشيخ الرئيس " وعاش متفائلاً في جميع مراحل حياته وكان يعتقد أن العالم الذي نعيش فيه أحسن العوالم الممكنة، وكان له تأثر شديد بالإسماعيلية في كتاباته ولذا يعتبره شيخ الإسلام -ابن تيمية- من الطائفة الإسماعيلية لا أكثر.

وكان ابن سينا يقول بالمعاد الروحاني لا الجسماني، فقد كان متأثرًا كثيرًا بالفلسفة الباطنية عند الإسماعيلية لكن هذا شيء والإلحاد الذي هو كفر الصانع شيء آخر تماماً.

---

(١) الفارابي المعلم الثاني.

بل إنه لما اعتلَّ وتكاثرت عليه الأمراض في نهاية حياته اغتسل وتاب وتصدَّق بما لديه من مال للفقراء، وأعتق غلمانه طلبًا للمغفرة، وبدأ يختم القرآن كل ثلاثة أيام[١].

ابن طفيل:

وُلد سنة ٤٩٣ هجرية في قرطبة، وهو من قبيلة مُضر العربية، وهو الفيزيائي الطبيب العالم الفيلسوف، قاضي الأندلس.. صاحب رواية "حي بن يقظان " الشهيرة، التي تروي قصة طفل نشأ في جزيرة نائية بحضرة الحيوانات فاهتدى بفطرته إلى الله وظل يتعبد له...وقصة "حي بن يقظان " قصة فلسفية في غاية الرُّقي الفكري تُصنَّف في باب الإلهيـات وإثبات الروح بالفطرة.[٢]

هل هذا يُقال عنه أنه ملحد؟

ابن رشد:

وُلد سنة ٥٢٠ هجرية.. فيلسوف وفقيه وقاضي وفيزيائي وطبيب.. إمام أهل الأندلس المالكي، شيخ فلاسفة الإسلام.. قاضي أشبيلية.. صاحب كتاب " فصل المقال فيما بين الحِكمة والشريعة من الاتصال" وهو الكتاب الذي يشرح الجمع بين العقل والنقل.. يقول ابن رشد: "إنّ الحكمة هي صاحبة الشّريعة، والأخت الرّضيعة لها، وهما المصطحبتان بالطّبع، المتحابّتان بالجوهر والغريزة. ".. ويَعتبر ابن رشد أن الفلسفة هي " النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أعني من جهة ما هي مصنوعات، فإن الموجودات إنما تدل على الصانع بمعرفة صنعتها، وأنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم".[٣].

ثم يأتي ملحد معاصر ويُصنف ابن رشد في قائمة الملحدين عنده..والله المستعان.!!

ابن الراوندي:

---

(١) وفيات الأعيان. لابن خلكان المجلد الثاني صفحة ١٥٧.

(2) http://shamela.ws/index.php/book/9734.

(٣) ابن رشد. فصل المقال ص٢٢.

من أكثر الشخصيات غُموضًا في تاريخ أُمة الإسلام.. لا نعرف هل مات في الأربعين أم الثمانين، انتقل بين الديانات..

كان يهوديًّا وأسلم ليستعز بالدولة الإسلامية العباسية، ثم أصبح معتزليًّا؛ لأنهم الأقرب للخليفة، ثم هاجمهم، ثم التحق بالشيعة الباطنية، وألف كتاباً في تأييد الشيعة مقابل ٣٣ دينار، ثم أصبح سُنيًّا وألف كتابًا في التوحيد انتصاراً للسُّنَّة، ثم صار يهوديًّا مرة أُخرى وألَّف كتاب البصيرة لنصرة اليهودية مقابل ٤٠٠ درهم، ثم حاول الرد على اليهود فأسكته اليهود مقابل ١٠٠ درهم أُخرى.. ومِثل هذا عبء على اليهود واليهودية لا أكثر..!![١].

عبد الله ابن المقفع:

وُلد سنة ١٤٢ هجرية.. فارسي زرادشتي اعتنق الإسلام.. واتصل بعم أبي العباس السفاح و أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، وكانت علاقاته السياسية سبباً مباشرًا في قتله وتلويث سمعته من قِبل حُساده بعد موته.. ولذا يقول وائل حافظ في تصديره لكتاب الأدب الصغير " ابن المقفع كُتُبُه بين أيدينا تكاد تنطق قائلة : ((وايم الله! إنَّ صاحبي لبريء مما نُسب إليه))!.وليت شعري كيف ساغ لفلان وفلان وفلان ممن ترجموا للرجل أن يجزموا بذلك، وكلهم قد صَفِرَت يَدُهُ من البرهان؟ إنْ هي إلا تهمة تناقلوها بدون بيان. وقِدْمًا اتهموا أبا العلاء المعري بذلك حتى قيض الله له مِن جهابذة المتأخرين مَن أثبت بالدليل الساطع والبرهان القاطع براءته".

ولذا يقول د. عبد الرحمن بدوي:« ابن المقفع نَسبت إليه المعتزلة الكثير من الأقوال وهذا يرجع إلى الحسد»[٢].

ابن زكريا الرازي:

وُلد سنة ٢٥٠ هجرية.. عالم وطبيب فارسي ومن أشهر الأطباء في التاريخ.. وقد ابتكر خيوط الجراحة وصنع المراهم..

---

(١) يوسف زيدان أُستاذ الفلسفة ومدير مركز المخطوطات بمكتبة الاسكندرية (المصدر كتاب "وهم الإلحاد" د.عمرو شريف).

(٢) من تاريخ الإلحاد في الإسلام. د.عبد الرحمن بدوي.

لم ينكر وجود الله وكان يعتبر العقل هبة الله ليتفكر به الإنسان.. وهو صاحب كتاب «إن للعبد خالقا».. فكيف يُصنف في زمرة الملحدين.؟

أما ما نُسِّب إليه في النبوات فيقول د. عبد الرحمن بدوي « ابن زكريا الرازي كل ما لدينا عنه يرجع إلى ما يُورده الخصوم فضلاً عن ندرة هذه الآثار أصلاً»(١).

ولذا يُثني عليه الإمام الذهبي في سِير أعلام النُبلاء ولم ينقل فيه مذمَّة واحدة يقول الذهبي: « أبو بكر، محمد بن زكريا الرازي الطبيب، صاحب التصانيف، من أذكياء أهل زمانه، وكان كثير الأسفار، وافر الحُرمة، صاحب مروءةٍ وإيثار ورأفة بالمرضى، وكان واسع المعرفة، مكباً على الاشتغال، مليح التأليف.. وله كتاب : الحاوي ثلاثون مجلدًا في الطب، وكتاب : إن للعبد خالقاً.. »!!(٢).

جابر ابن حيان :

وُلد سنة ١٠١ هجرية.. عالم مسلم عربي.. كيميائي ويُعد أول من استخدم الكيمياء عملياً في التاريخ.. وتُسمى بإسمه فيقال " علم جابر " ويُقصد به الكيمياء، وله في الكيمياء ما لأرسطو في المنطق.

ويوصف طبقاً لفرانسيس بيكون أنه " أول من عَلَّم عِلم الكيمياء "..

وهو أول من اكتشف الأحماض والقلويات وأطلق عليها هذا الاسم الذي ما زالت تعرف به في الغرب والشرق alkali

واستخدم المنهج التجريبي في أبحاثه.. وكان من أصحاب جعفر الصادق.. وكان صوفياً دراساً للقرآن الكريم..!!

ولا أدري ما علاقة الرجل بالإلحاد..!!

الجاحظ:

وُلد سنة ١٥٩ هجرية.. من كبار أئمة الأدب العربي في العصر العباسي.. وكان فقيرًا فصار

---

(١) من تاريخ الإلحاد في الإسلام. د.عبد الرحمن بدوي. ص١٦٥.

(٢) سير أعلام النبلاء : الطبقة السابعة عشر : محمد بن زكريا.

يبيع السمك والخبز في النهار، ويكتري دكاكين الورّاقين في الليل، فكان يقرأ منها ما يستطيع قراءته...!!

تتلمذ على يد إبراهيم بن سيار النظَّام المعتزلي.. وله مقالات في أصول الدين..وأشهر مؤلفاته «الحيوان» و«البيان والتبيين» وكان مُحبًّا للعلم والعلماء والأئمة وملازماً لهم طيلة عمره...

ومن مؤلفاته في العقيدة «الحُجة في ثبت النبوة»، و «الرد على اليهود»، و «الرد على الجهمية »[١]

وما أدري كيف يوصف الرجل بالإلحاد...؟!!

أبو العلاء المعري:

وُلد سنة ٣٦٣ هجرية.. شاعر وأديب عربي من العصر العباسي.. قال ابن فضل العمري: "أخذ عنه خلق لا يعلمهم إلا الله، كلهم قضاة وخطباء وأهل تبحر واستفادوا منه، ولم يَذكره أحدٌ منهم بطعن، ولم يُنسب حديثه إلى ضعف أو وهن".

آمن المعري بالله إيمانًا فطريًا وعقليًّا يجعله لا يرتاب في وجود الخالق:

أثبت لي خالقًا حكيمًا... ولست من معشر نُفَاة

بل إن صِلته بربه قوية وأعز عنده من الدر والياقوت:

وشاهدٌ خالقي أن الصلاة له... أجل عنديَ من دري وياقوتي

انقطع عن الدنيا وفارق لذائذها، وأطلق على نفسه رهين المحبسين، وكان يصوم النهار ويسرد الصيام سردًا لا يفطر إلا العيدين، ويقيم الليل ولا يأكل اللحوم والبيض والألبان ولا يتزوج، وكان يكتفي بما يخرج من الأرض من بقلٍ وفاكهة[٢].

اتُهم بالزندقة بسبب رسالته في الغفران لكنها رسالة مزح كان يمازح فيها صديقه ابن القارح، وتظهر فيها مقدرة المعري اللغوية كما تبدو فيها مقدرته على السخرية والنقد..!!

---

(١) http://forum.alqum-a.com/t28149.html.

(٢) http://shamela.ws/index.php/author/84.

ولكنه وَجد من يدافع عنه نافيًا هذه التهمة. ومن هؤلاء أبو فهر محمود شاكر والمُحدث أحمد شاكر والقفطي وابن النديم، وسَمَّى الأخير كتابه:" كتاب الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري "وقال في مقدمته متحدثًا عن حُسَّاده وشانئيه: " ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذي قصده، فجعلوا محاسنه عيوبًا وحسناته ذنوبًا وعقله حمقًا وزهده فِسقًا، ورشقوه بأليم السِهام ".

ومِن أحسن الشهادات في حقه شهادة الإمام الذهبي حين قال في سير أعلام النُبلاء "وفي الجملة فكان من أهل الفضل الوافر والأدب الباهر والمعرفة بالنَسَّب وأيام العرب. وله في التوحيد وإثبات النبوة وما يحض على الزهد وإحياء طرق الفتوة والمروءة، شِعر كثير والمشكل منه فله ـ على زعمه ـ تفسير".

الكِندي:

وُلد سنة ١٨٥ هجرية.. عالم مسلم عربي.. برع في الفيزياء والطب والترجمة وهو رائد تحليل الشفرات.. ويلقب ب "فيلسوف العرب" نظرا لبراعته في التوفيق بين الفلسفة والعلوم الإسلامية.. وفلسفته كانت في إثبات توحيد الله وفي الروح ويرى أن النبوة تفضل الفلسفة في أربعة أوجه :« في شموليتها وأنها من الله مباشرة وسهولة تلقيها من الله وسرعة تلقينها للناس العاديين بعكس الفلسفة الأكثر تعقيدا»..

فكيف يقال عن هذا أنه مُلحد؟

أبو حيان التوحيدي:

وُلد سنة ٣١٠ هجرية.. فيلسوف متصوف.. قال عنه تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى «شيخ الصوفية وصاحب كتاب البصائر وغيره من المصنفات في علم التصوف....وكان فقيراً صابراً متديناً إلى أن قال: وكان صحيح العقيدة قال الذهبي: كذا قال، بل كان عدواً لله خبيثاً، وهذه مبالغة عظيمة من الذهبي». انتهى.

قال ياقوت الحموي في معجم الأدباء «أبو حيان التوحيدي... صوفي السمت والهيئة..فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاءً وفطنةً، وفصاحةً ومكنةً، كثير التحصيل للعلوم في كل فن حفظه، واسع الدراية والرواية، وكان مع ذلك محدوداً محارفًا يشتكي صرف زمانه، ويبكي في تصانيفه

على حرمانه..»[١].

إذن لم يكن في تاريخ الإسلام ملحد واحد، فالإلحاد الذي هو إنكـار الصانع يختلف عن الإلحـاد الإصطلاحي المعاصر...

لا يوجد في تـاريخ الإسلام مُلحد واحد عبر التاريخ وعبر الجغرافيـا.. ولم يُنسب الإلحاد الذي هو كُفر الصـانع إلى واحد من أُمة الإسلام..!!

ولم يقل بالإلحاد الذي هو كفر الصانع واحد من جملة العُقلاء ولا الفلاسفة ولا الأطباء ولا أهل الفلك ولا الحساب ولا الفيزياء ولا الكيمياء في تاريخ أُمة الإسلام.. **ولم يُحفظ سطر واحد فيه إنكار الصانع عن أُمة الإسلام قاطبةً...**

وحتى ابن سينا الذي أكثر عليه الملاحدة، فغاية ما هو منسوب إليه عند الغزالي وابن تيمية وابن القيم، إنكار علم الله بالجزئيات بعلم جزئي بل بعلم كُلّي – ظنَّـا منه أن هذا أقرب للتنزيـه –، وهذا لا علاقة له من قريب أو بعيد بالإلحاد الذي هو إنكار الصانع، وحاشا لله أن تُخبل عقول هؤلاء الفلاسفة إلى هذا الحد من الجنون..!!

وأنكر ابن سينا أيضاً المعاد الجسماني يوم القيامة " فليكن هذا كافياً في مناقضة الجاعلين المعاد للبدن وحده، أو للنفس والبدن معاً...فالمعاد إذن للنفس وحدها"[٢].

وهذه شنيعة كبرى في العقيدة لكن ما علاقتها بكفر الصانع، بل ربما نستدل منها على إثبات الصانع والإيمان بالبعث عند ابن سينا فهذه من بدهيات عقيدته والتي لم ينفها عنه مَن كفَّروه..!!

ويرى شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله أن ابن سينا ما اشتغل بالفلسفة إلا لتنزيه الله عن افتراءات الطائفة الإسماعيلية التي هي عائلته[٣].

---

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، الجزء الخامس عشر، حرف العين.

(٢) الأضحوية ص/ ١٢٦،١١٤.

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية.. الرد على الرد على المنطقيين.. ص١٤١.

لكنه تأثر بالإسماعيلية أهل دعوة الحاكم في الإمامة(١).

وبالمناسبة عندما تقرأ كلمة " إلحاد الطائفة الإسماعيلية "عندما تقرأ هذه الكلمة عند السلف عليك أن تعلم أنها لا علاقة لها من قريب أو بعيد أو فوق أو تحت بكفر الصانع أيضًا... بل الطائفة الإسماعيلية اثني عشرية مؤمنون بالقرآن الكريم حتمًا وقطعًا، موحدون الله حتمًا وقطعًا، مثبتون وجود الله بداهة.. وإنما يقول بعضهم بشناعات كُفرية في العقيدة مثل إنكار المعاد الجسماني وإنكار علم الله بالجُزيئات بعلم جزئي وغير ذلك.. وينسبون الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق – ولذا سُموا بالإسماعيلية – وبذلك انشقوا عن باقي الاثني عشرية الذين جعلوا الإمامة في موسى الكاظم... ولا أدري أيضًا ما علاقة هذا بالإلحاد الاصطلاحي المعاصر الذي هو كفر الصانع..!!

فلابد لابد من التفريق بين الإلحاد لغًة والإلحاد اصطلاحًا... ولذا يقول ابن القيم رحمه الله: «ومَن أثبتَ منهم وجودَ الربِّ جعله لازماً لذاته أزلاً وأبداً غيرَ مخلوقٍ، كما هو قول ابن سينا والنصير الطوسي وأتباعهما من الملاحدة»(٢).

إذن الإلحاد عند السلف لا علاقة له بالإلحاد الاصطلاحي المعاصر الذي يعني إنكار الصانع..!

وفي النجوم الزاهرة للتغري بردي قال وهو يتحدث عن ابن سينا : «كان إمام عصره في الحكمة وعلوم الأوائل، بل كان إماماً في سائر العلوم. وتصانيفه كثيرة في فنون العلوم، حتى قيل عنه: إنه ليس في الإسلام من هو في رتبته. قال أبو عبد الله الذهبي: كان ابن سينا آية في الذكاء، وهو رأس الفلاسفة الإسلاميين الذين مشوا خلف العقول، وخالفوا الرسول – قلت: لم يكن ابن سينا بهذه المثابة بل كان حنفي المذهب، تفقه على الإمام أبي بكر بن أبي عبد الله الزاهد

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية.. نقض المنطق.. ص ٨٧.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية.. ص٨٦.

الحنفي - وتاب في مرض موته، وتصدق بما كان معه، وأعتق مماليكه، ورد المظالم على من عرفه، وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمة إلى أن توفي يوم الجمعة في شهر رمضان. قلت: ومن يمشي خلف العقول، ويخالف الرسول، لا يقلد الأحكام الشرعية، ولا يتقرب بتلاوة القرآن العظيم».

والله وحده الأعلم بحال ومآل ابن سينا... لكن غاية ما هنالك أن هذا شيء وإنكار الصانع شيء آخر تمامًا..

فيُرجى عدم الخلط.. لأن هذا غاية الملحد المعاصر ومنتهى مأربه وبالغ عزمه وأصل قصده والله المستعان..!!

الجرعة الرابعة والثلاثون

لماذا الكون بهذه الضخامة، والأرض بهذه الضآلة؟

هذا السؤال كثيرًا ما يكرره الملحد رغم تفاهته وسذاجته.

فيدعي الملحد أن الكون ضخم، فما معنى أن يهتم الخالق بكرة الأرض الصغيرة تلك؟

الرد:

يُشغب الملاحدة كثيرًا بمسألة ضخامة حجم الكون وحقارة حجم الأرض وبالتالي حجم الإنسان، لكن هذا الكلام يشتمل على افتراض جدلي وهو أن ضخامة حجم الشيء أو ضآلته مؤثر في المسألة، وهو فرض مجرد عن أي دليل.

ثم إنه ليست العبرة بالحجم الحسي للإنسان وإنما بالحجم المعنوي لأشياء بلا حجم كالأخلاق والصدق والأمانة، ولو كان للحجم في ميزان الله أدنى اعتبار لكانت السماوات والأرض أولى بحمل الأمانة، ثم إن الحيتان أضخم من الميكروبات بمليارات المرات، فهل هذا يعني أن الحيتان أهم من الميكروبات؟ وما معنى كلمة أهم هنا؟ وما القيمة الجدلية لهذه الكلمة "أهم"؟

وهل الله يهتم بالكائن الضخم لضخامته ولا يهتم بالكائن الصغير؟ أم أنه كفل للجميع الرزق والنظام الأنسب؟

ثم إن السماوات والارض مصدرهما نقطة أصغر من رأس الدبوس –أصغر من بروتون الذرة بمليارات مليارات المرات–، أليس كذلك يزعم كل فيزيائيي العالم طبقًا للبيج بانج؟

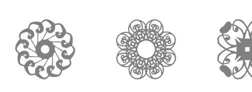
أيضًا الحجم نسبي ولو تحولت المجموعة الشمسية كلها إلى ثقب أسود فلن تتجاوز كيس شيبس صغير– حجم الأرض ٩, ٠ سنتيمتر مكعب–.

إذن القضية ليست بالأحجام ولا الحكم على الأشياء يكون بالأحجام والأوزان والأثقال..

القضية هي إدراك هذه الأشياء واستيعابها، والآن هل ثمة شيء يستوعب هذه العلاقات بين الأحجام إلا الإنسان؟ هل ثمة شيء يدرك الفوارق إلا الإنسان؟ هل ثمة شيء يدرك القوانين وضخامة الأفلاك وعظمة الخلق وروعة الإعداد بعناية إلا الإنسان؟

هل ثمة شيء يدرك أن الوردة حمراء وبديعة التنسيق والجمال غير الإنسان؟ هل ثمة شيء يدرك مدارات الأفلاك وروعة المنظومة الفيزيائية التي تحكم الكون غير الإنسان؟

إذن لا يختلف العلماء على أن الإنسان مركز الكون إدراكيًا وسيكولوجيًا وحديثًا فيزيائيًا ومنذ الأزل دينيًا.



الجرعة الخامسة والثلاثون

يزعمون حتمية الحل العلماني للخروج من الفتن الطائفية!

هذه فضيحة من أكبر الفضائح التي يروج لها العلمانيون العرب، فبتسوانا وناميبيا وجامبيا وموريشيوس والسنغال كلها دول أفريقية تُدار بأنظمة ليبرالية علمانية رأسمالية ديموقراطية تمامًا منذ عشرات السنين، ومع ذلك هذه الدول من أفقر دول العالم على الإطلاق وأكثرها انتهاكًا لحقوق الإنسان!

ودولة ليبريا الأفريقية، تعمل بالدستور الأمريكي مباشرًة، وعملتها الدولار، وبها مجلس شيوخ ومجلس نواب منذ أكثر من نصف قرن من الزمان، وهي علمانية ليبرالية عتيقة، وأهلها ليبراليون جدًا - يرقصون الشارلستون ويأكلون لبان تشكلس ويرتدون أحذية نايكي- ومع ذلك دولة ليبريا مُصنفة كأفقر دول العالم على الإطلاق.

وفي العام الماضي لم يلتحق بالجامعة في ليبريا طالب واحد، فجميع الطلاب بلا استثناء فشلوا![1].

ثم إن جميع الحروب الكبرى في القرن العشرين جرت بين دولة علمانية علمانية، والحربان العالميتان الأولى والثانية واللتان أبادتا ٥٪ من سكان العالم وأعادتا المهزوم والمنتصر ثلث قرن إلى الوراء كانتا حروب حصرية بالدول العلمانية.

وجميع الأيديولوجيات الإجرامية التي ظهرت في القرن العشرين مثل النازية في ألمانيا والفاشية في إيطاليا والستالينية في الاتحاد السوفيتي والماوية في الصين، كلها أيديولوجيات علمانية نشأت وترعرعت في دول علمانية.

---

(١) http://today.almasryalyoum.com/article2.aspx?ArticleID=394860.

والحزب النازي في ألمانيا وصل إلى الحكم بطريقة ديموقراطية علمانية رشيدة، وكل قرارات الإبادة التي قام بها الحزب تمت بطريقة ديموقراطية عقلانية.

والمشروع الإمبريالي الغربي قامت به حكومات تم انتخابها بطرق علمانية سليمة، وعمليات السخرة والإبادة كانت تحظى بالتأييد العلماني.

أما حقوق الإنسان التي يتمحك بها العلمانيون فليس لها في الإرث العلماني نصيب، فحقوق الإنسان قضية ميتافيزيقية بحتة، فقولك أن البشر متساوون هذا ممكن فقط إذا كان الإنسان مخلوقًا لله، فالمساواة بين البشر هي خصوصية أخلاقية وليست حقيقة طبيعية أو مادية أو عقلية، فالناس بالمنظور المادي أو الطبيعي أو العقلي هم وبلا شك غير متساوين، وتأسيسًا على الدين فقط يستطيع الضعفاء والبسطاء المطالبة بالمساواة.

ففي المنظور المادي العلماني العلاقات بين البشر تسودها الرؤية الداروينية والبقاء للأصلح Survival for the Fittest، والانتخاب الطبيعي Natural Selection.

وفي الإطار المادي يتم تقسيم البشر وتصنيفهم طبقًا لمقاس حجم الجمجمة Skull Measurement وهو المفهوم الذي أسست لهم العلمانية الغربية، فحجم جمجمتك يحدد درجة ومستوى جنسك وبالتالي حقك في البقاء.

وداخل العالم المادي العلماني الغربي اضطرت أجناس كاملة من البشر ومنهم المصريون إلى الدخول في أقفاص الحيوانات Human Zoo باعتبارهم حلقات

أدنى[1].

فالذي يتحدث عن حقوق الإنسان بمنظور علماني هو شخص لا يعرف شيء عن التاريخ ولا الفكر ولامعنى العلمانية ذاتها!

المشكلة أن العلمانيين العرب دائمًا يستحضرون بعض النماذج الغربية التي يرون أن صورتها مشرقة دائماً –مثل هولندا وأسبانيا والبرتغال وفرنسا–، وطبعًا لابد أن تكون مشرقة دائمًا لأن ثرواتها جاءت نتيجة ٥٠٠ عام من الاستعمار، و٥٠ عام من صندوق النقد الدولي.

---

(1) http://query.nytimes.com/gst/abstract.html?res=9C04E7D81F3EE733A25753C1A96F9C946797D6CF

الجرعة السادسة والثلاثون

ملكات اليمين والسبايا رحمة

بدايةً لابد من تحليل قضية الرق من داخل التاريخ ذاته كالتالي:

أولًا: العبودية هي مرحلة أساسية في تاريخ الجنس البشري، ومن مقتضيات عصور بشرية أصيلة.

ثانيًا: لا يوجد في تاريخ البشرية ديانة ولا فلسفة ولا مذهبًا ولا فِرقة، إلا وأجازت الرق واعتبرته بديهة وجودية.

ثالثًا: اختفاء الرق في القرن الماضي كان فقط لظهور المكائن – الآلات التي حلت محل البشر – وإلا فالرق كان وسيظل موجودًا ما وُجد الإنسان.

رابعًا: لا يوجد مانع ديني ولا أخلاقي ولا مادي ولا علمي ولا فلسفي ولا إلحادي يمنع من ممارسة الرِق بمفهومه الإسلامي –الذي هو أقرب للتبني– كما سنبين بعد قليل.

خامسًا: لم يتوقف الرق فجأةً لضجر العبيد أو لرهافة إحساس الأسياد، ولكن فقط نتيجة استغناء مباشر عن العبيد بالمكائن التي ظهرت في القرن الماضي.

سادسًا: لم يعرف التاريخ ناقدًا للعبودية على طول الخط وانتهاء العبودية جاء فقط كنتيجةٍ بديهيةٍ لعدم الحاجة إليهم، ولذا قال نيتشه: "لو أمطرت السماء حرية لأمسك العبيد مظلات".

وفلاسفة الدنيا كلها أطبقوا على أن مفهوم الرق في أصله مفهومٌ مقبول وسنذكر بعض **الأمثلة:**

١- كان أرسطو يرى أن العبودية أمر بَدَهِيٌّ وكان من أشد المؤيدين لها والحريصين عليها

٢- قال أرسطو : الذي يخضع للقانون هو أيضا عند مستوىً ما من العبودية.

٣- جمهورية أفلاطون الفاضلة لا تخلو من العبيد.

٤- يؤيد هيجل العبودية بشدة ويرى أن العبد يحقق متعته في خدمة سيده.

٥- يقول كارل ماركس بدون عبيد لا وجود لأمريكا الشمالية[١].

سابعًا: يرى هيجل أن الغريزة الأساسية في الإنسان هي الرغبة في نيل الاعتراف–ينال قيمته–، وفي هذا الإطار فالعبد يحقق غايته تمامًا، حيث أن العبد يحقق متعته في خدمة سيده وهو في ذلك يسعى إلى الرغبة في الاعتراف، والعبد لا يتمرد على سيده أبدًا لأنه أصلاً لا يعرف أنه ينقصه شيء، فهو رغباته المادية يحققها من أموال سيده ورغباته فوق المادية مثل الرغبة في الاعتراف يحققها ببراعته في عمله، بل وكلما كان أكثر إخلاصًا لسيده كان أكثر تحقيقًا لهذه الرغبة، لذا فالعبد لا يشعر أنه عبد، بل يتحرك في إطار عقلاني يستوعبه ويستوعب سيده، لذا لم يتمرد العبيد. فالعبد في البداية والنهاية مسوقٌ إلى الدور المطلوب منه – كالسيد تمامًا .

ثامنًا: يقول مؤسس الدولة المدنية جون لوك: "الملوك في أمريكا القديمة والذين كانوا يملكون أراضٍ شاسعة هم أفقر ماديًا من عامل إنجليزي في ورش مانشستر".

لكن الملك لديه من يعترف به فتزداد سعادته، فالسعادة قيمة نسبية لا علاقة لها بالوسائل المادية المتاحة، وإنما هدف السعادة المادية هو نيل الاعتراف وهذا متحقق للعبد ماديًا!

تاسعًا: في لحظةٍ ما عندما نحتاج للعبيد سيعود العبيد، خاصّة وأنه بعد اختراع الأسلحة النووية ظهرت في الأدب العالمي فكرة احتمالية أنه في أي لحظة يمكن أن يخسر العالم كل التكنولوجيا الحديثة ونعود للخيل والجِمال مرّة أخرى، وفي فيلم محارب الطريق the road warrior للمنتج الاسترالي جورج ميلر، نرى حضارة مستقبلية قائمة على الخيل والعربات التي تجرها الحيوانات[٢].

عاشرًا: الذي ينتقد العبودية هو حتمًا سينتقد منظومة العمل والحياة الوظيفية الآن، **فالحياة الوظيفية هي رِق جزئي –عبودية جزئية–**، وفي تعريفها الرسمي: استقطاع ساعات معينة من وقت الموظف لصالح مؤسسة أو شركة أو شخصٍ ما، مقابل تقاضي أجر محدد أو منفعةٍ محددةٍ.

---

(١) http://www.marxists.org/archive/marx/410.htm.

(٢) نهـاية التاريخ، فرانسيس فوكوياما، ص ٨٦.

لكن الإنسان المعاصر يستسيغ المنظومة الوظيفية الآن ولا يستسيغ مسألة الرق فقط بسبب المعاصرة – فهو معاصر للمنظومة الوظيفية ولم يعاصر مسألة الرق –.

بل إن **الفرق الجوهري بين الرق والمنظومة الوظيفية هو فرق زمني لا قِيمي**، فالمنظومة الوظيفية هي رِق وقتي، وسخرة جزئية كما يتفق على ذلك المُشرعون!

أيضًا الرق ليس بالصورة التي يرسمها ويروِّج لها العصرانيون، وإنما ربما تنطبق تلك الصورة على ما كان يجري في الدولة الرومانية، بينما في بلادنا كان الرقيق أئمة الدنيا وعلماء الدين. ودولة المماليك خير شاهدٍ عبر الزمان.

إذن الرق أمر بَدَهِيٌّ عبر التاريخ وعبر الجغرافيا، والحفاظ على حقوق الرقيق هو الوصية العاشرة من الوصايا العشر في التوراة: " سفر التثنية ٥-٢١ ".

والحفاظ على حقوق الأسياد ووجوب طاعتهم مِن قبل العبيد هو وصية الإنجيل: " الرسالة إلى أفسس ٦:٥ ".

ولم يكن الإسلام بِدعًا من الأديان، ولم يكن النبي ﷺ بِدعًا من الرسل فقد جاءت الوصية مباشرةً بحفظ حقوق الرقيق في الإسلام.

حفظ حقوق الرقيق في الإسلام:

١) قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

٢) وقال تعالى ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [النساء:٢٥].

فأمر سبحانه مَن أراد أن يتزوج من أمته أن ينكحها بإذن أهلها وأن يعطيها مهرها كاملاً!

٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي**». صحيح مسلم.

٤) وقال صلى الله عليه وسلم: «**إنّ إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان**

أخوه تحت يده فليطعمه ممّا يأكل وليلبسه ممّا يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم». متفقٌ عليه

ولذا صار الرقيق في الدولة الإسلامية ملوكًا وحُكـامًا، وأصبحت فترات تاريخية كاملة في حِكرًا على الرقيق [دولة المماليك في مصر].

ولا يعرف تاريخ الإنسانية دينـًا أشد حرصًا على الرقيق من الإسلام، يكفي أن تعلم أن هناك ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين يوم القيامة كما في نص الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

١ – رجل آمن بالكتاب الأول والكتاب الآخر، ثم أدركني فآمن بي

٢– ورجل كانت له أمة فأعتقها وتزوجها

٣– وعبد أدى حق الله وحق مواليه[1].

إذن الرجل لو أعتق جاريته وتزوّجها له أجره مرتين.

والعبد الذي يطيع سيده له أجره مرتين.

ولذا قال أبو هريرة رضي الله عنه في الحديث المُتفق عليه: «**والذي نفس أبي هريرة بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك**».

لكن هنا قد يطرح العلماني تساؤلاً هامًا وهو: ما مصدر الرقيق وكيف يتحول الحر إلى عبد؟ ولماذا يتحول الأحرار إلى عبيد؟

لا يعرف الكثير من العلمانيين أن الرق هو في الاصل رحمة!

فالرق ينحصر في أرض المعركة وساحة القتال، فالكافر المقاتِل يُقتل، والكافرة المقاتلة تُسبى ولا تُقتل وبالتالي تصبح في باب الرق أو السبي أو ملك اليمين وكلها اصطلاحات لها نفس المعنى.

➢ لكن لماذا نقوم باسترقاق النساء؟

هذا كما قلنا من باب الرحمة، لأن الذي جاء يقاتلك ويحاربك لابد أن تقاتله، هذه بديهة

---

(١) متفق عليه.

تتفق عليها جميع الدساتير والشرائع!

أما المرأة التي جائت لتقاتلك فلا يجوز لك أن تقاتلها إلا لو باشرت قتلك!

فالمرأة لا تُقتل، لأن الإسلام لا يُجيز لك قتل النساء ولا الأطفال ولا الشيوخ ولا أصحاب الحرف الذين لم يأتوا إلى ساحة المعركة لمحاربة المسلمين وإنما لممارسة حرفهم مع أنهم كفار ومع أنهم في ساحة المعركة!

فمن رحمة الإسلام بالمرأة أنها لا تُقتل -لأنها ضعيفة ولا تباشر قتل المسلمين في الغالب- بل تُسبى.

والمرأة تُسبى حتى يتم فدائها بأسيرات المسلمين أو العفو عنها وإعادتها للعدو بلا مقابل ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ﴾ [محمد:٤].

ولاحظ قوله تعالى: **حتى تضع الحرب أوزارها**، يعني في أرض المعركة، ولاحظ إما منّاً بعد: أي تمُن عليها بأن تُطلق سراحها بلا مقابل، وإما فداء: أي تفديها بالمسلمات اللاتي أسرهن العدو.

فلا يوجد في الإسلام سبي إلا من أرض المعركة، وهذه قاعدة هامة!

ولا تُسبى المرأة إلا لأنه يحرم قتلها، مع أنها جائت في جيش العدو وأرادت استئصال شأفتك!

وقد فتح المسلمون بلاد الدنيا وملكوها ولم ينقلوا سكانها الأصليين سبايا إلى الجزيرة العربية فهذا لا يقوله عاقل، بل ولم ينقلوا ساحة المعركة إلى بيوت المدنيين الآمنين، بل إن هؤلاء المدنيين لم يجدوا عزهم وحريتهم إلا في كنف الإسلام!

وتُسبى المرأة ولا يجوز قتلها، لأنها كما قلنا حتى لو قاتلت فلا تباشر ذلك في الغالب بنفسها فعقوبتها أهون من الكافر الذي يريد قتل المسلمين ويباشر ذلك بنفسه، ودليل ذلك قول رسول اله صلى الله عليه وسلم: «**ما كانت هذه لتقاتل**».

➢ لكن هل يجوز نكاح المسبية؟

المسبية لها عقد نكاح، أي يجوز نكاحها، كما الزوجة لها عقد نكاح، لكن شروط عقد

نكاح المسبية تختلف عن شروط عقد نكاح الزوجة، فالزوجة لها شرط الاختيار فيمن يتقدم لها.

أما امرأة مقاتلة جائت لتقاتلك مع جيش العدو وتم سبيها فهذه ليس لها شرط اختيار من يتقدم لها.

لكن الزوجة والمسبية يتفقان في الأُطر العامة فلا تنتقل الزوجة إلى رجلٍ آخر إلا بطلاقٍ ومهرٍ جديدين، ولا تنتقل المسبية إلى رجلٍ آخر إلا بإطلاقٍ وعقدٍ جديد.

والتعرض للمسبية في حكم الشريعة يطابق التعرض للزوجة، فلو اغتصبها أحد يُقام عليه حد الزنا.

قال الشافعي: «وَإِذَا اغْتَصَبَ الرَّجُلُ الْجَارِيَةَ ثُمَّ وَطِئَهَا بَعْدَ الْغَصْبِ وَهُوَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْجَهَالَةِ أُخِذَتْ مِنْهُ الْجَارِيَةُ وَالْعُقْرُ وَأُقِيمَ عَلَيْهِ حَدُّ الزِّنَا»[1].

➢ لكن هل السبي وملك اليمين مجرد شهوة؟

هذا سخف إلحادي لا يُطاق!

فما لا يعرفه الملاحدة أجمعين أكتعين أبتعين أنه لا يجوز وطء المشركات حتى يؤمن.

وهذا الذي عليه أكثر أهل العلم منهم الأئمة الأربعة، قال ابن قدامة في المغني: «أن من حرم نكاح حرائرهم من المجوسيات وسائر الكوافر سوى أهل الكتاب لا يباح وطء الإماء منهن بملك اليمين في قول أكثر أهل العلم».

وقال ابن عبد البر: على هذا جماعة فقهاء الأمصار وجمهور العلماء وما خالفه فشذوذ.

قال النووي: «المسبية من عبدة الأوثان وغيرهم من الكفار الذين لا كتاب لهم لا يحل وطؤها بملك اليمين حتى تسلم، فما دامت على دينها فهي محرمة، وهؤلاء المسبيات كن من مشركي العرب عبدة الأوثان».

فلو كان الأمر شهوة ما حرّم الشرع وطء المشركة.

لكنهم قوم لا يفقهون ولا يعلمون ولا يقرؤون!

---

(١) كتاب الأم، للشافعي، باب الغصب، ٢٥٣.

➢ وهل يجوز سبي نساء الكفار المقاتلين الآن؟

لو تم وضع قانون بحرمة سبي النساء والتزم به المسلمون والكافرون -كما هو حادث الآن-، فهنا لا يجوز للمسلم مخالفة القوانين والعهود، إلا لو بدأ العدو الغاشم في المخالفة!

وقد علّمنا الشرع احترام العهود والمواثيق.

وفي فترة حرب البوسنة كان المجرمون الصرب يغتصبون المسلمات البوسنيات، ومع ذلك لم يُجز علماء المسلمين للمجاهدين في ذلك الوقت سبي نساء العدو.

ثم هل وجدتم رحمةً أعظم من أن تلتزم في مقاتلة عدوك بسلاحه هو، فلا يجوز لك أن تقتله بسلاحٍ فتاك يهلك الديار والعباد وإنما تقاتله بنفس سلاحه ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٩٤].

والله أعلم!

➢ لكن يبقى السؤال: هل يحق للملحد أن ينتقد مسألة الرق؟

في واقع الأمر قبل أن ينتقد الملحد مسألة الرق عليه أن يجيب عن الآتي :

(١) الدولة الوحيدة الملحدة على وجه الأرض الآن هي كوريا الشمالية، وداخل هذه الدولة يتم تقسيم الناس رسميًّا إلى سادة وعبيد، في نظام يُعرف باسم **السونجبن Songbun**، وحسب هذا النظام يتم تحديد كمية الغذاء ونوع البروتين وكميته وطبيعة العمل للمواطن الكوري الشمالي ولأولاده من بعده بحسب طبقته داخل السونجبن!

وهذا النظام معمول به منذ قرابة نصف قرن من الزمان –منذ انفصال الكوريتين– ولم نسمع أن ملحدًا أو علمانيًّا تمرد على هذا الأمر أو انتقده![1].

(٢) أليس التمرد على الرق هو تمرد صريح على الداروينية وعلى قانون كوني يحكم وجودنا وهو قانون البقاء للأصلح؟

---

(١) http://en.wikipedia.org/wiki/Songbun

(٣) أليس التمرد على الرق هو تمرد على الحتمية المادية؟

(٤) أليس الرق يساعد مباشرَة على الانتخاب الطبيعي – عبر انتخاب الأقوياء والأكثر سيادة –، إذن لو كان الملحد ملحدًا وكان الإلحاد صحيحًا وكانت الداروينية قضية حتمية، لأصبحت عودة الرق هدف كل ملحد، أليس كذلك؟

(٥) ما معنى الأخلاق؟ و هل تمت البرهنة عليها علميًّا حتى يتبناها الملحد؟

(٦) الملحد ينظر للإنسان على أنه لطخة بروتوبلازمية ثلاثية الأبعاد، حدود الطبيعة هي حدوده وقوانين المادة هي قوانينه، فكيف تسنّى له أن يستوعب الخطأ في الرق ثم ينتقده؟

(٧) لا يوجد للأخلاق ترميز جيني – تشفير في الجينات –، إذن ليس لها مصدر مادي فكيف يتبنى الملحد نموذجًا أخلاقيًّا ينتقد من خلاله عملية الرق؟

والآن وقبل أن نختم هذا الموضوع الثري نريد أن نعرض لبعض الصور المشرقة للرقيق في دولة الإسلام!

حَكم المماليك –الرقيق– مصر والشام قرابة ٦٠٠ عام، منذ عام ١٢٤٠إلى ١٨١١ ميلادية.

أي أن نصف تاريخ مصر والشام في الإسلام كان تحت سيادة المماليك، بل ولولا خيانة محمد علي وجريمته الشنعاء حين قام بذبحهم في مذبحة القلعة الشهيرة، لظل المماليك سادة الدنيا.

وفي عهد المماليك كانت جميع المقاطعات والولايات يحكمها مماليك.

والشاهد من ذلك أن الإسلام لا يمنع الرقيق أن يكونوا سادة الدنيا، وفي الحديث الصحيح أن النبي– صلى الله عليه وسلم– قال: «**أُوصيكم بتقوى الله.. والسمع والطاعة وإن كان عبدًا حبشيًّا**».

إذن أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسمع والطاعة للرقيق حين يحكمون بلاد المسلمين!

ومن عجيب ما يُذكر هنا أن قطز وبيبرس حين وصلوا لحكم مصر كانوا رقيقًا وظلوا رقيقًا زمناً طويلاً، إلى أن قدم التتار إلى بلاد الشام فاجتمع قطز بالأعيان والقضاة والأمراء، وطلب منهم جمع المال لتكوين جيش مصري عملاق. فقام الإمام العز ابن عبد السلام –رحمه الله– وطالبهم أن يكاتبوا أنفسهم حتى يقتدي بهم باقي المماليك، ففدوا أنفسهم بأموالٍ عظيمة– والمكاتبة في الشريعة الإسلامية هي أن يدفع العبد مبلغًا من المال لسيده مقابل حريته، وهذا حق جوهري من حقوق الرقيق في الإسلام ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡ ﴾ [النور:٣٣].

وبالفعل ظهر الجيش المصري العملاق!

لكن السؤال هنا: بالنسبة للرقيق الذين عاشوا في دولة الإسلام العادلة هل يحرصون على المكاتبة أو تعنيهم أصلاً؟

إن قطز وبيبرس لم يكاتبوا أنفسهم ويتحولوا إلى أحرار إلا لتمويل الجيش لا أكثر!

فقد كان المماليك سادة الدنيا وكان جيش المماليك من أعظم جيوش الدنيا.

وقد هزم المماليك المغول في معركة عين جالوت عام ١٢٦٠ م.

أيضًا السلطان المملوكي –العبد– قنصوه الغوري الذي حكم مصر والشام والحجاز، انتصر على البرتغال التي كانت تريد تطويق أفريقيا في ذلك الوقت، وهزمهم شر هزيمة في موقعة مالابار عام ١٥٠٨م.

وقد دافع السلطان قنصوّه الغوري عن عدن وعن ديار الإسلام من هجمة المستعمر الجديد!

وكان للمماليك جهود عظيمة في شق الترع ومشاريع عملاقة في بلاد المسلمين، ولم يكن في الدنيا جيش يضاهي جيش المماليك إلا جيش الخلافة العثمانية!

ولولا خيانة محمد علي وجريمته النكراء في حق المماليك –مذبحة القلعة–، ربما ما تجرأ المستعمر الغربي العفن على ديار الإسلام وعلى استعمارها ولله الأمر من قبل ومن بعد.

أضف إلى ما سبق أن: الرقيق أيضًا هم سادة الآخرة، فأجرهم ضعف أجر السيد بنص

الحديث كما بيّنا قبل قليل.

إذن المشكلة هي الصورة النمطية التي انطبعت في أذهان المعاصرين عن الرق، وليس الرق في حد ذاته.

وإلا فإن **بلال ابن رباح وعمار ابن ياسر وزيد ابن حارثة وأم أيمن وسمية بنت خياط**، كلهم رقيق وكلهم عظماء الصحابة رضي الله عنهم، وما قلَّل رِقهم من قيمتهم شيئًا.

وفي التابعين من الرقيق العلماء العدد الكبير، فمنهم المحدث العظيم **نافع** مولى ابن عمر و**عكرمة** مولى ابن عباس و**مجاهد وعطاء ومكحول وابن سيرين والحسن البصري وسعيد بن جبير**، أئمتنا وسادتنا رضي الله عنهم أجمعين!

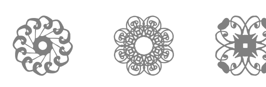
لكن هل الرق قضية تاريخية انتهى زمنها؟

الذي يقول ذلك هو أجهل الناس بالتاريخ فاختفاء الرق رسميًّا في القرن الماضي –عام ١٩٠٥– كان فقط لظهور المكائن – الآلات التي حلت محل البشر –.

وإلا فالرق كان وسيظل موجودًا ما وُجدت الحاجة إليه، ولا فرق كما فصّلنا بين العمل الوظيفي وبين الرق إلا في المحتوى الزمني لكلٍّ منهما.

وسيعود الرق حال اختفاء المكائن كما تنبأ فرانسيس فوكوياما!

لكن طبعًا العلمانيون العرب لا يعرفون لا تاريخ ولا فوكوياما فضلًا عن تبصر أحوال البشر ودورات الزمان!



الجرعة السابعة والثلاثون

عورة الحرة وعورة الأمة

سؤال تكرر مِن قبل الملحدين وهو: هل ثمة تفرقة بين عورة الحرة وعورة الأمة؟

الجواب:

المشكلة أن الملحد العربي ضحل الثقافة قصير النظر، فهو لا يعرف أن الإماء في الأصل، كُنَّ كالقواعد من النساء لكبرهن وزهد الناظر اليهن فيهن.

وهؤلاء ليس عليهن الستر الكامل سواءًا كن حرائر أو إماء.

وقد ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال: "إنَّ الإماء في عهد الرسول عليه الصَّلاة والسَّلام، وإن كُنَّ لا يحتجبن كالحرائر؛ لأن الفتنة بهنَّ أقلُّ، فهُنَّ يُشبهنَ القواعدَ من النِّساء اللاتي لا يرجون نكاحاً، قال تعالى فيهن:﴿ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ﴾ [النور:٦٠].

وقال: وأما الإماء التركيَّات الحِسَان الوجوه، فهذا لا يمكن أبداً أن يَكُنَّ كالإماء في عهد الرسول عليه الصَّلاة والسَّلام، ويجب عليها أن تستر كلَّ بدنها عن النَّظر، في باب النَّظر.. فالمقصود من الحجاب هو ستر ما يُخاف منه الفِتنة بخلاف الصَّلاة، ولهذا يجب على الإنسان أن يستتر في الصَّلاة، ولو كان خاليًا في مكانٍ لا يطَّلع عليه إلا الله. لكن في باب النَّظر إنما يجب التَّستر حيث ينظر الناس. قال: فالعِلَّة في هذا غير العِلَّة في ذاك، فالعِلَّة في النَّظر: خوف الفتنة، ولا فرق في هذا بين النِّساء الحرائر والنِّساء الإماء".

وقال ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين": «وأما تحريم النظر إلى العجوز الحرة الشوهاء القبيحة وإباحته إلى الأمة البارعة الجمال فكذب على الشارع، فأين حرم الله هذا وأباح هذا؟ والله سبحانه إنما قال : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾ [النور:٣٠]».

فعورة الأمة كعورة الحرة سواءً بسواء، فلم يرد نص في الشارع بالتفرقة!

قال أبو محمد بن حزم رحمه الله: «إن الأمة كالحُرَّة؛ لأن الطَّبيعة واحدة والخِلْقَة واحدة، والرِّقُّ وصف عارض خارج عن حقيقتها وماهيَّتها، ولا دليلَ على التَّفريق بينها وبين الحُرَّة».

ثم قال: « وقد ذهب بعض من وهل في قول الله تعالى : ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ [الأحزاب:٥٩] إلى أنه إنما أمر الله تعالى بذلك؛ لأن الفساق كانوا

يتعرضون للنساء للفسق فأمر الحرائر بأن يلبسن الجلابيب ليعرف الفساق أنهن حرائر فلا يتعرضوهن، ونحن نبرأ من هذا التفسير الفاسد الذي هو إما زلة عالم أو وهلة فاضلٍ عاقل أو افتراء كاذبٍ فاسق. لأن فيه أن الله تعالى أطلق الفساق على أعراض إماء المسلمين وهذه مصيبة الأبد. وما اختلف اثنان من أهل الإسلام في أن تحريم الزنا بالحرة كتحريمه بالأمة وأن الحد على الزاني بالحرة كالحد على الزاني بالأمة ولا فرق. وأن تعرض الحرة في التحريم كتعرض الأمة ولا فرق».

وقال أحمد بن حنبل في الأمة: «إذا كانت جميلة تنتقب، وهذا حكم الحرة لا فرق».

أما الأمة التي لا يُخشي منها الفتنة فلها كشف الوجه كالحرة، وعلي هذا كان فعل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في الروايات الواردة، قال الشيخ محمد إسماعيل المقدم حفظه الله: «الظاهر بضميمة الآثار الآتية عن الفاروق أنه عبر هنا – أي في قوله : اكشفي رأسك – عن الجزء بالكل وأن مقصوده : اكشفي وجهك، و الله أعلم»[1].

ونقل حفظه الله رد الشيخ أبي هشام عبد الله الأنصاري علي الدكتور محمد تقي الدين الهلالي رحمهما الله وفيه قوله: «وأما ما قاله فضيلة الدكتور من أن عمر رضي الله عنه كان يضرب الإماء علي ستر الرأس فليس بصحيح، بل الصحيح أنه كان يضربهن علي ستر الوجه»[2].

وفي ذلك تيسيرٌ علي الإماء. والله أعلم.

---

(١) أدلة الحجاب : ٢٠٨ في الهامش.

(٢) أدلة الحجاب : ٢٣٠.

الجرعة الثامنة والثلاثون

جهاد الطلب

يقول الملحد: هل يوجد في الإسلام جهاد طلب؟

الرد:

في البداية؛ جهاد الطلب هذا فهم وليس نص، فلم ترد آية واحدة فيها لفظة "جهاد الطلب"، ولم ترد هذه اللفظة هكذا في أي حديثٍ صحيحٍ أو ضعيف أو حتى موضوع.

وبالتالي فمصطلح "جهاد الطلب" مبني على فهم وليس مبنيًّا على نص وما بُني على فهم ينضبط بالفهم!

أكرر: ما بُني على فهم ينضبط بالفهم.

وقد فهِم العلماء جهاد الطلب من سيرة الصحابة -رضوان الله عليهم-، وبما بشّر به النبي ﷺ من فتوحات البلدان وانتشار الإسلام في أصقاع الأرض.

والآن لنا وقفاتٍ هامة:

أولًا: هل كل ما في جهاد الطلب يُنسب للإسلام؟

هذا خطأ بداهةً! فكل تطبيق يُخالف النظرية لا يُمكنك أن تنسبه للنظرية.

وإلا فلم تكن إبادة مئات الآلاف من المسلمين العُزّل في أفغانستان والعراق -التطبيق- إلا انطلاقًا من نشر الديموقراطية وحقوق الإنسان -النظرية-.

ولم يتم تفريغ قارات بأكملها من البشر كالأمريكتين -التطبيق- إلا انطلاقًا من عبء الرجل الأبيض في نشر الوعي -النظرية-!

فمخالفة التطبيق للنظرية أمر وارد، والإفراط في فهم النظرية أو التفريط في فهمها كلها أمور متوقعة، فنحن بشر ولسنا بمعصومين وحين يتم التطبيق قد يظهر ما يخالف النظرية.

وقد خالف التطبيق النظرية منذ عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وأقرب مثال على ذلك ما قام به خالد بن الوليد -رضي الله عنه- حين قتل ناسًا من بني

جذيمة لم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا. فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا. وأمر جنوده أن يقتلوا أسراهم فرفض ابن عمر -رضي الله عنه- وقال: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجلٌ من أصحابي أسيره، حتى قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وذكروا له الأمر، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وقال: «**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد**». مرتين.

والحديث في صحيح البخاري.

فهنا خالد بن الوليد -رضي الله عنه- خالف النظرية -مجتهدًا- لكن لا يُنسب اجتهاده للنظرية.

مثال آخر على التطبيق المخالف للنظرية: حين قتل أسامة بن زيد-رضي الله عنه- رجلًا قال: لا إله إلا الله. في معركة، فلما بلغ ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لأسامة بن زيد: «**أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟**». قال: قلت يا رسول الله إنما كان متعوذًا. قال: «**أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟**». قال: فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم. والحديث في البخاري أيضًا.

مثال ثالث: المرأة التي وُجدت مقتولةً في معركة، فقال النبي ﷺ ما كانت هذه لتقاتل.

والحديث رواه الجماعة إلا النسائي.

فهذه كلها تطبيقات تخالف النظرية ولا تُنسب إلى النظرية.

بالمناسبة: نحن نقول لفظة"نظرية" تقريبًا للمثال وتيسيرًا للفهم. وإلا فالنص الديني قطعي الثبوت لا يحتمل ما تعنيه لفظة "نظرية" في اصطلاح المتأخرين فوجب التنويه.

ثانيًا: هل الإسلام دين مسالم؟

يقول المفكر الإسلامي طارق رمضان في مناظرته مع الملحد هتشنز: " الإسلام دين مسالم- هذه لفظة خادعة، فأي دين يتعامل مع بشر. وحين تتعامل مع البشر فأنت تتعامل مع العنف ومع السلام ومع أصنافٍ متفاوتة بشدة من البشر، فبطبيعة الحال سيتعامل الدين مع العنف وسيتعامل مع السلوك العدواني، فأن تتوقع من الدين ألا يتعامل مع هذه المسألة فأنت لا تعرف البشر -هذا حلم لا يمكن أن يحدث-، ولا توجد ديانة ولا فكرة ولا فلسفة ولا مذهب يتسم

بشمولية المعالجة لقضايا الإنسان لا يتعامل مع العنف؛ وإلا فهو مذهب غير متكامل.

الإسلام يساعدنا للتوجه نحو السلام.

هذه هي العبارة الصحيحة، وهذه هي العبارة التي نوافق عليها!"

وقد عاش الجنس البشري في حاضرة الإسلام قرابة ألف عام، وقد أمدّ الإسلام المدن بالنور والعلم والخير والجمال، ونهضوا بعبء الحضارة فكان الناس يدخلون في الدين باضطرادٍ ثابت لما رأوا من عدل الإسلام وعظمته وكماله.

بل إنه حين فتح السلطان العثماني مراد الثاني مدينة سلانيك عام ١٤٣١ م جاءه وفد من مدينة (يانيا) التي كانت آنذاك تحت حكم إيطاليا، فقال رئيس الوفد للسلطان العثماني مراد الثاني: نحن أيها السلطان لسنا بمسلمين، بل نحن نصارى، ولكننا سمعنا كثيرًا عن عدالة المسلمين، وأنهم لا يظلمون الرعية، ولا يُكرهون أحدًا على اعتناق دينهم، وإنّ لكل ذي حقٍ حقه لديهم، لقد سمعنا هذا من السيّاح، ومن التجّار الذين زاروا مملكتكم، لذا فإننا نرجو أن تشملنا برعايتكم وبعطفكم، وأن تحكموا بلدنا لتخلصونا من حكامنا الظالمين. ثم قدّموا له مفتاح المدينة الذهبي. واستجاب السلطان لرجاء أهل مدينة (يانيا)، وأرسل أحد قواده على رأس جيشٍ إلى هذه المدينة، وتم فتحها فعلًا في السنة نفسها، أي في سنة ١٤٣١ م.

ومثال آخر أعجب من ذلك: حين فتح سعيد بن عثمان سمرقند صلحًا، فمات سعيد وتولى من بعده قتيبة بن مسلم ولاية خراسان ففتح سمرقند عنوةً دون أن يُخطرهم فقَبِل أهل سمرقند الأمر على مضض، حتى آلت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩هـ وبلغهم عنه ما اشتهر به من العدل ونصرة الحق فأنابوا عنهم وفدًا يلقى الخليفة ويشكو له ما فعله بهم قتيبة، فاستقبل الخليفة الوفد واستمع إلى مظلمته ثم كتب إلى سليمان بن أبي السرح عامله على سمرقند كتابًا يدعوه إلى القضاء بالحق في تلك الظلامة، فأحال سُليمان القضية إلى جُميع بن حاضر قاضي سمرقند.

واستمع القاضي إلى شكاية أهل سمرقند وإلى شهادة الناس وجيش قتيبة. وعندما استبان القاضي الحقيقة أصدر حكمه المجلجل الذي قضى بإخراج الجيش المسلم من سمرقند، وكذلك إخراج المسلمين الذين دخلوها بعد الفتح، وهنا أخطر الوالي الخليفة بالقرار فجاء الرد

بتنفيذ الحكم كاملاً، فأصدر قراره إلى الجيش بالرحيل وإلى المسلمين المدنيين بالمغادرة، وبينما المدينة في رجةٍ بسبب هذا العدل والإنصاف الذي لم يخطر على بال أهل سمرقند، وإزاء ذلك لم يسعهم إلا الإعلان عن تنازلهم عن شكواهم والمطالبة بإبقاء الحال على ما هو عليه.

وأسلم خلقٌ كثير من أهل سمرقند وأصبحت سمرقند حاضرة إسلامية كبرى.

لقد انتصر الحق والأخلاق على المكاسب المادية والأرض.

ثالثًا: لكن ألا يوجد مَن يشوه صورة النظرية؟

صحيح؛ وهذا أمر بديهي في حال البشر! لكن عندما يحدثك أحدهم عن جماعات تكفيرية، يمكنك أن تُحدثه بهدوء عن حضارة عظيمة كانت تحتوي تعددية وأثنيات لم يُرى لها مثيلًا -الحضارة العثمانية وهذا تطبيق أيضًا-، وكانت الأندلس قلعة في الثقافة والفكر وكانت العواصم الكبرى والمدن الإسلامية مثل بغداد والكوفة والبصرة ودمشق وقرطبة والقيروان والقاهرة مفتوحة لكل الأجناس والأديان، وكانت المناظرات تُعقد ليل نهار، وكانت الناس يأتون من الدنيا كلها يتلقون العلم، وكان العلم تجارةً رائجة -وهذه كلها تطبيقات-.

فالتاريخ مستودع ضخم يمكنك أن تُخرج منه ما تريد أن تُظهره، لكن في النهاية تبقى النظرية هي الفيصل، ويبقى أيضًا التاريخ الأغلب وليس الجزئيات التي يركز عليها من يُريد ان يُشوه الصورة بأكملها بهذه الجزئيات التي تُنسب إلى البشر هو الحَكم!

رابعًا: إذن دعنا نتحدث مباشرةً عن جهاد الطلب من خلال النص، لماذا يوجد جهاد الطلب؟

عليك أن تعي أن معركة الدين ليست مع أعراقٍ أو أجناس.

معركة الدين لا علاقة لها بإبادةٍ أو تطهيرٍ عِرقي.

معركة الدين لم تقم يومًا ما من أجل لون البشرة، أو بسبب جنسٍ مختار favoured race، ولا مقاس جمجمة محدد.

وهذا على العكس تمامًا من فلسفات إلحادية قامت على أكتافها الحروب العالمية والأيديولوجيات الإجرامية كالفاشية والنازية والستالينية.

فمعركة الدين الحقيقية مع الباطل، أينما وُجد، وفي أي مكانٍ قامت له دولة.

وهذا واجب الدين، بل لن يكون دين سماوي بدون مسئولية عُظمى كهذه تُلقى على عاتقه.

فالدين يقاتل الطواغيت التي تمنع نشر رسالته للشعوب، وبعد مقاتلتهم وبعد إيصال رسالته يترك لتلك الشعوب حريتها الكاملة في الانتقال إلى ذلك الدين أو بقائها على الكفر.

وفي لحظة مقاتلة الطواغيت –جهاد الطلب– إذا جاء في جيش الطواغيت امرأة أو أجير أو أطفال أو كهنة فلا يجوز التعرض لهم.

فكما في الحديث الصحيح: «**لا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا طفلًا ولا صغيرًا ولا امرأةً**».

وفي الحديث الآخر: «**لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع**»[١].

خامسًا: قد يقول الملحد هذا كلامٌ جيد. لكن لجهاد الطلب مصلحة مادية –الغنيمة؟

هذا خطأ تمامًا، بل العكس هو الصحيح، **فالغنيمة في الإسلام عبء وهَم، وتقليل للأجر الأُخروي**، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما من غازيةٍ تغزو فى سبيل الله فيصيبون الغنيمة، إلا تعجلوا ثلثيّ أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم**»[٢].

إذن فالغنيمة في أصلها عبء لكنها بُلغة ليتقوى بها المسلمون في مقاتلتهم.

سادسًا : هنا اتضحت أفرع المسألة بفضل الله، لكن يبقى إشكال أخير وهو: هل يُقتل هؤلاء الطواغيت فقط لكفرهم؟

هذا خطأ شديد وعليك أن تعيد قراءة ما سبق، فالطواغيت لم يُقاتَلوا إلا لأنهم وقفوا في وجه رسالة الإسلام وحرمانهم لشعوبهم من وصولها إليهم.

والقتال في الإسلام إنما وجب في مقابلة الحراب لا في مقابلة الكفر.

---

(١) الحديث أصله في البخارى واللفظ لأحمد.

(٢) صحيح مسلم ٣٥٢٨.

أُكرر مرةً أخرى: القتال في الإسلام إنما وجب في مقابلة الحراب لا في مقابلة الكفر.

ولذلك لا يقاتَل النساء ولا الصبيان ولا الزمني ولا العميان ولا الرهبان مع أنهم كلهم كفار وفي جيش الطواغيت.

وهذه كانت سيرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في أهل الارض؛ وسيرة صحابته من بعده فكان صلى الله عليه وسلم يقاتل مَن حاربه، إلى أن يدخل في دينه، أو يهادنه، أو يدخل تحت قهره بالجزية –أي يتيح نشر رسالة الإسلام في بلده– وبهذا كان يأمر سراياه وجيوشه إذا حاربوا أعداءهم، فإذا ترك الكفار محاربة أهل الإسلام وسالموهم وتركوا رسالة الإسلام تظهر كان في ذلك مصلحة للشعوب رجاء إسلامهم إذا شاهدوا أعلام الإسلام وبراهينه، أو بلغتهم أخباره، فلا بد أن يدخل في الإسلام بعضهم، وهذا خيرٌ من قتلهم.

وجهاد الطلب هو سنة الأنبياء من قبل، فقد **جاهد موسى وجاهد يوشع بن نون وجاهد داود وجاهد سليمان عليهم الصلاة والسلام**، كلهم جاهدوا جهاد طلب، ولم يخرج يوشع بن نون من مصر إلا في سبيل جهاد الطلب، ولم يُؤمر موسى بمقاتلة طواغيت كنعان إلا في سبيل جهاد الطلب.

وقد جاهد النبيون والمرسلون وعانوا الأمرين مع الطواغيت والمتجبرين.

لكنها سنة الله الماضية يجريها في الأرض حيث دار الابتلاء والاختبار وتمحيص الناس وصَهْرهم في بوتقة الإيمان ليتميز الخبيث من الطيب، والمؤمن من الكافر، فلا يبقى إلا صادق الإيمان قويُّ العقيدة.

سابعًا: هل يجوز للملحد أن ينتقد جهاد الطلب؟

قوام الإلحاد ككل على فلسفة الصراع من أجل البقاء، والبقاء للأصلح Survival for the Fittest، والصدام المستمر الذي لا يتوقف perpetual conflict.

فالملحد الذي ينتقد الجهاد أو حتى الإبادة الشمولية هو يقر مسبقًا انهيار إلحاده وعدم صلاحيته وبؤس معطياته.

فطبقًا لإلحاده –لو كان يفهم معنى الإلحاد– تتحول جرائم الإبادة الشمولية والتطهير

العرقي إلى فضائل عليا في سبيل البقاء للأصلح وتنقية الأعراق.

وفي سبيل الإلحاد قتل الملحد ستالين ٨٠٠ ألف ملحد سوفيتي، فضلًا عن عشرات الملايين من المتدينين[1].

وداخل منظومة الإلحاد تختفي القيمة والمعنى فيتساوى إحراق الأطفال بقنابل النابلم مع مضغ كيس شيبس، فمضغ كيس شيبس يتسبب في إبادة ملايين الباكتريا في فمك ولا يوجد إلحاديًّا تفاضل بين الباكتريا والبشر.

يقول آرثر ألين ليف Arthur Allen Leff أستاذ القانون بجامعة يال بالولايات المتحدة الأمريكية: " لا توجد طريقة لإثبات أن حرق الأطفال بقنابل النابالم هو شيء سيئ".

there is today no way of ‘proving’ that napalming babies is bad[2].

فالملحد الذي ينتقد الجهاد ليس بملحد بل هو عبء على الإلحاد والملحدين.





(1) Seumas Milne: The battle for history. The Guardian. 12 September 2002.

(2) Economic Analysis of Law: Some Realism about Nominalism (1974), p.454.

الجرعة التاسعة والثلاثون

الآية ٢٩ من سورة التوبة

أحد الزملاء الملاحدة سألني عن قوله تعالى ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٢٩].

وأنه أمر إلهي مباشر بقتل كل كافر!

الرد:

١- في البداية نتفق أن الإلحاد يبيح قتل أهل الأرض جميعًا؛ لأن **الحياة لا معنى مادي لها ولا تفسير في الإطار المادي لوجودها**، فجميع البشر مجرد نفايات نجمية بلا قيمة -كما قال كارل ساغان-، فلا فرق بين أن تبيد أهل الأرض وبين أن تكنس الرصيف أمام منزلك -لأنك بكنس الرصيف تقتل آلاف المستعمرات البكتيرية التي تقطنها ملايين الباكتريا، ولا فرق تطوري بين الإنسان والباكتريا إلا فرق في الدرجة-!

٢- اعتبار أن قتال الكفار شبهة هذا يعني خطأ الإلحاد، فأنت تقر داخلك أن للحياة معنىً وللوجود قيمة وغاية وهذا ينسف الإلحاد.

واستحضار شبهات تتعلق بالقتال هذا يؤكد أنه لا يوجد ملحد واحد يلحد إلحادًا كاملاً على وجه الأرض.

وهذا يعني قيمة التكليف الإلهي الذي صبغ الله عليه البشر جميعًا، فحتى الملحد يُقر بقيمة الإنسان وغاية وجوده.

لكن قيمة الإنسان لن تتحقق إلا بمددٍ من عالمٍ آخر غير عالمنا المادي، وهذا يسقط الإلحاد أو يسقط معنى وجود الإنسان ككل فليختر الملحد أحدهما!

٣- بخصوص الآية الكريمة {﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٢٩] لو اكملها صاحب الشبهة فقط لانتهى الإشكال، فنحن نقاتلfight: أي ندفع! وليس نقتل kill.

ثم نحن نقاتل مَن؟

أكمل الآية: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [التوبة:٢٩].

الذين لا يحرمون ما حرم الله ورسوله، فهم يستبحيون المحرمات وينتهكون الأعراض، وهؤلاء يقاتلهم كل الشرفاء وكل الدساتير حتى الوضعية. فالكافر الذي اجتمع مع كفره إباحته لكل المحرمات واستباحته للأعراض هذا يجب أن يقاتله المسلمون.

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [التوبة:٢٩].

٤- أما الكافر المجرد فلا يُقتل لكفره، ولا توجد آية ولا حديث صحيح ولا ضعيف ولا حتى موضوع تقرر أن الكافر يُقتل لأنه كافر، بل إن الإسلام كفل للذمي الكافر الذي لا يؤمن بالله ولا برسوله منتهى الرعاية والصيانة.

بل الإسلام صريح في أن مجرد التعرض للمعاهَد أو الذمي الكافر، جريمة شنعاء!

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً**»[1].

تخيل أن قتل كافر لا يجعلك ترح رائحة الجنة؟

أيضًا اقرأ قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٢ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠-١٩٣].

٥- أجاز لك الإسلام التعايش مع الكافر المسالِم، بل وأجاز لك بِرّه ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ [الممتحنة:٨].

---

(١) أخرجه البخاري.

٦- ينهى الإسلام صراحةً عن أي ظلم للكافر بل أمرك بأن تعدل معه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة:٨].

المدهش أني بعد أن أجبت هذا الزميل بما تقدم وصفني بالمسلم الكيوت-اللطيف-!

مع أني فسرت القرآن بالقرآن وهذه قمة الضبط وأعلى درجات التفسير كما يقرر الأصوليون!

ولذا علقت عليه قائلًا: إذن إسلامي كله كيوت!

لكن يبدو أن الزميل تأثر بشبهات الملاحدة حيث يزعمون بناءًا على قول بعض المتأخرين أن هذه الآية آية السيف"التوبة:٢٩" نسخت قرابة مائتي آية من كتاب الله، وهي آيات الموادعة والمصالحة وآيات ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وآيات ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ [الكافرون:٦]، وآيات الأمر بالجنوح للسلم ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال:٦١].

ولا يدري المسكين أن هذا قول ضعيف متأخر لا يُعتد به، وقد وصف ابن الجوزي في كتابه "نواسخ القرآن" القائلين به بأنهم : "لا فهم لهم من ناقلي القرآن، إنما نسخت آية السيف حكمًا واحدًا هو إتمام العهد لمن عاهدوه من المشركين بالكف عن قتالهم، فنسخت ذلك".

والأصل في التعامل مع كافة المشركين قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠-١٩٣].

لكن هذا حال الملحد:

أ- اتباع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله!

ب- اتباع أقوال المتأخرين!

ج- ترك الأثر الصحيح " القرآن والسنة الصحيحة" والتعلق بقال فلان!

د- ترك المُحكم الذي يقرر المصالحة والموادعة، والالتفات إلى الأحكام الخاصة!

هذا هو أصل شبهات الكافرين، أما غير ذلك فوطابهم خاوٍ وحججهم صفر.

الجرعة الأربعون

الهوس الجنسي عند العرب؛ أسطورة يُروّج لها الملاحدة ويُصدِّقها الإعلام.

يقول الملحد: الهوس الجنسي عند العرب شديد.

ويستدل الملحد بـ:

١) أكبر نسبة تحرش في العالم توجد في مصر.

٢) الدول الإسلامية أكثر الدول بحثًا عن كلمة sex في جوجل.

٣) الكبت الموجود في العالم الإسلامي، مصدر رئيس لهذا السُّعار الجنسي.

الرد:

الهوس الجنسي عند العرب، أُسطورة قذرة ودعاية حمقاء، يروج لها ملاحدة خبثاء، وإعلام عميل، ومسلمون سُذج.

والميل الجنسي في أصله غريزة طبيعية خلقها الله وجعلها دافعًا للحفاظ على النسل، لكن نمط حياتنا – الذي أصبح مُقلدًا للغرب– صار يفترض في حياة كل شاب عربي بضع سنين يقضيها في اللهو الحرام قبل أن يظفر بنكاحٍ صحيح، ومع هذا كان رادع الدين في بلادنا العربية يمثل حائط صد جوهري ضد الزنا والاغتصاب والشذوذ، فلولا الدين كما يقول فولتير لسرق الخادم وخانت الزوجة.

الاغتصاب:

ولذا فأقل دول العالم هوسًا بالجنس الحرام، هي –بفضل الله– الدول الإسلامية، وأقل دول العالم ارتكابًا لفاحشة الزنا على الإطلاق هي الدول الإسلامية، وأقل دول العالم ارتكابًا لفاحشة الشذوذ الجنسي على الإطلاق هي الدول الإسلامية، ولذا فأقل معدلات اغتصاب توجد في البلدان الإسلامية حصريًّا..

وهذه قائمة بالدول التي توجد بها أعلى معدلات اغتصاب في العالم بالترتيب في العام

٢٠١٥:

بلجيكا

تايلاند

روسيا

السويد

ألمانيا

كندا

المكسيك

جنوب أفريقيا

الهند

أمريكا[١].

أما الدول الإسلامية فهي أقل دول العالم ارتكابًا للاغتصاب على الإطلاق.

وتكاد تخلو الدول التالية من الجريمة عمومًا.

باكستان

السعودية

اليمن[٢].

إذن الهوس الجنسي قرين حصري بالدول الغربية العلمانية عالية التقانة، وليس بالدول الإسلامية.

نُكرر مرةً أخرى –بفضل الله– الهوس الجنسي قرين حصري بالدول الغربية العلمانية عالية

---

(1) http://www.worldblaze.in/top-10-countries-with-highest-rape-crime-in-the-world-2015 /

(2) http://www.nationmaster.com/graph/cri_rap-crime-rapes.

التقانة، وليس بالدول الإسلامية.

طبعًا هذا على العكس تمامًا مما يروج له كهنة الإلحاد والعلمانية.

مرض الإيدز:

ومن دلائل ذلك أن مرض الإيدز AIDS الذي يعاني منه ٣٦ مليون نسمة في العالم، والذي يُصيب سنويًّا مليونين ونصف من البشر، يوجد بأقل معدلاته على الإطلاق في الدول الإسلامية، وتكاد الدول الإسلامية تكون خالية بأكملها من المرض باستثناء بعض المهاجرين للدول الأوربية وأمريكا.

و يعادِل تواجد الإيدز الصفر تقريباً في أغلب الدول الإسلامية - الخليج العربي والبوسنة والهرسك وتركيا وأندونيسيا ومصر وليبيا والعراق وأفغانستان وتركمانستان، إلخ.-.

الشذوذ الجنسي:

أما عن الشذوذ الجنسي Homosexuality فإن ٢٠٪من الغربيين عندهم أفكار شذوذ جنسي[1].

وفي مسح إحصائي شمل ٣٩ دولة، حول قبول فكرة الشذوذ الجنسي تبين أن ٨٠٪ من الغربيين يتقبلون فكرة الشذوذ الجنسي... في حين أن النسبة في الدول الإسلامية لا تتجاوز ١٪[2].

بل لقد تجاوزَت الدول العلمانية عالية التقانة الحدود في الهوس الجنسي، وصارت تطالِب رسميًّا بإتاحة الشذوذ الجنسي بين الرجال والأطفال، وظهرت جماعات كبرى مثل النامبلا NAMBLA التي تُنادي بإلغاء حاجز السن بين الشواذ جنسيًّا... وبالفعل المنظمة ناجحة تنظيريًّا، وللمنظمة اجتماع سنوي بنيويورك واجتماعات تُعقد شهريًّا بصفة منتظمة بالولايات المختلفة.

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Homosexuality.

(2) http://www.pewglobal.org/2013/06/04/the-global-divide-on-homosexuality /.

The North American Man/Boy Love Association NAMBLA[1].

ومن عجائب ما يُذكر أنه في حرب الخليج الثانية كانت التعليمات المباشرة للجنود الأمريكان، إذا رأيت سعوديين يُشبِّك أحدهما في يد الآخر فهذا طبيعي عندهم[٢].

وفي سويسرا يسير الإتجاه رسميًّا الآن، نحو تفعيل قوانين تُبيح زنا المحارم.

هل ما زال الملحد مُقتنعًا بأُسطورة الهوس الجنسي عند العرب؟

لكن ماذا عن أكبر نسبة تحرش في العالم توجد في مصر؟

هذه أحد أكاذيب وتلفيقات الملحدين العرب والعلمانيين العرب؛ لأن التحرش لم يُعرَّف عالميًّا حتى الآن، ففي مصر النظرة والإبتسامة ربما لهما دلالات تحرش ويُصنَّف أصحابهما في قوائم المتحرشين جنسيًّا، وبداهةً السقف في الدول الأجنبية مرتفع جدًّا، وربما يوصف الفجور بأنه لباقة في التعاطي مع الجنس الآخر، فكيف توضع هكذا إحصاءات دون تحديد دلالاتٍ واضحة؟

وإذا نظرنا للتحرش الجنسي في العالم فإن السويد كالعادة تأتي في المرتبة الأولى بنصيب الأسد، وفي أُستراليا وحدها تبلغ تكلفة التحرش الجنسي ١١ بليون دولار[٣].

أما بخصوص أن الدول الإسلامية أكثر الدول بحثاً عن كلمة sex في جوجل.

يبلغ عدد المواقع الإباحية على شبكة الأنترنت ٤,٢ مليون موقع، يعمل بها حوالي ٩ مليون امرأة أجنبية، تُدِر حوالي ١٢ مليار دولار أمريكي، تأتى الولايات المتحدة في قائمة أكثر البلدان امتلاكًا لصفحات جنسية، تليها ألمانيا، ثم المملكة المتحدة، ثم استراليا واليابان وهولندا ثم روسيا وبولندا وأسبانيا، وهذه المواقع ربحية في المقام الأول وبالتالي هي مُوجهة رأسًا نحو المستهلك الأوربي والأمريكي.

ولسنا بحاجة إلى إثبات أن نسبة المواقع العربية الإباحية أمام ٤,٢ مليون موقع = الصفر

---

(1) http://nambla.org /

(2) https://www.youtube.com/watch?v=M_CX-JjGFO8.

(3) http://www.thelocal.se/20090427/19102.

تقريبًا.

ولن ندفن رؤوسنا في الرمال ونقول: إننـا لا نتعاطى مع هذه المواقع الأجنبية، فنحن بشر وأصحاب غرائز وذنوب، خاصةً وأن الفئة العمرية التي تتعامل مع الإنترنت في البلدان العربية هي الفئة الشبابية، لكن فرق جوهري بين مَن يرى أن تصفح المواقع حق تجب الدعاية والترويج له ويتربح من خلالها، وبين مَن يعتبرها خصلة دنية يستغفر الله بعدها وينوي ألا يعود.

وعندما بحثت أنا في مسألة أن الدول الإسلامية أكثر الدول بحثًا عن كلمة sex في جوجل، تجاهلت المواقع العربية الصفراء، واتجهت رأسًا إلى جوجل، أبحث داخله عن أهم نقاط البحث للعام الماضي في ثلاث بلدان عربية وهي مصر والسعودية والإمارات، وكانت النتيجة:

مصر

١ – أحداث بورسعيد borsayed indicants

٢ – اللجنة العليا للانتخابات higher elections commision

٣– تنسيق الجامعات ٢٠١٢

٤ – ميدان التحرير tahrir sqr.

٥– حزب النور noor party

٦– بورما Borma

٧– الحرية والعدالة justice and freedom party

٨– محاكمة مبارك Mubarak trial

٩– انتخابات الرئاسة Presidential elections

١٠– مشروع النهضة development project.

السعودية

١ – نتائج الطلاب students results

٢ – التأمينات insurance

٣- عرب ايدول Arab idol

٤- مسلسلات رمضان ٢٠١٢ Ramadan episodes 2012

٥- محمد مرسي Mohammad Mursi

٦- انفجار الرياض Riyadh Explosion

٧- بورما Borma

٨- الجيش السوري الحر free Syrian army

٩- مجلس الشوري Shura counsel

١٠- إعصار ساندي Sandi storm

الإمارات:

١- Gangnam Style

٢- iPad

٣- Olympics 2012

٤- Samsung Galaxy S3

٥- The Avengers

٦- Skyfall

٧- Hurricane Sandy

٨- مسلسلات رمضان ٢٠١٢ Ramadan episodes 2012

٩- KONY 2012

١٠- الثورة السورية Syrian Revolution[١].

---

(١) arabcrunch.com/2012/12/top-google-search-trends-in-egypt-uae-and-saudi-arabia-in-2012.html.

أما عن الكبت الموجود بالعالم الإسلامي، وأنه مصدر رئيس لهذا السعار الجنسي.

فقد تبيَّن في ثنايا هذا المقال مدى سخافة تلك الأُسطورة التي تربط بين الكبت والسُّعار الجنسي، فأكثر الدول إباحيةً هي أكثرها سُعارًا في الجنس على الإطلاق، وأقلها إباحية هي أقلها سُعارًا، وقد أثبتت دراسات الطب النفسي السلوكي أن ضبط الغرائز يؤدي إلى تهذيبها، في مقابل أن إفلاتها يجعلها تتحول إلى فيضان كاسح.

ولا أدري كيف انقلبت الآية عند الملحد والعلماني وصاروا يُروِّجون للعكس، ربما هم يؤمِّلون شيوع الفاحشة في بلادنا الإسلامية، فيكذبون من أجل ذلك ويخترعون أسطورة الربط بين السُعار والكبت.

فطِبقًا لطب النفس السلوكي فإن الرجل الأوربي يُفكر قي الجنس كل ٦ دقائق، و٤٢٪ من البريطانيين يقيمون علاقة مع أكثر من شخص في نفس الوقت، بينما ٥٠٪ من الأمريكيين يقيمون علاقات غير شرعية (أي مع غير أزواجهم)![1].

وفي أمريكا وحدها يقتل الإجهاض أكثر من مليون طفل سنويًّا[2].

وعندما حاولت فرنسا منذ فترة قريبة تقنين أوضاع بيوت الدعارة بها، خرجت ثورة كبرى، وأَغلقت العاهرات الشوارع، ورفعن لافتات sex=work و sex is work واضطر المُشرِّع أن ينزل على رغبة العاهرات، وفي إسرائيل أكبر المظاهرات في الخمسين عامًا الأخيرة هي حصرية للشواذ جنسيًّا ولطلباتهم التي لا تنتهي، وأكبر نسبة من التظاهرات في أوربا وأمريكا متعلقة مباشرةً برغبات جنسية وطلبات زيادة وجبات إباحية، أو تسهيل زواج مِثلي، أما مُظاهرات العُراة فلا تكاد تخلو منها مدينة أوربية، ومؤخرًا سمحت السويد رسميًّا بحق الاستمناء في الأماكن

(1) http://news.bbc.co.uk/2/hi/uk_news/177333.stm.

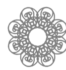
(2) http://www.cdc.gov/mmwr/preview/mmwrhtml/ss5511a1.htm.

العامة[١].

الخاتمة:

وهكذا يتبيَّن لنا فداحة خطأ تلك الأُسطورة التي تربط بين الهوس الجنسي والعرب، أو بين الهوس والمتدينين، إنها أُسطورة ذائعة الصيّت، واسعة الانتشار، مقبولة لدى قطاع عريض جدًّا من السُّذَّج والحمقى والمُغفلين.

إن القاعدة الفطرية البدهية التي نخرج بها من هذا المقال، ومن الإحصاءات الرسمية التي أوردناها، ومن المسح السلوكي لأخلاقيات المجتمعات تتلخص في أن "المرء إذا هوى دينُه فإنه يُقاد من فَرْجه وبطنه، أكثر مما يُقاد من عقله وضميره".

(١) http://www.dailymail.co.uk/news/article-2424416/Swedish-court-rules-IS-legal-masturbate-public-directed-specific.html.

الجرعة الحادية والأربعون

ما سبب تخلف المسلمين العلمي التقاني؟

الرد:

المسلمون في بلاد الغرب يُمثلون نخبة مثقفة يقول د.مراد هوفمان: "أن تكون مسلمًا في أمريكا يعني أن تكون أكاديميًا –هكذا الأمر مستقر في اللاوعي الغربي–، وهذه الحقيقة تمنح الإسلام وضعًا اجتماعيًا متميزًا وموقفًا ماليًا قويًا... وفي سانتا كلارا في قلب وادي السليكون، تجد ما لا يقل عن ٧٠٠ خبير كمبيوتر مسلم ولقد شارك الكثيرون منهم في تطوير Pentium III"[١].

ورؤساء المنظمات الإسلامية هم علماء كبار يفخر بهم المجتمع الأمريكي مثل د.نظير خايا طبيب الكلى الشهير خريج جامعة هارفارد ويشغل منصب مدير مركز المعلومات الإسلامي IIS، أما رئيس منظمة الحقوق المدنية للمسلمين في أمريكا CAIR فهو عمر أحمد عالم دقائق الكمبيوتر، أما مجلس المسلمين الأمريكيين فيرأسه الدكتور عبد الرحمن المودي.

ويوجد في أمريكا وحدها ٢٠٠ ألف عالم مسلم هاجروا من مصر فقط كما أعلنت وزارة الهجرة المصرية[٢].

فالتخلف ليس قضية مرتبطة بالأيديولوجية –الدين– كما يحاول أن يفترض الملحد اللئيم ذلك، فلا يوجد في الإسلام ما يمنع من التقدم التقاني.

يقول الأستاذ عمر التلمساني رحمه الله : " إن الإسلام لا يرضى بما نحن فيه، فلا داعي للتمحك بأنه سبب تأخر المسلمين وضعفهم، كل ما في الإسلام يدعوا إلى العدل والإنصاف، والقوة والمساواة والجد، والعمل وإتقانه، ويدعو إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق".

ويقرر غوستاف لوبون أن: "الإسلام من أكثر الديانات ملاءمةً لاكتشافات العلم"، ولذلك يكثر اعتناق الإسلام في الأوساط العلمية من دكاترة وبروفسورات وباحثين.

---

(١) الإمبراطورية الأمريكية، الجزء الثاني، ص٢١٦.

(2) http://www.asbar.com/ar/monthly-issues/53.article.htm.

لكن نحن لم نُجب عن السؤال بعد!

لماذا نحن متخلفون علميًا؟

في البداية؛ العلم ببساطة هو ملاحظة الظواهر بغية تفسيرها، والبحث العلمي قرين بمَن يدفع أكثر، ومَن يُمول، هذه هي القضية.

وتمويل إحدى جامعات أمريكا الكبرى -مثل جامعة هارفارد- يفوق التمويل العلمي للدول العربية مجتمعةً(١).

فمِن البديهي أن يكون عدد الأوراق العلمية الصادرة عن جامعة هارفارد أكبر من عدد الأوراق العلمية الصادرة عن جامعات الدول العربية.

والتخلف عندنا تخلف إداري وليس تخلف كمي أو كيفي، فطالب الطب في الجامعات العربية يتخرج بحصيلة علمية ربما تفوق بمراحل الحصيلة العلمية لخريج الطب في الجامعات العالمية لكن الإدارة عندهم تنجح في توظيفه وترقيته مهاريًا وزيادة تخصصيته فيُبدع!

أيضًا يمكن التأريخ لبداية أول مراحل تخلف مجتمعاتنا بتاريخ سقوط الدولة العباسية حين تضائلت الروح العلمية فجأةً، وظهرت الثقافة الأدبية الواحدية في العالم العربي وظلت سائدة حتى الساعة!

وفي الواقع لا يولد الأدب إلا من رحم فكر عظيم لكن الأدب المنفرد الغير مقترن بعلم مأساة. والقرآن يقرن بين الروح الأدبية العالية والشواهد الرصدية العلمية قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ ﴾ [آل عمران:١٩١].

فالتفكير في الإسلام فريضة وليس ترف عقلي، وقد تكررت مشتقات كلمة العقل في القرآن قرابة خمسين مرة.

ولذا في عصور الإسلام الزاهية كانت العواصم الكبرى والمدن الإسلامية مثل بغداد والكوفة والبصرة ودمشق وقرطبة والقيروان والقاهرة مفتوحة لكل الأجناس والأديان، وكانت

---

(١) http://goo.gl/DXnbK6.

المناظرات تُعقد ليل نهار، وكانت الناس يأتون من الدنيا كلها يتلقون العلم، وكان العلم تجارةً رائجة.

وابن النفيس مكتشف الدورة الدموية الصغرى مُصنَف في طبقات الشافعية، و البيروني أعلن أن الأرض تدور حول محورهـا أمام الشمس، وأساس علم الفلك في أوربـا قام على مصنفات الإمام إبراهيم الزركلي.

وابن باجه المصنف المشهور اكتشف أن مدارات الكواكب بيضاوية وليست دائرية.

والمسجدرسة وهو التحام المسجد بالمدرسة من أيام الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ثاني الخلفاء الراشدين.

وبينما كان الموت والوباء يجتاحان أوربا، وكانت البيوت في باريس ولندن من الطمى المخلوط بالقش ولم يكن بها نوافذ أو أرضيات خشبية، ولم يكونوا يعرفون المداخن فكان الدخان يملأ البيت ويزكم الأنوف بالأمراض، وكانوا لا يعرفون النظافة فلم تكن هناك أرضيات أو مصارف، وكانت بقايا الحيوانات تلقى أمام البيوت، ولم يكونوا يعرفون الحجر الصحي أو الوقاية أو النظافة فكانت تنتشر الأمراض الفاتكة لكل أوروبا كل بضعة سنوات، بينما كان الوضع كذلك في أوربا كانت الدولة الإسلامية عامرةً مضيئة، وكان الحجر الصحي معمولاً به منذ عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم–، وكانت الشوارع مضاءةً، والمصارف في كل قريةٍ، والبيمارستانات واسعةً رحبة يأتي إليها ملوك أوربا للعلاج[١].

ويحكي لنا ابن كثير عن عظمة المسجد الأموي وأن الدنيا لم يكن فيها أعظم منه.

وعندما أرسل هارون الرشيد بساعةٍ هدية إلي الإمبراطور شارلمان، خاف شارلمان. واعتقد مَن في القصر أن الساعة تحوي شيطاناً لأن العقارب تتحرك دون أن يلمسها أحد.

ففي عام ٨٠٧ م أرسل هارون الرشيد بهديةٍ عجيبةٍ لشارلمان ملك الفرنجة، وكانت الهدية عبارة عن ساعةٍ ضخمة بارتفاع حائط الغرفة تتحرك بواسطة قوة مائية، ومع تمام كل ساعة يسقط

---

(١) بينات الحل الاسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين.. د.يوسف القرضاوي.. مكتبة وهبة الطبعة الثانية ١٩٩٣ ص١٣٤.

منها عدد من الكرات المعدنية بعدد الساعات فوق قاعدة نحاسية ضخمة فيُسمع لها رنين موسيقى ويفتح باب من الأبواب الـ١٢ المؤدية الى الساعة ويخرج منها فارس يدور حولها ثم يعود، لكن رهبان القصر اعتقدوا أن بها شيطانًا يحركها، فتربصوا بها ليلاً وحطّموها[١].

يقول الشيخ محمد الغزالي- رحمه الله-: «إن الصيدلة علم عربي، والفلك والطب والميكانيكا والرياضيات والطبيعة والجغرافيا ما تزال تحمل الأسماء العربية الفصحى إلى اليوم، وهكذا ساد الروح العلمي الأمة العربية»[٢].

ويقول ديورانت في كتابه قصة الحضارة: "ربما ملك الصاحب بن عباد من الكتب في القرن العاشر ما يقدر بما كان في مكتبات أوربا مجتمعةً، وكنت تجد في المساجد من قرطبة إلى سمرقند علمـاء لا يحصيهم عدد".

أما المستشرق سبنسر فاميري فيقول: " لا يستطيع عالم واحد أن يتأمل القبة الزرقاء دون أن يلفظ اسمًا عربيًا، ولا يستطيع عالم طبيعي أن يحلل ورقة من الشجر أو يفحص صخرة من الصخور دون أن يتذكر درسًا عربيا، ولا يقدر أي قاضٍ أن يبت اليوم في خلافٍ دون أن يستدعي مبدأ أملته العرب، ولا يسع أي طبيب أن يتأمل دائرة أحد الأمراض المعروفة منذ القدم دون أن يهمس بآراء طبيب عربي".

بل إن الجامعات الأوربية عاشت ٦٠٠ عام على ترجمات العرب كما يقول جوستاف لوبون.

فلا يوجد في الإسلام ما يحرم العقل من التفكر والتدبر. ومن المفارقات العجيبة في زماننا أن تتقدم الدول الآسيوية التي تحرم ثقافاتها العلم بينما نتخلف نحن. وهنا يحضرني مثال العالم الياباني كو سكي Kow Seki الذي عاش في عصر نيوتن وأبدع علم التفاضل التكاملي وحساب مقدار Pi لكنه أبقى معادلاته سرًا لأن هذا في نظره يُخل بسمو الألوهية أن يكشف تشفيرًا صنعه الله في النظام الطبيعي!

---

(١) مقدمة كتاب شمس العرب تسطع على الغرب، للمستشرقة الألمانية زغريد هونكة.

(٢) ظلام من الغرب، ص٤٠.

هكذا تنظر ثقافاتهم للعلم.

إننا نِمنا في النور بينما غيرنا استيقظ في الظلام.

لكن هل من مخرج؟

يقول صامويل هنتنجتون بالحرف الواحد: "لا آدم سميث ولا توماس جيفرسون سيفون يفيان بالاحتياجات النفسية والعاطفية والأخلاقية لأصحاب الديانات الأرضية، ولا المسيح قد يفي بها وإن كانت فرصته أكبر، على المدي الطويل محمد سينتصر". صلى الله عليه وسلم(١).

ويقول فرانسيس فوكوياما : "الإسلام يُشكل أيديولوجية متسقة ومتماسكة وله معاييره الأخلاقية الخاصة به ونظريته المتصلة بالعدالة السياسية والاجتماعية، كذلك فإن للإسلام جاذبية يمكن أن تكون عالمية، فهو يدعو إليه البشر كافةً باعتبارهم بشراً لا مجرد أعضاء في جماعة عرقية أو قومية معينة"(٢).

و ينظر توينبي إلى العالم الإسلامي على أنه عنده ما ينقذ الحضارة المعاصرة من الخواء واللامعيارية والعدمية.

يقول تي. بي.إرفنج الأستاذ بجامعة تنيسي الأمريكية: "أعطوني أربعين شاباً ممن يفهم الإسلام فهماً عميقاً ويُحسنون عرضه بأُسلوب العصر وأنا أفتح الأمريكتين"(٣).

ويقول هنري دي شامبون: "لولا انتصار جيش شارل مارتل على المسلمين في فرنسا لما دخلت فرنسا العصور المظلمة".

وفي العصر الحديث لم تنتصر الدول الإسلامية ولم تُفق من غفوتها إلا تحت الحكم الإسلامي، وكان هناك بلد إسلامي – المملكة العربية السعودية– يُضرب به المثل في الفوضى وقطع الطُرق واستباحة الحرمات وذبح القوافل، فما أن حكمه المرحوم الملك عبد العزيز بن

---

(١) صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي. صامويل هنتنجتون. ترجمة :طلعت الشايب الطبعة الثانية ١٩٩٩ ص٢٨٩.

(٢) نهاية التاريخ وخاتم البشر، فرانسيس فوكوياما، ترجمة : حسين أحمد أمين الطبعة الأولى ١٩٩٣ مركز الأهرام للترجمة والنشر ص٥٦.

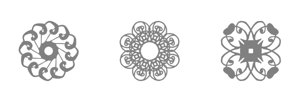
(٣) سقوط العلمانية ونهاية اسرائيل، الاستاذ محمد شهدي، دار الوفاء ص٩١.

سعود وأقام فيه الحدود حتى تغير الحال وصار أقل مجتمعات الأرض جريمةً.

والاستقرار السياسي والاقتصادي الذي تشهده تركيا هذه الأيـام ما كان ليتم لولا وصول الإسلاميين فيهـا للحُكم، وقبلهـا بعقدٍ واحدٍ فقط كان الصراع والحكومات الائتلافية وحل البرلمان كل عدة شهور، وكان الانهيـار الاقتصـادي علامة بارزة في كل تركيـا، وما أن وصل الإسلاميون للحكم حتى ارتفع متوسط دخل الفرد من ٣ آلاف دولار في عام ٢٠٠١ إلى ١١ ألف دولار في ٢٠١١، ووصلت النزاعات بين تركيا وجيرانها إلى الصفر، وهدأت المشكلة الكردية لأول مرة منذ عقود، وتم حل مشكلة المواصلات ومشكلة المياه ومشكلة التلوث في إسطنبول عاصمة الزحام.

فالإسلام يحمل الحل لكن المسلمين نائمون.

والأمل الآن معقودٌ على ثورةٍ فكريةٍ إسلاميةٍ خضراء تُزيح الترهلات التي أصابت العلم من جراء كهنة الإلحاد، وسدنة المادية، فالعلم الطبيعي عِلمُنا، ونحن مَن وضع أصوله الأولى، ونحن مَن سيُرجع الأمر فيه إلى نصابه متى شاء الله.



الجرعة الثانية والأربعون

أقوى عشرون دليلاً على كون التطور

هو العلم الزائف Pseudoscience

تعريف العلم الزائف Pseudoscience :

العلم الزائف هو ادعـاء أو ممارسـة يُقدَّم على أنه علم، ولكنه لا يلتزم أي طريقة علميـة صحيحة، ويفتقر إلى التجريب، ولا يُمكن اختباره بشكل موثوق في غيـاب تـام لعملية الرصـد(١).

الدليل الأول: كيف بدأت الحيـاة على الأرض؟.. السؤال الأول في الداروينية بلا إجابة!!

اليوم نصل إلى القرن الحادي والعشرين، ونحن حتى الآن لم نحـل المشكلة الأصليـة بعد.. كيف بدأت الحيـاة على الأرض؟

Today as we leave the 20th century, we still face the BIGGEST PROBLEM that we had when we entered the 20th century : how did life originate on earth[2].

الدليل الثاني: ما هي الحيـاة؟.. السؤال الأهم والأخطر في الداروينية بلا إجابة!!

الداروينيـة رسميـاً لا تعرف ما هي الحيـاة حتى الآن..

فالحيـاة شيء يختلف تماما عن اختلاط مجموعة من القواعد النيتروجينية لتكوين سلسلة أحماض أمينية..

الحياة شيء والنظام الجيني داخل نواة الخلية شيء آخر تماماً..

الحياة شيء ونظام التشفير الرباعي داخل نواة الخلية C G T A شيء آخر تماما..!!

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Pseudoscience.

(2) source:Jeffrey Bada, Earth, February 1998, p.40.

الدليل الثالث: الانتخاب الطبيعي Natural Selection أصـل الأصول في الداروينية لم يثبت علميـاً بالمقاييس العلمية إلى الآن..!!

الدارويني الشهير عالم الحفريات البريطاني [كولين باترسون] يعترف قائلاً " لا أحد في أي وقت مضى أنتج أحد الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي، أو حتى اقترب منها، ومعظم مناقشات الداروينية الجديدة حول هذه القضية".

No one has ever produced a species by the mechanisms of natural selection. No one has ever Got near it, and must of the current arguments in neo-darwinism is about this question(1).

إلى الآن يظل الانتخاب الطبيعي Natural Selection خارج دائرة العلم Pseudoscience... حيث إنه لم يثبت تجريبيـاً!!

الدليل الرابع: رسميا نحن لم نُشاهِد أية طفرة Mutation مفيدة حتى الآن في الطبيعة أو في المُختبر..!!

عندما تحاوِر أحد أتبـاع نظرية التطور وتُثبت له أن آليـات الانتخاب الطبيعي قاصرة عن إنتـاج كل هذا العدد الهائل من الكائنـات الحية – قرابة ٢ مليون نوع.. ولكل نوع خصائصه المتكاملة والمُستقلة – فورًا سيعترف لك بالأمر، وسيُحيلك إلى آلية الطفرات Mutations لتفسير هذه المعضلة..!!

وما نعرفه عن الطفرات هو التشوه في الكائنات الحية لا أكثر... لأن الطفرة تُتلِف الحمض النووي وتُتلِف المعلومة وتُحدث التشوه.

ولـم تُشاهَد رسميـًا حتى الآن أية طفرة مفيدة سواءاً في الطبيعة أو في المُختبر.

إذن تظل أيضـاً آلية الطفرات خارج دائرة العلم Pseudoscience..!!

الدليل الخامس: الطفرات والانتخاب الطبيعي شيء، وإضافة معلومات جديدة داخل جينوم الكائن الحي – نواة الخلية – شيء آخر تماماً تماماً تماماً..!!

---

(1) Source: BBC Cladistics march 4, 1982.

الطفرة بداهةً لا تُضيف معلومة وراثية جديدة.

هل هناك معلومات جديدة وُلدت مع الطفرة أو مع الانتخاب الطبيعي؟

هذا ما ينبغي أن يُجيب عنه التطوريون... وما زلنا ننتظر الإجـابة..!!

الدليل السادس: كيف تزيد المعلومة الجينية داخل جينوم الكائن الحي؟.. أهم سؤال على الإطلاق في الداورينية الجديدة بلا إجابة؟

يجب أن يُثبِت لنا الداروينيون وجود آلية قادرة على إنتاج المعلومات الجينية الجديدة، التي لم تكن موجودة لإنتاج البُنى الأكثر تعقيدا.

هل يملك أحد الداروينيين دليلا واحداً على عملية تطورية تزيد من المعلومة الجينية في الجينوم؟

لأنه عندما كانت هناك خلية واحدة، والتي من ثَم أنجبت كل هذا التنوع،– حسب أدبيـات التطور – لم يكن هناك أي معلومات جينية للبشرة والشعر والقلب والدماغ..إلخ

لذلك حسب رأيهم يجب توليد المعلومات.

والسؤال هو: كيف يتم توليد المعلومات الجينية؟

الطفرة والانتخاب الطبيعي لا علاقة لهما بتوليد معلومة جديدة – جين إضافي –.. إذن يظل السؤال الأهم على الإطلاق في الداروينية الجديدة: كيف تزيد المعلومة الجينية داخل جينوم الكائن الحي؟ بلا إجابة..!!

الدليل السابع : التشفير داخل جينوم الكائن الحي هو عملية واعية لا علاقة لها بالصدفة..!!

جميع الطلبات التي يحتاجها الكائن الحي، مثل طول الشعر ووظائف الهضم ولون الجلد وتصنيع الطاقة، وكل شيء يحتاجه الكائن الحي يوجد مُشفرا في نواة الخلية داخل شريط ال DNA في الكائن الحي بنظام التشفير الرباعي C G T A

نظام التشفير الرباعي هذا موجود في أدق الكائنات على وجه الأرض وأكثرها تعقيدًا...أيضًا نظام التشفير الرباعي C G T A ظهر مع أول الكائنات على وجه الارض – السيانو

باكتريا – ويظل نظامًا حكريًا لكل الكائنات بلا استثناء – فيروسات، بكتريا، ثدييات، نباتات، زواحف، أسماك، حشرات، بريونات – نظام في غاية الذكاء والإعداد للمستقبل والضبط بعناية..!!!!!!

هذا التشفير يؤكد أنه لا مجال للصدفة أو العشوائية في الأمر..!!

الدليل الثامن :كيف تتحول المعلومات – الأكواد الجينية المُشفَّرة– إلى وجود حقيقي في الكائن الحي morphogenesis؟

المعلومات التي يُتيحهـا نظام التشفير الرباعي C G T A كالكلمات المطبوعة على ورق.. كالشفرات المضغوطة على إسطوانة CD تحمل أدق تفاصيل الكائن الحي، لكنها مجرد شِفرات لا أكثر كيف تنتقل هذه الشفرات إلى تشكيل الكائن على هيئته الحقيقية morphogenesis؟

كيف تتحول المعلومات إلى وجود حقيقي في الكائن الحي؟

كيف تتحول كلمات نخطَّها على أوراق نَصِف فيها هيئة إنسان، مهما بلغت تفاصيلها ودقتها، إلى إنسان حقيقي (من لحم ودم)!؟

ويبقى التساؤل الأهم مَن الذي وضع الشِفرة قَبل فك التشفير؟

الدليل التاسع : الداروينية ماتت بسبب نظرية الحد الأدنى من الجينات Minimum gene set concept..!!

كتب داروين يقول " إذا أثبتنا وجود أي عضو مُرَّكب بحيث إنه لا ينشأ من تعديلات طفيفة متعاقبة فإن نظريتي ستنهار تمامًا..!!

If it could be demonstrated that any complex existed, which couldn`t possibly have been formed by numerous, successive, slight modifications, my theory will absolutely break down[1].

وقد وجد العلماء أن الميكوبلازما Mycoplasma – وهي أدق كائن حي موجود على وجه الأرض على الإطلاق – لديه ٤٦٨ جين، والجينة الواحدة تحتوي على بروتينات مُركبة قد تصل

(1) Source: the origin of species p.189.

من ١٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ حمض أميني.

إذا كان التطور صحيحاً فنحن بحاجة إلى أن نبدأ من صفر جينة، إذا أردنا المرور من الهيدروجين إلى الإنسان.

أُكرر مرة أُخرى : إذا كان التطور صحيحاً فنحن بحاجة إلى أن نبدأ من صفر جينة، إذا أردنا المرور من الهيدروجين إلى الإنسان.

لكن من الناحية النظرية لا يُمكن أن تنزل إلى أقل من ٢٠٠ جينة، وفي عدد ٦ يناير ٢٠٠٦ نشرت مجلة الطبيعة الشهيرة Nature أنه " لا يمكن أن نتجاوز حاجز ٣٩٧ جين "

فإنتاج الطاقة وحده يتطلب ٦ جينات كحد أدنى، وإذا نقص جين واحد فالخلية لن تُزوَّد بالطاقة، وهكذا كل وظيفة أساسية لها حدٌ أدنى من الجينات..!!

ولذا ظهرت نظرية الحد الأدنى من الجينات Minimum gene set concept والتي تقضي فعلياً على الداروينية..!!

الدليل العاشر : متتالية التشفير الرباعي C G T A تحتاج إلى ملء الكون مليارات المرات من الكائنات المشوهة من أجل إنتاج كائن حي واحد سليم..!!

المعلومات الرقمية على نظام التشفير الرباعي في شريط الحمض النووي DNA تحمل كل المعلومات الخاصة بالكائن الحي وأي عطب في نيوكليوتيدة واحدة أو تبدل واحدة مكان أخرى يعني خلل وعطب وتشوه في وظيفة حيوية من وظائف الجسم.. فمثلاً الجين المسئول عن سرطان الثدي يوجد به ٨ آلاف نيوكليوتيدة، وفي واحدة منها إذا وُجدت G بدلا من T يحدث السرطان بنسبة ٨٥٪... وفحص جين السرطان في معامل الأبحاث المتخصصة معناه فقط فحص هذه القاعدة النيتروجينية G في هذا المكان.

وشركة ميرياد لأبحاث الجينات MYRIAD GENETICS هي التي اكتشفت هذا الحرف G في هذا المكان ولذا فهي تملك براءة اختراع وتقوم حصريا بتحليل BRCA1 مقابل ١٤٠٠ دولار وتربح من ذلك أموالاً طائلة.

وفي هذه الحالة النادرة التي يتبدل فيها حرف مكان حرف تظل هذه مشكلة كامنة لا يُظهرها

إلا نمط حياة غير سوي مثل تعاطي الهرمونات الأُنثوية بكثافة – حبوب منع الحمل– أو ترك الرضاعة الطبيعية أو عدم الإنجـاب.. فهذه القاعدة النيتروجينية كأنها تحشو مسدس عدوك دومًا لكن من يضغط على الزناد هو نمط حياتك أنت.

وإذا تجاهلنا معضلة الحياة، ومعضلة القواعد النيتروجينية التي تتجمع معاً، ومعضلة الـmorphogenesis.. وطلبنا الحد الأدنى من الجينات لإنتاج أدنى كائن حي على الإطلاق الميكوبلازما MYCOPLASMA فنحن نحتاج إلى ملء الكون كله مليارات المرات من الكائنات المشوهة الميتة، غير الصحيحة في ترتيب قواعد الـC G T A، من أجل إنتاج كائن حي واحد سليم من الميكوبلازما MYCOPLASMAحيث إن عدد القواعد النيتروجينية في الميكوبلازما هو نصف مليون قاعدة نيتروجينية تقريباً، ولترتيب نصف مليون قاعدة نيتروجينة بالصدفة فالاحتمال هو ١٠ أُس ٢٥٠,٠٠٠ في حين أن عدد ذرات الكون كُله ١٠ أُس ٨٠...!!

الدليل الحادي عشر: أنصاف البشر – الإنسان القرد – أُسطورة علمية..!!

مشكلة الداروينية الأصيلة أنها تُفرَض على الناس من خلال رسوم مُتخيلة مُزيفة تظهر بانتظام في أكبر الدوريات العلمية.. ولا تكاد تخلو مجلة علمية من أنصاف البشر – الإنسان القرد – مع أن هذا أمر خارج إطار العلم رسميا حتى الآن...!!

ويصل التضليل إلى حد وصف حياة اجتماعية كاملة لأنصاف البشر مع عائلاتهم مع رسم ذكي للبيئة المحيطة.

ولا يكاد يخلو فيلم وثائقي في التطور من أنصاف البشر..

بل ويمكن للجمجمة الواحدة المُكتشفة أن تُعطي أكثر من انطباع لدى ورش العمل الداروينية، فالمتحجرة زينجينترابوس أنجبت ثلاث عمليات إعادة بناء مختلفة..!!

والمدهش في الأمر أن الداروينية تتجاوز الجُمجمة إلى رسم الكائن الحي كاملاً بأنسجته الطرية، وصنع مُجسمات وهمية في ورشات تتكلف الأموال الباهظة مع أن هذا يخضع للعلم الزائف.

[إيرنست هوتن] بجامعة هارفارد يؤكد أن "إعادة التجسيم هذه لا قيمة علمية لها وأي

جمجمة يمكن للحِرفي الماهر أن يستخدمها في تشكيل شمبانزي أو فيلسوف ماهر بنفس المعطيات.. هذه الأمور موجودة فقط لتضليل الجمهور".

You can with equal facility model on a neanderthaloid skull the features of a chimpanzee or the leneaments of a philosopher these alleged restorations of ancient types of man have very little if any scientific value and are likely only to mislead the public[1].

الدليل الثاني عشر: القرد الأفريقي الجنوبي – لوسي – هو أحد أنواع القِردة المنقرضة لا أكثر..!!

دور البطولة في النظرية الداروينية من نصيب قرد منقرض يُدعى [اوسترالوبتيكس] australopithecus afarensis ويعني القرد فجأة.. ظهرت حفرياته على يد[ريموند دارت]١٩٢٤...، ورسميًا لا يوجد فارق بين عظامه المكتشفة وعظام الشمبانزي.. لكن الداروينية ادعت أنه يمشي منتصبًا.. إلى أن جاء أشهر علماء التشريح عالميًا [اللورد سالي زيكيرمان] والبروفيسور [تشارلز أوكسنارد] " وفندًا هذا الإدعاء.. وتبين أن القرد الأفريقي الجنوبي – لوسي – هو أحد أنواع القردة المنقرضة لا أكثر.

ويوجد ٦٥٠٠ نوع من القردة بعضهـا منقرض... من خلالها يسرح الدراونة بمخيلاتهم كما يشاؤون..!!

ولذا في المجلة الفرنسية الشهيرة العلم والحياة science et vie عدد مايو ١٩٩٩ كتبت بالمانشيت العريض adieu lucy أي "الوداع يا لوسي"

الدليل الثالث عشر : الإنسان المنتصب والعامل والعاقل القديم.. كلها سخافات داروينية..!!

يتحدث الداروينيون باستمرار عن الإنسان المنتصب [هومو اريكتس] والإنسان العامل [هوموارغاستر] والإنسان العاقل القديم [هوموسابين نياندرتال]..، وكل هؤلاء بشر عاديون من

---

(1) Source: up from the ape p.332.

أجناس مختلفة لا أكثر...، فحفرياتهم مطابقة للهيكل الإنساني والاختلافات الطفيفة هي اختلافات ما زالت توجد اليوم بين الأعراق البشرية المختلفة..، وهذا كلام عالم الحفريات [ريتشارد ليكي] "الإنسان المنتصب [هوموايريكتس] والإنسان المعاصر نوع واحد، وهذه الاختلافات أقل من الاختلافات التي نراها اليوم بين أجناس منفصلة جغرافيا من الإنسان الحديث".

These differences are probably no more pronounced than we see today between the separate geographical races of modern humans[1].

الدليل الرابع عشر: نظرية التطور محرومة من كل صفات الفرضية العلمية وليست أكثر من اتجاه أيديولوجي..لذا هي مليئة بالغش والخداع!!

اعترف [أرنست هيجل] رسميا بتزييف صور الأجنة التي دلس بها على داروين والتي ظلت أحد أيقونات الداروينية زمنًا طويلاً في مقالته المنشور ١٤ ديسمبر ١٩٠٨، والمُعنونة ب تزوير صور الأجنة. وإلى يومنا هذا ما زال الملحد العربي يستخدمها بمنتهى الغباء على الرغم من مرور أكثر من قرن على اعتراف صاحبها بالتزوير الرسمي في العلم..!

إنسان [بلتداون] Piltdown man الذي كُتبت فيه قرابة خمسمائة رسالة دكتوراه اكتشف بعد قرابة ٤٠ عام أنه حفرية تم تزييفها على يد دارويني ماكر..!!

أيضـاً من ضِرس واحد اكتشفوه غرب نبراسكا قرر الداروينيون أن هذا الضرس اليتيم يحمل صفاتٍ مشتركةً بين كل من الإنسان والقرد ورسم الفنانون الشكل المُتخيل لهذه الحلقة المفقودة بل رسموا عائلته وزوجته وأبناءه... وسريعًا تم إعطاؤه اسماً علمياً هو Hesperopithecus haroldcooki .

وبعد خمس سنوات من هذا الأمر اكتشفوا أن هذا الضرس يخصّ نوع منقرض من الخنازير الأمريكية البرية يسمى prosthennops.

وهذا يؤكد أن هناك أمرا آخر لا علاقة له بالعلم..

(1) The making of mankind, london, sphere books, 1981, p.62.

واليوم أثبت العلم أن التغيير في أقل جزيء في جسم الكائن الحي.. يوجب تغييرات في غاية الدقة والتعقيد وحسب تخطيط مُحكم لا يسمح بأي خطأ كان..لكن لن تعترف الداروينية بكل هذه الشروط.!!

الدليل الخامس عشر: مَن هو الأب المباشر للإنسان المُعاصر..؟

كيف يكون الأب المباشر للإنسان المُعاصر غير معلوم حتى الآن مع أنه أقوى الكائنات تُرا، وأقدرها على التكيف، ولا يوجد في التاريخ الحيواني أعظم منه إلا الإنسان المعاصر... مَن هو الأب المباشر للإنسان المعاصر.. كيف نكون وصلنا للقمر ووصلنا لأعمق نقطة في جميع المحيطات - خندق ماريانا - ووصلنا للسيانو باكتريا وللهجيز بوزون ولم نصل بعد للأب المباشر للإنسان المعاصر..!!

الأب المباشر للإنسان المُعاصر المفترض أنه يـأتي على قمـة المملكة الحيوانية فهو سيدهـا، وأقواها، وأكثرها تواجدًا وثباتًا، وأقدرها على التكيف، ولا يفصل بيننا وبينه شيء.. أين هو هذا الكائن؟، إننـا نواجه نظرية ليست مليئة بالثقوب بل هي غير منسوجة أصلاً.. إنها العلم الزائف Pseudoscience.

الدليل السادس عشر : مَن هو الأب المباشر لأي كائن حي على وجه الأرض؟

المنهجية العلمية لابد أن تكون قابلة للملاحظة وقابلة للتكرار هذا شرط في العلم التجريبي بدون هذا الشرط تتحول النظرية إلى فرضية شوهاء..

وقابلية الملاحظة أو قابلية التكرار هذه أمور لم نرصدهـا في تاريخ الداروينية كله.. فلم يحدث أن وجدنا الأب المباشر لأي كائن حي موجود على وجه الأرض - ٢مليون نوع-.

دائماً الداروينيون يتحدثون عن أسلاف، وجدود الجدود، وتغيرات يستحيل ملاحظتها مختبريًا، ولم يتم رصدها حفريًا إلى اليوم.. ومع ذلك فالأسلاف وجدود الجدود ما زالوا موجودين حولنا! فلماذا لا نعتبر هذا تنوعًا في الطبيعة، وليس تطوراً دارويناً..!!

يقولون لنا القطط والكلاب من أصل واحد... أين هو هذا الأصل؟.. الكلاب والذئاب من أصل واحد.... أين هو هذا الأصل؟

لماذا دائمًا الأصل خجول للغاية في كل مكان، ولم يظهر يومًا ما؟

مشكلة الداروينية أنها لا تملك الآلية التي تُقرر بها متي تكون الأحفورة المُكتشفة كائنًا مستقلاً أم حلقة مفقودة أم دليلاً أحفوريًا؟..، الخيال هو أصل النظرية..، نظرية الداروينية دائما تضع العربة قبل الحصان..!!

الدليل السابع عشر: استحالة نشأة بروتين واحد بالصدفة..!!

البروتين هو مُركب وظيفي بيولوجي وحدة بنائه الأساسية هي الأحماض الأمينية، وهو يتكون من سلسلة طويلة جداً من هذه الأحماض الأمينية، ويوجد في سيتوبلازم الخلية ٢٠ حمض أميني، والأحماض الأمينية أيمن وأيسر كأنهما مرآه، وعلى الرغم من التماثل التام وكلاهما يدخل في تفاعل كيميائي إلا أن اختيار البروتين يكون أيسر فقط ؛ لأنه الاختيار الوحيد الذي يسمح بالشكل الثلاثي الأبعاد للبروتين في مرحلة الطي..، ويوجد في أبسط بكتريا على الأرض ألفا نوع من البروتينات على الأقل..

والمطلوب لتخليق بروتين أن نحصل على الكود الخاص به من نواة الخلية بحيث يتوافق هذا الكود مع الترتيب الخاص بحمض أميني من الأحماض التي تُكوِّن البروتين.. ،وفي كل مرة يجب أن يتوافق الكود مع الحمض الأميني المماثل وهكذا..،وعندنا بروتين مثل بروتين الكولاجين سلسلته تتكون من ١٠٥٥ حمض أميني، إذن الاحتمالية لتخليق بروتين الكولاجين بالصدفة تصبح ١٠ أس ٥٢٧، والأمر لن يتوقف عند ذلك فلابد أن تكون السلسلة عسراء – لأنه الاختيار الوحيد الذي يسمح بالشكل الثلاثي الأبعاد للبروتين بعد ذلك في مرحلة الطي – وهنا يصبح الاحتمال ١٠ أس ٥٢٧ مضروبا في ٢ ليصبح ١٠أس ١٠٥٤، وهذا هو الجنون الرياضي..،فاحتمالية الشيء إذا زادت على ١٠ أس ٥٠ فإنها تساوي الصفر رياضيًا...، وجميع الذرات في الكون هي ١٠ أُس ٨٠ ذرة...، ومضى على الانفجار الكبير ١٠أُس١٧ ثانية...، وهذا يعني أن ١٠ أُس ١٠٥٤ هي الجنون بعينه، وهذه هي احتمالية تكوين بروتين واحد مع أن أبسط الكائنات الحية على الإطلاق به آلاف البروتينات المُتخصصة...!!

كل هذه الأمور تجعل من الصُدفة مجرد لغو فارغ ، ولذا يقول [ويليام ستوكس] العالم الدارويني " لو أحضرنا مليارات الكواكب مثل كوكب الأرض وامتلأت كل هذه الكواكب عن

آخرها بالأحماض الأمينية، وانتظرنا عليها مليارات السنين فلن نحصل على بروتين واحد"[١].

الدليل الثامن عشر: طيَّات البروتين لا يوجد مبرر مادي لها وهي أصل الحيـاة...

بعد أن يتشكل البروتين يقوم بمجموعة من الحركات البلهوانية ويدخل في طيَّـات و التواءات وانحناءات كثيرة للغاية Protein Folding حتى يُحقق الوظيفة المطلوبة منه...، ولا يوجد في النهاية إلا شكل محدد بالضبط وإلا فقد البروتين وظيفته..، ويقوم البروتين بملايين الطيات للوصول في النهاية للطيَّة الصحيحة كل هذا في جزء من مليون جزء من الثانية..، وبعد أن يأخذ شكل الطية المناسبة يقوم بوظيفته المحددة...، فعلى سبيل المثال الزوايا والشقوق في طيات أي إنزيم هضم ـ وهو أحد البروتينات ـ يمكنها أن تحتجز جزيئات النشا ثم تقترب بعد ذلك الكيماويات التي تحللها إلى سكر..، وبالمثل تكمن البكتريا والفيروسات بقوة في ثنايا وطيّات الأجسام المضادة التي تمسكها بإحكام..، ولو تأخر البروتين لجزء من ألف جزء من الثانية أثناء الطي فإن سلسلته الطويلة ستلتصق على نفسها ويتوقف عن العمل..، واحتمالية الأشكال التي تظهر بعد الطي لا نهاية لها، ولو خرج البروتين بشكل واحد مخالف للشكل المطلوب سيتوقف عن العمل..،هذه رقصة بيولوجية مذهلة للعقل تتم داخل كل خلية حية مجهرية في كل لحظة، وهذه الطيَّـات لا معنى مادي لها، ومع ذلك هي أصل الحيـاة وبدونها يفقد البروتين وظيفته.

الدليل التاسع عشر: خُرافـات الداروينية المُضحكة..!!

تفترض الداروينية أن البقرة يجب أن تتحول إلى حوت حيث التصقت أرجلها الخلفية يومـاً ما وارتفع أنفها إلى أعلى وعامت تحت الماء...، طبقا لبرلنسكي عالم الرياضيات الشهير فإنه عندما تقرر البقرة أن تتحول إلى حوت فإنها بحاجة إلى ٥٠ ألف تغير جسدي بها، يتبعها ٥٠ ألف تغير في الجينـات ولا بد أن تكون هذا التغيرات متزامنه، ولابد أيضًا من وجود ملايين الكائنات المشوهة الوسيطة في كل تغير، والنتيجة التي نعرفها جميعًا أنه لا وجود لهذه الكائنات الوسيطة وفي النهاية يبقى السؤال مَن هو الموجِّه لهذا التغير..!!

أيضاً تفترض الداروينية أن بعض صغـار الزواحف بدأت تلعق عرق الأُم لتلطيف جسمها

---

(١) The Origin Of Species Revisited. W.R.Bird P.305.

وفجأة تحول هذا العرق إلى لبن..، وهذا مستحيل لأنه ببساطة لبن الأم به تعقيد غير قابل للاختزال فاللبن موجود منذ البدء بعنايـة وتركيز معين حسب عُمر الجنين، وضبط مُعين دقيق للأجسام المناعية، وكمية البروتين..!!

أيضاً تفترض الداروينية أن بعض الديناصورات حاولت أن تقفز من الأشجار العالية، ومع الوقت ومع تكرار القفز تحولت أرجلها الأمامية إلى أجنحة وطارت في السماء وصارت عصافير جميلة...فيما يُعرف بنظرية dino-bird theory.

هذا الكلام علينـا تصديقه، والتسليم بصحته، باسم الداروينية..!!

الدليل العشرون : انهيـار الداروينية يعني انهيـار منظومة الإلحـاد ككل.. ولذا فهي الحل الأوحد والأخير.. وهذا لا يعني إطلاقاً أنها الحل الصحيح!!

إمـا أن المخلوقات خُلقت خلقًا مباشرا أو تطورت من بعضهـا البعض لا يوجد بديل ثالث..!!

إذا سقط التطور سقط الإلحـاد

إذا سقط التطور انتهت اللعبة

إمـا تطور وإمـا خلق مباشر..!!

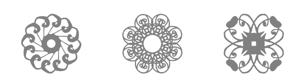
بعض الداروينيين يعترفون أنهم يتمسكون بالداروينية لأنها الحل الأوحد ماديـاً....، لكن هذا لا يعني إطلاقـًا صحة النظرية ولا يضيف لها دليلاً..!!

يقول [فيليب جونسون] Phillip E. Johnson أُستاذ القانون بجامعة كاليفورنيا والملحد سابقًا إن: "العلماء يتمسكون بالداروينية على الرغم من هشاشة الفكرة خوفًا على وجاهتهم ومستقبلهم الوظيفي، ولن ينالوا دعمًا لبحوثهم وسيصبحون عُرضة للطرد، أيضا مشكلة أيديولوجية كبرى فالعلماء عندما يقولون الداروينية غير صحيحة إذن ما هو الصحيح في تفسير نشأة الحياة؟ ... هم يتمسكون بنظرية خاطئة، إذا كان البديل عدم وجود نظرية أُخرى وهذا بالضبط الحاصل الآن".

ورسميـاً يتم طرد أي عالم بيولوجي غربي.. أو يقل الدعم لأبحاثه إذا قام بالتشكيك في

الداروينية.. إنه الإرهـاب باسم العلم.. وتم عمل فيلم المطرودون الوثائقي الذي يروي معـاناة عشرات العلماء من المُشككين في الداروينية.. والفيلم مُترجم كاملاً على هذا الرابط..!![1].

وفي عام ٢٠٠١ تم تأسيس موقع www.dissentfromdarwin.org لينشر فيه العلماء المشككون في الداروينية آراءهم، ورسميًا وصل عددهم حاليـا للآلاف، منهم [وليام ديمبسكي] الحاصل على تسع شهادات جامعية، و [جوناثان ويلز] العالم البيولوجي الشهير والملحد سابقًا، و [ديفيد بيرلنسكي] عالم الرياضيات اللاأدري، وغيرهم الكثير..!!



(1) http://www.youtube.com/watch?v=9vOVUG7uEao.

الجرعة الثالثة والأربعون

الأجيال المسروقة

Stolen Generations

في ١٣ فبراير عام ٢٠٠٨ خرج رئيس وزراء أستراليا كيفين رود Kevin Rudd أمام الملأ وأعلن رسمياً أمام البرلمان الأسترالي أنه يعتذر أشد الاعتذار للأجيال المسروقة وقال : "عذراً للأجيال المسروقة.. عذراً للألم.. عذراً للجراح عذراً لجميع الأجيال المسروقة "[1].

لكن مَن هم الأجيال المسروقة Stolen Generations؟

الأجيال المسروقة هو مصطلح غيرُ موجودٍ ككلمة مُركبة في أي لُغة من لغات العالم إلا في اللغة الإنجليزية، يصف هذا المصطلح عملية سرقة حوالي ربع مليون طفل من أبناء أستراليا الأصليين على يد الحكومة الأسترالية الإنجليزية وبإقرار واحترام البرلمان الأسترالي الديموقراطي الإنجليزي، وبدأت العملية عام ١٨٧٠ وانتهت عام ١٩٧٠.

الأرقام تتراوح بين ١٠٠ ألف طفل و٣٠٣ ألف طفل..، حيث تمت سرقة الأطفال من أمهاتهم ولن يرونهم مرةً أخرى طبقا لقانون أصدره البرلمان الأسترالي the Aborigines Protection Act، ويحق طبقاً لهذا القانون لكل أبيضَ أن يسرق أيَّ طفلٍ من أبناء أستراليا الأصليين بالإكراه، فسرقة الأطفال كانت سرقة رسمية وقانونية طبقاً للدستور الأسترالي ووفق اللوائح الديموقراطية وبموافقة البرلمان.

ظلت عملية السرقة المدهشة والمرعبة تلك حوالي مائة عام من عام ١٨٧٠ إلى عام ١٩٧٠ سُرق خلالها حوالي ربع مليون طفل..

بعدما تتم سرقة الأطفال من ذويهم كان الأطفال البيض البشرة يودعون في مؤسسات تبَنّي، بينما يودَعُ الأطفالُ السودُ البشرةِ في ملاجيء بهدف استخدامهم لاحقاً في أعمال شاقة وكعينات بحثية، وعندما تزداد الحاجة للأيدي العاملة كان يتمُّ صبغُ الأطفال البيض بالفحم

(1) http://www.news.com.au/national/pm-moves-to-heal-the-nation/story-e6frfkw9-1111115539560.

ليصبح لونهم أسود، وبالتالي يتم توفير أيدي عاملة بأعداد كبيرة [١]..

في أستراليا وفي المنطقة الشمالية من تلك القارة الحالمة المكتظة بالثروات أُنشِئت مدينة داروين تيمناً بالعالم البريطاني صاحب نظرية النشوء والارتقاء تشارليز داروين[٢]. .

وفي تلك المدينة وغيرها جرت أكبر المهازل بخصوص سرقة الأطفال، وظل الأمر بهذه البشاعة حتى عام ١٩٧٠ حيث خرجت الحركات الكبرى التي تنادي بعنصرية قانون سرقة الأجيال، وفي عام ١٩٩٤ بدأت الحركات تنادي بضرورة عودة الأجيال المسروقة إلى بيوتهم وظهرت مؤتمرات العودة (Going Home Conferences)[٣].

في عام ١٩٩٥ قرر النائب العام بأستراليا بحق العودة والانفصال للأجيال المسروقة عن المستعمر الأبيض طبقًا لقانون حقوق الإنسان، وفي مايو من عام ١٩٩٧ قدم البرلمان الأسترالي اعتذاره الرسمي للأجيال المسروقة، وموافقته على حق العودة للأجيال المسروقة، وقدمت الحكومة رسميًا اعتذارًا كاملاً عن كل ممارسات الأجداد البيض عام ١٩٩٩، وتضمن الاعتذار مزايا للباقين من الأجيال المسروقة.

حالياً أي شخص باقٍ من ضحايا هذه الجريمة البشعة يتلقى ٥٠٠ ألف دولار كتعويض من قِبل الحكومة الإسترالية فمثلاً Bruce Trevorrow أحد المسروقين حصل في عام ١٩٩٨ على نصف مليون دولار تعويض من الحكومة الأسترالية، مقابل كونه أحد ضحايا قانون الأجيال المسروقة، حيث يقول إن معاقرته للكحوليات والاكتئاب وعدم استطاعته العمل كل هذه الأمور كانت من جراء تعرضه لقانون الأجيال المسروقة[٤]. .

لكن كيف جرى ذلك باسم الديموقراطية؟؟ كيف يحق للبيض إبادة وسرقة كل هذه الأجيال من السود ومن سكان أستراليا الأصليين؟ كيف برروا لأنفسهم كل هذه الجرائم البشعة؟

قال رئيس وزراء تاسمانيا Tasmania –أحد جزر أستراليا – جيمس برنارد James

---

(1) Philadelphia Daily News, 28 April 1997.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/City_of_Darwin.

(3) http://centralstolengens.org.au/.

(4) http://news.bbc.co.uk/2/hi/6937222.stm.

Barnard قال عام ١٨٩٠ ما يلي :- "عملية إبادة السكان الأصليين تجري طبقاً لقانون النشوء والارتقاء والبقاء للأنسب"[١]..

فطبقاً لداروين فإن الجنس الأبيض هو الجنس المُختـار favoured race بينما الأفارقة والآسيويون في ذيل الأجناس البشرية، وسيخسرون معركة البقاء مع الجنس الأبيض ثم يختفون للأبد..، يقول داروين بالحرف في كتابه نشأة الإنسان ص ١٧٨ ما يلي : "في المستقبل القريب ستقوم الأجناس البشرية الأكثر تقدمـاً بإبادة الأجناس البدائية والحلول بدلاً عنهـا... سينتهى القردة البشريون anthropomorphous apes للأبد هذا مما لا شك فيه – يقصد بمصطلح القردة البشريون الزنوج والسكان الأصليين للقارات المُستعمرة"[٢].

لقد وضع داروين السُود وسكان أستراليا الأصليين والغوريلات في سلةٍ واحدة!

اعتقد داروين أن السُـود والقبائل وسكان أستراليا الأصليين يُشكلون بعض الحلقات المفقودة في سلسلة النشوء والارتقاء..، لم يكن يؤمن داروين أن هؤلاء بشر..!! وبالفعل تم الحصول على مجموعات من سكان أستراليا الأصليين وعرضهم في المتاحف الإسترالية واعتبرهم المتحف الوطني الإسترالي أنواعاً من الحيوانات الإسترالية[٣]. .

لقد عُومل السكان الأصليون للقارات المُستعمرة كحيوانات التجارب لقد ظل معهد سميثسونيان بواشنطون دي سي The Smithsonian Institute يعرض ١٥ ألف نسمة من الأجناس البشرية الأدنى كما تم نقل ١٠٠٠ نسمة من سكان أستراليا الأصليين إلى المتحف البريطاني بهدف معرفة هل هؤلاء هم الحلقة المفقودة في طريق تطور الحيوان إلى إنسان أم لا[٤].

---

(1) Charles Darwin, The Descent of Man, 2nd edition, New York, A L. Burt Co., 1874, p. 178.

(2) Charles Darwin, The Descent of Man, 2nd edition, New York, A L. Burt Co., 1874, p. 178.

(3) D. Monaghan, The Body-Snatchers, The Bulletin, pp. 30–38, 12 November 1991.

(4) http://www.si.edu/http://en.wikipedia.org/wiki/Minik_Wallace.

لقد استخدموا السكان الأصليين كعينات بحثية وتمت إبادة وذبح بعضهم لهذا الغرض، يقول مثلاً عمدة مدينة باون Bowen كيراه ويلز Korah Wills يقول في مذكرات الوفيات إنه خلال الستينيات من القرن التاسع عشر كان يقوم بذبح قبائل أستراليا الأصليين لتوفير عينات للبحث العلمي.

إدوارد رامسي Edward Ramsay أمين المتحف الإسترالي بسيدني لمدة ٢٠ سنة منذ عام ١٨٧٤ -١٨٩٤ وصف سكان أستراليا الأصليين في كتيب التعريف بالمتحف على أنهم حيوانات إسترالية.

عالمة التطور الألمانية الشهيرة Amalie Dietrich والمعروفة باسم ملاك الموت الأسود جاءت إلى أستراليا وطلبت من حُكـام الأقاليم إطلاق النار على سكان أستراليا الأصليين لأنها بحاجة إلى عينات منهم للدراسة، وبالفعل عادت بعد فترة قصيرة إلى وطنها بالعينات[١]. .

يعتبر داروين أنه لا فائدة من تلقيح السود، فهم بجلاء وبلا أمل سيختفون مع الوقت، يقول داروين في كتابه نشأة الإنسان ص ١٧١ ما يلي :- "بخصوص السكـان الأصليين فإنهم ضِعـاف في البدن والعقل، نحن الرجال المتحضرين في المقابل نحافظ على أنفسنا من الأمراض ونتلقى اللقاحات التى حفظت الآلاف منـــا "[٢]..

يقول عالم الطبيعيات الأمريكي الدارويني الشهير Henry Fairfield Osborn في مقال له تحت عنوان تطور الأجناس البشرية : "مستوى الذكاء لدى السود البالغين لا يعدو أن يكون بمستوى ذكاء طفل أبيض لم يتجاوز ١١ سنة"[٣].

في كتابه Ever Since Darwin أوضح ستيفن جولد أن الداروينيين أثبتوا مراراً وتكراراً أن بعض الأجناس البشرية في مرتبة أقل من الأجناس الأخرى، يقول جولد : "أثبت هيجل ورفاقه أن الإنسان الأبيض هو السلالة المُختـارة داروينيـًا، لقد وظّف هيجل ورفاقه علوم التشريح

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Amalie_Dietrich.

(2) Charles Darwin, The Descent of Man, 2nd edition, New York, A L. Burt Co., 1874, p. 171.

(3) http://en.wikipedia.org/wiki/Henry_Fairfield_Osborn.

والسلوك من أجل هذا الغرض لقد استخدموا كل ما بوسعهم لإثبات ذلك"(١)..

يقول الدكتور الفرنسي Etienne Serres إن الذكور السود في مرتبة أقل من الذكر الأبيض لأن مكان السُرة في مستوى أقل من ذلك لدى الرجل الأبيض، بل ووصل السخف ببعض علمائهم إلى الزعم بأن القمل الذي ينمو على شعر الرجل الأسود يختلف عن نوعية القمل الذي ينمو على شعر الرجل الأبيض(٢). .

بل لقد وصل الأمر ببعضهم إلى حد منع الزواج بين السود والبيض لأن هذا ضار داروينيا.. يقول Madison Grant

مؤلف كتاب The Passing of the Great Race والمنشور عام ١٩١٦ كتب يقول ": السماح بالزواج المختلط بين الأجناس البشرية سيفتح الباب واسعا أمام ظهور أجناس بدائية وفي مرتبة داروينية سُفلى". لقد أراد عمليا أن يمنع زواج البيض من السود. (٣)..

كتب الدارويني الشهير روسدن H. K. Rusden عن سكان القارات الأصليين عام ١٨٧٦ كتب يقول: "إننا فقط نستشهد بقانون الطبيعة الذي لا يرحم، وعندما نقوم بإبادة سُكان أستراليا ونيوزيلندة الأصليين فنحن فقط نقوم بما تُلزمنا به الطبيعة والطبيعة لا تعرف الرحمة أو الشفقة"(٤).

لقد تمت إقامة المذابح في كل القارة الإسترالية، وقدموا للسكان الأصليين الخبز المسموم، وبالفعل فقد اختفت مستعمرات السكان الأصليين من الوجود خلال ٥٠ سنة، كان الغرب الاستعماري يقبل نظرية داروين ليس لكونها صحيحة بل لرغبتهم في أن تكون صحيحة، يقول عالم الإنسانيات الهندي Lalita Vidyarthi: "نظرية داروين والتي تقول بالبقاء للأقوى

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Stephen_Jay_Gould.

(2) Thomas Gossett, Race: The History of an Idea in America, Dallas: Southern Methodist University Press, 1963, p.81.

(3) http://en.wikipedia.org/wiki/Madison_Grant.

(4) http://adbonline.anu.edu.au/biogs/A060084b.htm.

كان مُرحبًا بها بشدة في تلك الأيام، وخاصةً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر -عصر العنصرية الشهير-، وكانت تلقى قبولاً متزايداً ؛ وكانت العنصرية مقبولة كحقيقة طبقاً لأغلبية علماء الاجتماع الغربيين"(١). .

وبالفعل فقد صدقت نبوءة آدم سدجويك Adam Sedgwick الصديق الشخصي لداروين الذي قال بعد اطلاعه على كتاب أصل الأنواع لتشارلز داروين: "إذا لقي هذا الكتاب قبولاً لدى الرأي العام فإنه سيجلب للبشرية مذابح لم يسبق للبشرية أن شهدت مثلها"(٢).

جرت كل هذه الجرائم باسم الداروينية، واندس خلف الداروينية كل اللصوص والخبثاء والمستعمرين، ووجدوا فيها مبرراً لجرائمهم الوضيعة، فكان كل شيء يجري بمنتهى الديموقراطية والحياد، وبالفعل تم تفريغ قارات بأكملها من سكانها الأصليين ولم يحدث ذلك إلا في وسط إلحادي وبتبرير دارويني وبدعم مادي لا يرحم!

لكن هل انتهت القضية بحركات العودة وباعتذار الغرب؟؟ للأسف الشديد هذه كانت فقط قشور فبعد عام ١٩٧٠ وبعد انتهاء العمل بقانون سرقة الأطفال ظهر كتاب قوس الجرس The Bell Curve في سبيعينيات القرن الماضي - أي بعد توقف العمل بقانون سرقة الأطفال -، وحقق الكتاب أرقام مبيعات قياسية لم يسبق لها مثيل، وصار أشهر الكتب مبيعاً على الإطلاق، وخلاصة الكتاب أنه علمياً لا جدوى من تعليم السود أو تطبيق قوانين النظافة عليهم، فالسود بطبيعتهم البيولوجية وطبقاً للتطور الدارويني في مرحلة أدنى بكثير من البيض، والكتاب يؤسس علمياً وبيولوجياً لكون الذكاء مرتبطا بالأجناس(٣).

الآن أيها الملحد الدارويني... تخيل أنك نشأت كابن لأحد سكان أستراليا الأصليين هل تستطيع من منظور دارويني أن تدافع عن نفسك أو أن تُبرهن على المساواة بين البشر؟

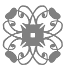
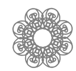
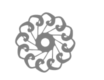
---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/L._P._Vidyarthi.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Adam_Sedgwick.

(3) http://en.wikipedia.org/wiki/The_Bell_Curve.

فالمساواةُ بين البشر ممكنةٌ فقط إذا كان الإنسان مخلوقاً لله، فالمساواة بين البشر هي خصوصيةٌ أخلاقية وليست حقيقةً طبيعية أو مادية أو عقلية، فالمساواة بين البشر هي مسألةٌ ميتافيزيقية بحتة، فإذا لم يكن الله موجوداً فالناس بجلاء وبلا أمل غير متساوين، وتأسيساً على الدين فقط يستطيع الضعفاء المطالبة بالمساواة.

الجرعة الرابعة والأربعون

العنصرية القومية

إذا أردنا أن نسأل التاريخ كيف كان شكل البلدان التي حكمها تطوريون؛ فإن أنهار الدماء ستكون أسبق من الإجابة...

فمن الملحد التطوري فلاديمير لينين إلى الملحد التطوري جوزيف ستالين إلى المادي التطوري أدولف هتلر إلى الملحد التطوري بول بوت إلى الملحد التطوري ماو تسي تونج إلى الملحد التطوري سلوبودان ميلوسوفيتش تاريخ طويل عنوانه الإبادة الشمولية باسم الأعراق القومية بمنظورها التطوري المادي الفج!

فحين وصل الملحد التطوري سلوبودان ميلوسوفيتش Slobodan Milošević إلى رئاسة صربيا أذاق المسلمين الويلات وأباد قرى مسلمة بأكلمها، وأحرق أكباد المسلمين بطول العالم وعرضه في التسعينيات من القرن الماضي، وأرّق كل المصلحين وأذاب عقول أهل البوسنة، وجعل من هتك الأعراض وإهلاك الحرث والنسل غاية في حياته.

هامش: سلوبودان ميلوسوفيتش ملحد تطوري رسميًّا باعترافه، ولم يحضر أي رجل دين مراسم دفنه بسبب إلحاده!

There were no clergy at the ceremony because Milosevic was an avowed atheist.

http://www.cbc.ca/news/world/milosevic-buried-in-quiet-ceremony-in-his-hometown-1.571728[1].

وهو متهم رسميًّا بجرائم ضد الإنسانية وجريمة الإبادة الجماعية للمسلمين[٢].

وكانت لائحة اتهام ميلوسوفيتش تنص على أنه كان يريد التأسيس لدولة قومية وهي: صربيا الكبرى 'Greater Serbia' وبالتالي إبادة كل الأقليات والأثنيات والأعراق في منطقة

---

(1) CBC. 18 March 2006

(2) http://news.bbc.co.uk/2/hi/europe/1672414.stm.

البلقان.

والفكرة القومية هي فكرة تطورية في محتواها فهي تقوم على الجنس الأفضل والنقاء العرقي، بينما قوام الديانات على التعاون بين الأمم والقبائل المتنوعة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات:١٣].

ثم إن الأمور الذاتية في الإنسان –الخلقة الإلهية– مثل اللون والصحة والجنس والعِرق وغيره، هذه الأمور التي يقوم الإلحاد بتصنيف البشر خلالها وإعطاء هؤلاء البشر صك الحياة أو صك الحلقة المفقودة أو صك القضاء عليهم بحجة الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح، هذه الأمور الذاتية يؤكد الإسلام –أو الدين عمومًا– منذ البدء بعدم جواز حتى السخرية من الآخر كائنًا مَن كان فضلاً عن إبادته وتدميره للسماح بتنقية جنس ما عرقيًّا، وتطهير منطقة ما برؤية إلحادية، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات:١١].

وقال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–: «**يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوي**».

وقال ﷺ: «**ابغوني الضُّعَفاءَ، فإنما تُرزقون و تُنصَرون بضُعفائِكم**»(١).

وهنا يكمن الفرق بين الكهنوت الإلحادي الإجرامي والدين الذي يؤسس لفضيلة الرحمة بين البشر.

وفي ١٩ نوفمبر ١٩٨٨ وفي كلمته في بلغراد أعلن سلوبودان أن صربيا تواجه أعداء من الداخل والخارج –ويقصد بهم طبعًا الأقليات والأعراق التي سيقرر إزالتها في مرحلة لاحقة–

(١) صحيح الجامع.

.[١]

إذن المطلوب بناءًا على التصريح السابق: اختفاء المسلمين والقوميات الأخرى للأبد، وإلا فالإبادة في الطريق!

ولم يُفرق المجرم بين الرجال والأطفال والنساء، فالإبادة الإلحادية بمنظورها التطوري لا ترى للبشر قيمة ولا لوجودهم غاية، ففي ١٢ أبريل ١٩٩٣ احتل المجرمون الصرب مدرسة ابتدائية في سربنيتشا وقتلوا فيها ٦٢ طفل مسلم[٢].

وفي فترة حكم سلوبودان ميلوسوفيتش قام **الملحد التطوري راتكو ميلاديتش** Ratko Mladić بتنفيذ

مجزرة سربنيتشا Srebrenica massacre.

هامش: راتكو ميلاديتش كان ملحدًا تطوريًّا[٣].

حيث قام راتكو ميلاديتش بقتل ٨٠٠٠ مسلم بوسني في محيط مدينة سربنيتشا في يوليو من عام ١٩٩٥ بهدف التصفية العرقية والإبادة الجماعية، بحجة البقاء للأصلح والقومية الصربية[٤].

وقد ظل المجرم الملحد راتكو ميلاديتش يعمل في المسلمين القتل والذبح لأيام تحت بصر العالم وسمعه.

وبعد أن قتل المجرم الملحد ميلاديتش الرجال والأطفال والنساء وأحرق الشوارع، بغية تطهير عرقي شمولي عاقبته المحكمة الجنائية الدولية بتهمة الإبادة الجماعية والتحريض على

---

(1) Ramet, Sabrina P. (2006). The Three Yugoslavias: State-Building and Legitimation, 1918–2005. p.119.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Srebrenica_Children_Massacre.

http://www.icty.org/x/cases/oric/trans/en/050713ED.htm.

(3) http://biography.yourdictionary.com/ratko-mladic.

(4) http://www.potocarimc.ba/_ba/liste/nestali_a.php.

التصفية العرقية وجرائم ضد الإنسانية وتم اعتقاله في ٢٦ مايو ٢٠١١[1].

في واقع الأمر فإن ما قام به سلوبودان ميلوسوفيتش وراتكو ميلاديتش يمكن استيعابه في إطار الرؤية التطورية الداروينية للوجود الإنساني، حيث يصبح البقاء للأصلح منظومة بيولوجية حتمية، ويصبح باستخدام السلاح والمجازر والإبادات الشمولية من الممكن تسهيل عملية الانتخاب الطبيعي والتسريع بها، وتصبح كل القوميات التي سادت العالم حقائق بيولوجية لا سبيل لرفضها.

ومن أجل ذلك نقرر أن بذرة نشأة إنسان يعتنق التطور ووصوله للحكم هي بذرة نشأة ميلوسوفيتش جديد ورادكو ميلادتيش جديد!

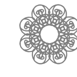
وسينادي التطوري المصري بالقومية الفرعونية حتى يتاح له في مرحلة لاحقة إفناء المسلمين واستئصال شأفتهم.

وسينادي التطوري الجزائري بالقومية الأمازيغية حتى يثير الأحقاد ويخرج الضغائن ويهلك البلاد!

وستظهر قوميات في كل مكان، وعندنا أعداد من الأغرار والمغيبين والسذج والعاطلين ما تكفي تمامًا لملء أي حشد ولتضخيم أية فكرة ولمتابعة أية دعوى مهما كانت هذه الدعوى حقيرة أو إرهابية أو شاذة، والشباب الصغار يغريهم الشاذ ويتلقفون الغريب ويهتمون بالخارج عن النسق.

ودعوى التطور ستفكك المجتمع إلى قوميات وتغذي الصراعات بين هذه القوميات، فالصراع هو أصل رؤية التطور للوجود ولظهور الكائنات، وهو شرط لكل حركة، والذي ينظر للبشر بهذه النظرة ستكون عنده بحور الدم أمر بديهي يجب زيادة روافده.

وهل جرت بحور الدم على يد رجل أكثر مما جرت على يد **أدولف هتلر** Adolf Hitler؟

---

(1) http://www.newsweek.com/crimes-against-humanity-151215.

الجرعة الخامسة والأربعون

الانتهازية المادية التطورية

كان هتلر تطوريًّا فجًّا؛ فقد كتب آلان بولوك Bullock – وهو أشهر مؤرخي الحقبة النازية –كتب يقول: " كان هتلر ماديًّا قاسيًا وكان يرى أن المسيحية تقف في وجه قوانين الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح".

Bullock wrote that Hitler was a rationalist and materialist, who saw Christianity as a religion "fit for slaves", and against the natural law of selection and survival of the fittest(1).

حارب هتلر من أجل الانتخاب الطبيعي، وحـاول أن يجعل منه أيديولوجيـة ألمـانيا في القرون العشرة القادمة – الرايخ الثالث –، ومن أجل هذا المبدأ قام هتلر بتأسيس فرقة إبادة الأقليات Einsatzgruppen، حيث تتم إبادة الأقليات عديمة الجدوى في ألمانيا، وكان يتم تجريد الضحايا من أية أدوات نافعة مثل حشوات الأسنان الذهبية، ثم يقوم الضحايا بحفر القبور بأيديهم ثم يُقتلون وهم واقفون في وسط القبر بمنتهى الترشيـد والعقلانيـة المادية العلمانية.

وفي ١٤ يوليو ١٩٣٣ أصدر هتلر قراراً بتعقيم ٤٠٠ ألف شاب عن طريق تمريرهم على ترددات عالية من أشعة إكس، حتى يفقدوا القُدرة على الإنجـاب، فهؤلاء الشباب كانوا مصابين بأمراض نفسية، وعُصابية كثيرة ربمـا تضر الأجنة.

وهنا يظن كثيرٌ من العرب أن مشكلة هتلر كانت مع اليهود، وهذا خطأ جوهري في استيعاب رؤيته للإنسـان والإنسانية.. كان هتلر يرى أن الألمان هم أرقى الأجناس، وأن اليهود أحد الأقليات التي تؤثِر على نقاء العِرق الألماني النقي –رؤية داروينية–، لكنهم ليسوا الوحيدين في الصورة فهناك الكثير من الأعراق التي اختلطت بالألمان، ولذا لم يقم هتلر بإبادة اليهود فقط، وإنما أباد السلافيين والغجر والأقزام والمعاقين وأصحاب الأمراض النفسية وأصحاب الأمراض المزمنة، وعدم شهرة هذه الأقليات بسبب عدم وجود لوبي غربي يطالب بحقوقهم

(1) Alan Bullock; Hitler, a Study in Tyranny; HarperPerennial Edition 1991; p219.

بعكس الحال مع اليهود!

وبذلك أصبح هتلر من أوائل الذين يقومون بتطبيق الانتخاب الطبيعي عمليـًّا، ومن أوائل الشخصيـات التي استوعبت الداروينية بصورتهـا الحقيقية[١].

ولذا يمكن اعتبار معسكرات الاعتقال النازية، حيث يتم إحراق كل الأقليات والأثنيات، هي أول مراكز الانتخاب الطبيعي التي يؤسِّس لها الإنسان المعاصر الهوموسابين homo-sapiens، حيث يُحرق في هذه المراكز عديمي النفع على حد تعبير هتلر حين قام باحتلال بولندا، وبالفعل تم رسميًّا قتل ٣,٥ مليون بولندي لهذا السبب.

كان هتلر بنموذجه النازي الصورة المثالية للمادية العلمانية التي دعت لها نظرية الانتخاب الطبيعي.

وقام هتلر بتقرير مشروع T4، وهو المختص بعمليات القتل الرحيم Euthenesia، أو القتل العقلاني حيث يتم التخلص من المعاقين، وأصحاب الأمراض النفسية، وأصحاب الأمراض المزمنة، عن طريق القتل المباشر.

وقام الدكتور [بوخنوالد] bboukhnouald، بعمل تجارب طبية على المعتقلين، مثل تعريضهم لغُرف تفريغ الهواء، لمعرفة كم يستطيع الإنسان أن يمكث حتى يموت، وتعريضهم لغازات سامة لمعرفة مدى فاعليتها والتركيزات المطلوبة، والقيام بعمليات جراحية بدون تخدير لمعرفة درجات الألم ومسارات الأعصاب، وقد وفَّرت الفترة النازية كمية عملاقة من المعلومات الطبية في كافة المجالات.

وكان الدكتور [راشر] يُعرِّض مرضاه للتجميد لمعرفة الفترة التي بعدها يموت الإنسان، ودرجة التجمد الكافية للموت، وكان أُسلوب العمل هو تجميد السجناء تدريجيًّا مع متابعة النبض والتنفس والحرارة وضغط الدم، بانتظام وقد مات أغلب من تمت التجارب عليهم، والباقون أُصيبوا بلوثات عقلية وتمت إبادتهم بعد ذلك.

وكما قال [بريمو ليفي] Primo Levi، فإن ألمانيا النازية هي المكان الوحيد، الذي كان

---

(١) http://en.wikipedia.org/wiki/Untermensch.

بوسع العلماء أن يدرسوا فيه جُثتي توأمين قُتلا في نفس اللحظة[١].

كماأُجريت في ألمانيا النازية تجارب زرع الغرغرينة في الجروح، والحقن بالميكروبات، لمعرفة الأسرع فتكًا[٢].

لقد كان أدولف هتلر ماديًّا، يؤمن بمقررات الداروينية، والانتخاب الطبيعي، والبقاء للأصلح، وقامت الحرب العالمية الثانية التي راح ضحيتها ٥٠ مليون نسمة، من أجل تطبيق هذه الفكرة.

ومن هتلر إلى **ماو تسي تونج** Mao Zedong قائد الصين خلال الفترة من عام ١٩٤٩ حتى وفاته عام ١٩٧٦ لم تختلف الصورة كثيرًا إلا في عدد المذابح ومبرراتها المادية!

وقد قتل ماو تسي تونج ما بين عامي ١٩٤٩- ١٩٧٥ حوالي ٢٦ مليون مسلم صيني – الأتراك الأيغور–، وفي عام ١٩٦٤ نشر ماو تهديداته قائلاً : " جميع الحيوانات السُّفلية سوف تُعدم".

وبهذا كان ماو يُخرج معارضيه مِن الإنسانية وكان يعتبر كُل من وقف ضد الثورة خطأً تطوريًّا.

يقول James Revee Rusey : " بالنسبة لمـاو فإن أعداء الشعب ليسوا بشرًا وليس لهم أدنى حق بالمعاملة الإنسانية"[٣].

وماو تسي تونج يصنفه النقاد على أنه أكبر مجرم في تاريخ الجنس البشري على الإطلاق، فقد قتل من ٤٠-٧٠ مليون نسمة بسبب سياسات التجويع والعمل القسري والإعدامات والإبادة الشمولية وقتل الأثنيات والعرقيات المختلفة، وما كان ماو تسي تونج ليتيح لنفسه فعل ذلك دون رؤية تطورية مادية للوجود من حوله![٤].

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Primo_Levi.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Nazi_crimes_against_the_Polish_nation.

(3) China and Charles Darwin, James Revee Rusey, p.456.

(4) http://www.hawaii.edu/powerkills/NOTE2.HTM

وقد أعلن ماو تسي تونج في ١٦ مايو من عام ١٩٦٦ مشروع الثورة الثقافية الكبرى Great Proletarian Cultural Revolution.

وفكرة الثورة الثقافية الكبرى ليست نشر الثقافة كما يوحي العنوان وإنما العكس من ذلك تمامًا فالفكرة هي قتل المثقفين فعليًا، فالمفترض أن تبقى البلاد في ثورة دائمة وصراع مستمر – وهذه هي النظرة الداروينية لوجود الكائنات الحية على الأرض– فأراد ماو تسي تونج تطبيق ذلك عمليًّا[١].

وقد رأى كبار أعمدة الحكومة الصينية في ذلك الوقت ليو شاي تشي Liu Shaoqi ودينج زياو بينج Deng Xiaoping أن ما يفعله ماو بالشعب يوجب عزله فورًا وإعطاؤه أي منصب صوري لأنه سيُدخل البلاد على حافة الهلاك، بسبب قراراته[٢].

لكن قرارات ماو كانت أسرع من تدابير ليو ودينج، فقد أطلق ماوتسي تونج أوامره لتلاميذ المدارس وطلبة الجامعات أن يقيموا محاكم خاصة لأساتذة الجامعات والمدرسين، فسادت الفوضى في البلاد، وعم الخراب وأُقيمت المحاكم في الشوارع واضطهد الملايين بما فيهم الفيلسوف العظيم وتشن يون Chen Yuen وأُغلقت المدارس وطُلب من المثقفين أن يذهبوا إلى الريف حتى يقوم الفلاحين بتعليمهم!

أدت الثورة الثقافية إلى فوضى اجتماعية واقتصادية عارمة ودُمرت حياة الملايين، ودخلت الثورة الثقافية في كل شيء في المجتمع الصيني وأصبح الصراع على أشده داخل الأسرة الواحدة، وتصارع الإبن مع أبيه والتلميذ قتل أستاذه والمثقفين أُحيلوا إلى الريف لإعادة تأهيلهم على يد الفلاحين الأميين وقدرت الإحصاءات أن قتلى هذه المرحلة كانوا بالملايين[٣].

Modern China: The Fall and Rise of a Great Power, 1850 to the Present. Ecco Press. p. 351.

(1) Feigon, Lee (2002). Mao: A Reinterpretation. Chicago: Ivan R. Dee.

(2) Gao, Mobo (2008). The Battle for China's Past: Mao and the Cultural Revolution. London: Pluto Press.

(3) http://necrometrics.com/20c5m.htm#Mao

وقد كان ماو تسي تونج يفخر دومًا أنه قاتل العلماء، وقد قال يومًا ما في اجتماع لكوادر الحزب عام ١٩٥٨: "لقد تفوقنا على تشين شي هوانغ Qin Shi Huang –امبراطور صيني قديم اشتهر بدفن العلماء أحياء– في محاربته للعلماء والمثقفين، لقد دفن تشين شي هوانغ ٤٦٠ عالم وهم أحياء، أما انا فقد دفنت ٤٦٠٠ عالم وهم أحياء، إنكم أيها المثقفون تنسبوني باستمرار إلى تشين شي هوانغ، إنكم مخطئون! لقد تفوقت على تشين شي هوانغ بمائة ضعف".

During a speech to party cadre in 1958, Mao said he had far outdone Qin Shi Huang in his policy against intellectuals: "He buried 460 scholars alive; we have buried forty-six thousand scholars alive... You [intellectuals] revile us for being Qin Shi Huangs. You are wrong. We have surpassed Qin Shi Huang a hundredfold[1].

إن هذا النمط من الصراع التطوري الذي لا يرحم يستحيل تطبيقه على الإنسان فالإنسان له شخصيته المستقلة، وهو لا يسير في هذا العالم كابن للطبيعة بل كمغترب عنها، فالإنسان ضد القولبة والتشكيل والتسوية العامة التي يفرضها نمط الرؤية الإلحادية للإنسان.

فالإنسان سيظل يبحث عن الحُرية والشخصية المستقلة والفردية ولو على حساب المُتع واللذات ؛لأنه وساعتها فقط سيشعر أنه إنسان، فالحرية الشخصية والمسئولية الفردية هما أهم سمات الإنسان، وهما مناط تكليف الإنسان على الأرض..، فإما أن يكون الإنسان إنساناً حُـرًّا مؤاخذًا أو لا إنسان مسير تحكمه حتميات مادية فجة بلا معيارية ولا معنى!

وربما لولا إصلاحات ليو شاي تشي Liu Shaoqi ودينج زياو بينج Deng Xiaoping لما وصلت الصين إلى ما وصلت إليه الآن، ولأصبحت حقبة ماو تسي تونج نهاية فعلية للصين، ومن عجيب ما يُذكر أن هذا الأخير دينج زياو بينج Deng Xiaoping كان يحاول إصلاح ما يفسده ماو أولاً باول قدر الإمكان، وكان يرفض الرؤية الحتمية التطورية الدوغمائية التي يتبناها

---

(1) Mao Zedong sixiang wan sui! (1969), p. 195. Referenced in Governing China: From Revolution to Reform (Second Edition) by Kenneth Lieberthal. W.W. Norton & Co., 2003. p. 71.

ماو، وقال كلمته الشهيرة عام ١٩٦١: "لا يهم أن تكون القطة بيضاء أو سوداء المهم أن تصطاد الفأر".

"it doesn't matter whether a cat is black or white, if it catches mice it is a good cat"

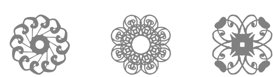
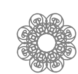
فليس مُهمًّا دوغما تطورية صارمة المهم تحقيق التقدم!

وكانت هذه العبارة صادمة لماو تسي تونج فقد جُن جنونه وطرد دينج زياو بينج ونفاه وتعقبه في كل مكان!

إلا أن دينج زياو بينج عاد للصين بعد وفاة ماو تسي تونج وقاد البلاد من عام ١٩٧٨ إلى عام ١٩٩٢ وأحدث نهضة الصين الكبرى وتجاوز جنون ماو التطوري الإقصائي وتعاطى مع الجميع وأصلح ما أفسده ماو!

هذه كانت نبذة يسيرة ولمحات قصيرة عن أيام مع الملحدين التطوريين حين أصبحت في أيديهم القوة والسلطة فأفسدوا في الأرض وأهلكوا الحرث والنسل؛ لأنهم لم يكونوا يرون للإنسان قيمة ولا لحياته غاية، وهكذا كل بعيد عن الله وعن معنى الوجود يفقد الإتجاه ويريد لو دمر كل شيء لمصلحته هو فقط ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة:٢٠٥].

فالذين نسوا الله أنساهم أنفسهم ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ ﴾ [الحشر:١٩].

الجرعة السادسة والأربعون

مأساة رواندا

قصة مؤلمة لكل مصري وسوداني!

مَن منكم يتذكر مخاوفنا في تسعينيات القرن الماضي من تسمم مياه نهر النيل بسبب مئات الآلاف من الجثث البشرية التي كانت تلقيها رواندا في النهر أثناء مجازر الإبادة الجماعية.

اليوم نحن نعلم أن سبب هذه المجازر المجنونة هو الإلحاد!

فقد قامت المجازر بين أبناء الدولة الواحدة الهوتو والتوتسي بسبب حجم الأنف، ومقدار بياض الوجه ولون العين.

ففي أعقاب الاستعمار البلجيكي –الذي احتل رواندا في نهاية الحرب العالمية الأولى خلفًا لألمانيا– تم إدخال الفكرة الداروينية الإلحادية المجنونة إلى تلك البلدة الأفريقية الفقيرة.

وتقرر طبقًا لقياسات حجم الجمجمة الذي أجراه الاستعمار البلجيكي أن التوتسي Tutsi أرقى داروينيًّا من الهوتو Hutu.

وبناءً على هذا القرار تم رسميًّا حرمان الهوتو من تلقي التعليم العالي.

وكذلك تم حرمان الهوتو من أي توظيف حكومي أو امتلاك أرض.

مع أن الهوتو يُشكلون حوالي ٨٥٪ من تعداد سكان رواندا.

كل هذا لأن حجم أنف الرجل التوتسي أطول ببعض المليمترات من حجم أنف الرجل الهوتو.

تخيل!

The size of the nose and the color of the eyes were factors that determined whether a person was classified as Hutu, Tutsi or Twa [1].

---

(1) https://www.wcl. american.edu /humright /center /rwanda /documents /Jigsaw1_ History .pdf

ونظرًا لهذا الجنون الإلحادي فقد زاد السخط من الجانبين حدةً عبر السنون.

فالكل يتحامل على الآخر والتوتسي يعتبرون أنفسهم الأرقى داروينيًّا والأحق بالسيادة.

والهوتو يعتبرون أن هذا هضم لحقوقهم كبشر فهم الأغلبية!

وتمضى المناوشات بين الطرفين عبر العقود.

إلى أن يأتي عام ١٩٩٤ لتفجر الأوضاع وتحدث أكبر مجزرة في تاريخ القارة الأفريقية مجزرة رواندا الكبرى.

تلك المجزرة التي راح ضحيتها مليون نسمة من الطرفين طبقًا للوثائق الرسمية.

وتمت إبادة ٧٠٪ من التوتسي و٢٠٪ من الهوتو.

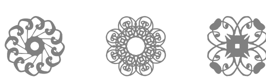
بسبب حجم الأنف!

وكان القتل للتشفي لا لمجرد القتل.

ولذا كان يتم اغتصاب النساء أيضًا لنفس السبب وقُدرت أعداد السيدات اللاتي تم اغتصابهن بربع مليون امرأة[(١)].

إن التولي عن الإيمان بالله عز وجل مصدر لكل مصيبة، فالإنسان بدون إيمان لا يرى فرقًا بين الإفساد والإعمار!

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد:٢٢].





---

(1) Tina Rosenberg, Editorial Observer; New Punishment for an Ancient War Crime , N.N. Times, 5 Apr. 1998, at § 4, 14.

الجريمة السابعة والأربعون

حديقة حيوان البشر!

Human zoo

أوضح داروين في كتابه نشأة الإنسان: أن الأعراق البشرية مجرد أنواع مختلفة من الكائنات الحية، لا يربط بينهم رابط، وبالعودة إلى الوراء فإنه يبدو من المستحيل الإشارة إلى أية نقطة محددة يتحتم عندها استخدام مصطلح الإنسان، ولكنه أمر ذو أهمية قليلة جدًّا[١].

ومن العجيب أن داروين كان يرى أن الأجناس البشرية المُختلفة التي تعيش بيننا الآن هي كائنات حية مُختلفة، وقد أقام داروين التدليل على ذلك باستخدام حجة القمل، فاختلاف نوع القمل في السكان الأصليين لبعض القارات عن القمل الذي يوجد في أوربا يؤكد اختلاف النوع بين البشر الحاملين لذلك القمل، فالأمر ليس مجرد اختلاف أعراق وإنما اختلاف أنواع.

يقول داروين : "بالفحص الدقيق للقمل الذي تم جمعه من أقطار مختلفة من الأعراق المختلفة للإنسان، وُجد أنهم لا يختلفون في اللون فحسب ولكن في التركيب الخاص بالمخالب والأطراف وفي كل مرة يتم فيها الحصول على العينات فإن الاختلافات تكون ثابتة، وعندما شرد القمل الذي كان يعيش على سكان إحدى الجزر البدائيين وانتقل إلى أجساد البحارة الإنجليز، فقد مات في خلال ثلاثة أو أربعة أيام، وكان هذا القمل داكنًا وأكبر في الحجم وأكثر ليونة من القمل الأوربي، **وهذه الحقيقة الخاصة بأن الأعراق الإنسانية يتم ابتلاؤها بالطفيليات التي يبدو أنها متباينة بشكل خاص من الممكن تقديمها كبرهان على أن الأعراق البشرية في حد ذاتها من الواجب تصنيفها على أساس أنها أنواع مختلفة ومتباينة من الكائنات الحية"**[٢].

وكان العبء المُلقى على عاتق الداروينيين فيما بعد واضحاً، ولا يحتاج التأخير فنحن بصدد البحث عن كائنات حية مُختلفة تُسمى مجازًا بشر.

---

(١) نشأة الإنسان The descent of man. تشارلس داروين. ترجمة مجدي محمود المليجي. المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٥. ص ٥٢.

(٢) المصدر السابق ص٤٠٢.

وكانت بدايات القرن العشرين ملحمة المعاناة للسود والأعراق الأفريقية والأجناس المغولية، فظهرت حدائق حيوان الإنسان، والمعارض الأثنيةethnological expositions، وفي صورة مُهينة للغاية، وعنصرية قبيحة، وداروينية فجة، كان يوصف هؤلاء البشر بأنهم حلقات في سلسلة الإنسان القرد[١].

وكانت الفترة الذهبية لحدائق حيوان البشر هي الفترة من ١٨٧٠ إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، وكانت تُعرض في حدائق حيوان البشر مجموعة واسعة من الحيوانات، وبينها توجد أقفاص تحتوي على بشر من مختلف الأجناس، وكان يوضع في الأقفاص بجانب السود الأقزام والمصابين بالبهاق ومُحدبي الظهور dwarves, albinos and hunchbacks[٢].

وكانت توجد حدائق حيوان الإنسان في باريس وهامبورج وبرشلونة وأنتيورب ولندن وميلانو ونيويورك، وفي عام ١٨٧٤ قرر الألماني Carl Hagenbeck أن يُحضر مجموعة من النوبيين من مصر باعتبارهم أحد الحيوانات التي يتم البحث عنها لملء بقية الأقفاص[٣].

-ربما لا يصدق الملحدين المصريين أن أجدادهم رسميًّا كانوا داخل أقفاص منذ أقل من قرن وربع باسم الداروينية الملحدة العنصرية الفجة القبيحة-.

وأدرت أقفاص النوبيين الدخل الوفير ل Carl Hagenbeck حيث قام بعمل جولة بهم في باريس ولندن وبرلين.

وفي عام ١٨٧٧ قرر مدير حديقة كوت Geoffroy de Saint-Hilaire وتسمى Jardin d'acclimatation تنظيم حديقتي حيوان مستقلتين **للنوبيين وأهل الإسكيمو** ووصل عدد الزوار إلى ما يقارب المليون مما أتاح مضاعفة الحديقتين إلى ٣٠ حديقة بين عامي ١٨٧٧ إلى عام ١٩١٢.

وفي عام ١٨٨٩ عرضت حديقة الحيوان العالمية في باريس ٤٠٠ شخص من السكان

---

(1)Mullan, Bob and Marvin Garry, *Zoo culture: The book about watching people watch*, Second edition, 1998, p.32.

(2)www.discoverparis.net/newsletter.html?insight=3162983825694464.

(3)http://mondediplo.com/2000/08/07humanzoo.

الأصليين، وكانت زيارات تلك الحدائق تحقق دخولاً رهيبة مما ساعد في انتشارها في أنحاء أوربا.

ومن المدهش أن حديقة حيوان كولومبيا عام ١٨٩٣ كانت تضم مصريين رسميًّا[١].

وفي عام ١٩٠٤ أُنشئت في مدينة سانت لويس بأمريكا حديقة حيوان تعرض الكثير من الفلبينيين فيما كان يُسمى بموكب التقدم الداروني التطوري parade of evolutionary progress، وكانت رسالة حديقة الحيوان واضحة للزوار وهي تبرير عبء الرجل الأبيض، في استعمار العالم وأخذ ثروات هؤلاء البدائيين الذين لا يعرفون قيمتها.

وكانت الأقزام من غينيا الجديدة تُعرض في قسم الثدييات الرئيسية في حديقة حيوان برونكس.

The Primate section of the Bronx Zoo[2].

وفي أحيان كثيرة كانت تقوم بعض حدائق الحيوان بنقل قرى بأكملها مع تراكيب البيوت التي كان يعيش بها هؤلاء البشر مع كافة أمتعتهم، حتى تُضفي مزيداً من البهجة للزوار.

تم عرض القرية الكونغولية في معرض بروكسل ١٩٥٨ في العالم[٣].

لكن كيف كان هؤلاء البشر المساكين يُمضون أوقاتهم في أقفاص الحيوانات، تذكر لنا الروايات أن متوسط الفترة التي يمضونها كانت لا تتجاوز ثلاثة أشهر حيث يُصابون بأمراض عُصابية ونفسية خطيرة، وأقدم الكثيرون منهم على الانتحار، وكان أشهر هؤلاء المنتحرين على الإطلاق هو [أوتا بينجا] حيث كان يعيش في إحدى قرى الكونغو وكان متزوجاً ولديه طفلان، وقد اقتيد من قريته وعُرض داخل أحد الأقفاص بجانب قرد الشامبانزي في نفس القفص، ثم مع

---

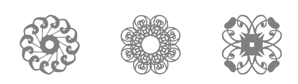
(1)Anne Maxell, "Montrer l'Autre: Franz Boas et les soeurs Gerhard", in *Zoos humains.* pp. 331-339.

(2)http://www.modelminority.com/article750.html.

(3) http://query.nytimes.com/gst/abstract.html?res=9C04E7D81F3EE733A25753C1A96F9C946797D6CF.

إنسان الغاب وكان يُصنف كأحد الحلقات المفقودة، وظل معروضاً في حديقة حيوان برونكس في نيويورك شهوراً طويلة، ونظراً لوضعه المأساوي فقد قرر الانتحار، والتخلص من حياته[1].

بقي أن نقول: إن حدائق حيوان البشر كانت في العقل الأوربي منذ القرن السادس عشر الميلادي، منذ أن بدأ الأوربيون يجوبون العالم ويُنشئون مستعمراتهم، وكان العقل الأوربي يرى في هؤلاء الزنوج والأقزام والهنود والسكان الأصليين درجة أدنى بكثير من الجنس القوقازي الأبيض، ولذا ما فعله داروين صراحةً هو تقديم المبرر البيولوجي، والمسوغ العلمي الذي يتيح لهؤلاء مزيداً من التنكيل والإهانة وتدمير قرى بأكملها باسم الداروينية، ولذا كانت حدائق حيوان البشر توجد على استحياء قبل داروين، لكن عصرها الذهبي هو من عام ١٨٧٠ - العام الذي أصدر فيه داروين كتابه نشأة الإنسان - إلى عام ١٩٤٥، فقد حررت الداروينية هؤلاء من أية أعباء أخلاقية في تعاطيهم مع بقية البشر.



(1)Philips Verner Bradford, Harvey Blume, Ota Benga: The Pygmy in The Zoo, New York: Delta Books, 1992.

الجرعة الثامنة والأربعون

كوريا الشمالية الدولة الوحيدة المُلحدة رسمياً في العالم

North Korea is officially an atheist state

عقِب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ تم تقسيم شبه الجزيرة الكورية إلى شمالية وجنوبية في ذلك الوقت لم يكن ثمة فارق بين الدولتين الوليدتين.

في عام ١٩٤٨ تم إعلان قيام جمهورية كوريا الشمالية الديموقراطية، وأعلنت كوريا الشمالية رسميًّا إلحادها.. واعتبر [كيم إل سونج] – مؤسس الدولة – أن الدين نوع من التضليل غير العلمي الذي يجب مقاومته بشراسة......

Kim Il Sung criticized religion in his writings, and North Korean propaganda in literature, movies and other media have presented religion in a negative light. The Juche philosophy often took the place of religion and taught Koreans to see religion as an unscientific delusion[1].

* **ملحوظة هامة...** سيحاول الكاهن الملحد العربي سريعًا أن يؤدلج المسألة سياسيًّا ويعتبر أن كوريا الشمالية تُطبق الإلحاد من منظور شيوعي.. كوريا الشمالية تعتبر الشيوعية أحد أفرع التطبيق السياسي لا أكثر وأن الشيوعية أقرب للإلحاد من الرأسمالية – يقول [بليخانوف] Plekhanov الشيوعية هي "تطبيق للداروينية في العلوم الاجتماعية".- وإلا فإن كوريا تُطبق كل الأنظمة الإقتصادية والسياسية.. وتوجد بها منطقة كايسونج الصناعية الرأسمالية.. وتقوم بتجربة النظام الرأسمالي منذ عام ١٩٩١ .. فلا يمكن أدلجة المسألة سياسيًّا.

الدولة الوحيدة التي تعمل بالنظام الطبقي رسميًّا في العالم هي الدولة الوحيدة الملحدة كوريا الشمالية:

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Religion_in_North_Korea.

يتم فرز الكوريين الشماليين إلى ثلاث مجموعات في نظام يُعرف بالسونجبن Songbun، وهو نظام فرز طائفي طبقي شديد الحدة – طبقة الموالين ٢٥٪ طبقة المترددين ٥٥٪وطبقة المُعادين ٢٠٪ – وهذا الفرز هو الذي يحدد فرص العمل السانحة للأجيال الصاعدة وكمية الغذاء التي يتم تلقيها ونوع المسئولية التي تُلقى على عاتق الشخص[١].

ووفقًا للهيومن رايتس ووتش فإن الأنشطة الدينية لم تعد موجودة في كوريا الشمالية، كما أن الحكومة ترعى الجماعات الدينية فقط لتحاول خلق وهم الحرية الدينية... ولذا فالأقليات الدينية بها هي الأكثر اضطهادا في العالم...

لا يوجد في كوريا الشمالية سوى أربع كنائس، ولا يوجد بها كاهن رسمي واحد..... الذي يدير القداسات هم أعضاء من لجنة الحزب[٢].

ورسميًّا يُعتبر الاحتفاظ بأي كتاب مُقدس جريمة وفق القانون الكوري الشمالي ويَنص القانون على أن أي سخص يحتفظ بأي نسخة من كتاب مقدس يتم إعدامه في ميدان عام ويشهد هذا الإعدام الآلاف من الكوريين حيث يجري الإعدام غالبًا في ملاعب كرة القدم[٣].

إعدام أي شخص يمتلك كتاب مُقدس فورًا في دولة الإلحـاد كوريا الشمالية

أفادت صحيفة "جونغ إنغ البو" الكورية الجنوبية بأن كوريا الشمالية نفَّذت قرابة ٨٠ حكمًا بالإعدام علنًا في شهر نوفمبر٢٠١٣ وحده، وذلك في ٧ مدن.

كما تؤكد الصحيفة أن حكم الإعدام العلني في مدينة [وانسان] نُفذ بحق ٨ أشخاص في ملعب كرة قدم، على مرأى ومسمع ١٠ آلاف مواطن من بينهم أطفال.

ويضيف المصدر ذاته بأن الأحكام بالإعدام صدرت بحق العشرات بسبب الاحتفاظ

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Songbun.

(2) http://www.hrw.org/legacy/english/docs/2004/07/08/nkorea9040.htm.

(3) http://arabic.rt.com/news/633358 . /

بالكتاب المقدس، وهي جرائم وفق القانون الكوري الشمالي[١].

إعدام أي شخص يحاول أن يُغير فلسفته المادية إلى فلسفة مادية أُخرى في دولة الإلحـاد كوريا الشمالية :

يتم الإعدام فورًا لمن يستمع إلى ثقافة كوريا الجنوبية أو ثقافة الغرب، حيث إنه في شهر نوفمبر ٢٠١٣ تم إعدام العشرات لاتهامهم بمشاهدة التلفزيون الكوري الجنوبي وهو نشاط محظور تمامًا في كوريا الشمالية.

فالإعدام كان بسبب مشاهدة برامج تلفزيونية كورية جنوبية أُدخلت سرًا مسجلة على أقراص فيديو او ذاكرة يو اس بي.

واعتبر مسؤول أن "النظام يبدو كأنه يخشى إمكانية تبدل عقلية الناس ويحاول إخافتهم".

هذه هي صورة دولة الإلحاد الوحيدة في العالم

عبادة الفرد:

كان نتيجة إلحاد الدولة توجه الجماهير التي تفتقر إلى القيمة العليا وتبحث عن المغزى الروحي وتعاني وخز الفطرة إلى إعلان عبادة الفرد cult of personality، حيث تتم بطريقة غير رسمية عبادة [كيم إل سونج] – مؤسس الدولة الكورية –وقد بث التليفزيون الرسمي الكوري الشمالي سجود الجماهير لتمثال من البرونز لكيم ايل سونغ، وبثت مشاهد مماثلة في أعقاب وفاة كيم جونغ إيل – الرئيس الثاني لكوريا الشمالية – وما زالت عبادة الفرد مُسيطرة على الوعي الجمعي للكوريين الشماليين.. أيضًا عيد ميلاد الرئيس الكوري الشمالي هي واحدة من

---

(1) http://arabic.rt.com/news/633358 /.

العطلات العامة الأكثر أهمية في البلاد[١].

كوريا الشمالية هي دولة الإلحاد الوحيدة في العالم:

كان الاتحاد السوفيتي وكوبا وبعض الدويلات في آسيا - مثل كمبوديا - تُصنف على أنها دول إلحادية State atheism، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانهيار الشيوعية رسميًّا في العالم كله أعلنت روسيا وكوبا وباقي الدويلات أنها دول علمانية secular state، ولم يبق في العالم إلا كوريـا الشمالية التي تُعلن أنها دولة الإلحـاد (State atheism)[٢].

لكن ما هي مُحصلة ٦٠ عام من الإلحاد:

بعد ستين عامًا من انقسام الكوريتين الشمالية والجنوبية وبعد ستين عامًا من الإلحاد الرسمي لكوريا الشمالية يمكن ملاحظة التالي :

ميزانية كوريا الشمالية ٤ ,٣ مليار دولار، بينما ميزانية جارتها كوريا الجنوبية ٣ ,٢٤٤ مليار دولار...

صادرات كوريا الشمالية ١ ,١ مليار دولار، بينما صادرات جارتها كوريا الجنوبية ٣٦٤ مليار دولار[٣].

خزي وعار هو مُحصلة الإلحاد المادي الدوغمائي:

وفي عام ١٩٩٥ أُصيبت كوريا الشمالية بمجاعة راح ضحيتها قرابة مليون نسمة.

تخيل دولتين بنفس القوة تنفصلان وبعد نصف قرن فقط ونتيجة لإلحاد إحداهما تصير قوتها ١ على ٣٠٠ من قوة الثانية... ويموت مليون بسبب المجاعات بها مع أنها دولة ذات تسليح

---

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/North_Korea%27s_cult_of_personality.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Atheist_state.

(3) http://www.youtube.com/watch?v=BBlWZz99p9s.

عملاق.. ما الذي يفعله الإلحاد بالأدمغة؟ كيف يتحول الإلحاد إلى هذا البؤس والشقاء والكراهية لكل شيء والحقد على كل شيء والخوف من كل شيء وهذا هو عنوان كوريا الشمالية الآن..كيف لمنظومة فكرية كالإلحاد أن تدمر دولة مثل كوريا هذا التدمير الرهيب؟.؟؟

تُصنف كوريا الشمالية حاليًا على أنها طليعة الفشل في كل شيء:

أسوأ دولة في سجلات حقوق الإنسان، أكثر دول العالم اعتقالاً للأفراد بالنسبة لعدد السكان ٢٠٠ ألف معتقل سنويًّا يعانون أسوأ ظروف يمكن تخيلها على الإطلاق[١].

حيث يوضع ١٪ من سكان الشعب الكوري الشمالي في ستة معتقلات عملاقة فقط لأنهم ليسوا مُلحدين[٢].

يموت ١٠ آلاف مُعتقل كل عام[٣].

أكثر دول العالم تطبيقًا لعقوبة الإعدام الجماعي وأكثر دول العالم كبتًا للحريات

هذا هو الإلحاد وهذه هي دولته.

تاريخ كوريا الشمالية في الإلحاد هو تاريخ البؤس والشقاء والتعاسة إنهم يُعدمون فورًا أي صاحب دين، يعدمون فورًا بمجرد تغيير الثقافة، أسخف وأغبى دولة في العالم، في مجاعة واحدة منذ عقد واحد يموت فيها مليون نسمة مع أن بها تسليح عملاق، إنها دولة السلاح والقتل والقمع والإبادة والتاريخ الأسود والمجاعة والحقد على كل شيء والخوف من كل أحد وكراهية كل أحد، هذا هو الإلحاد وهذه هي دولته الوحيدة يا من تُبشرون بالإلحاد في بلادنا.

يكرهون الجميع ويخشون الجميع ويحقدون على الجميع.. أكبر تسليح في العالم كان من نصيب أكثر دول العالم إلحادًا... لأنهم كارهون للجميع ويخافون من الجميع.

---

(1) www.amnesty.org/en/region/north-korea/report-2011.

(2) www.amnesty.org/en/library/asset/ASA24/001/2011/en/2671e54f-1cd1-46c1-96f1-6a463efa6f65/asa240012011en.pdf.

(3) http://english.chosun.com/site/data/html_dir/2012/04/04/2012040401146.html.

انظر للفرق بين تسليح كوريا الشمالية والجنوبية :

يوجد في الجيش الكوري الشمالي مليون ونصف المليون جندي ١٥٠٠٠٠٠ جندي.

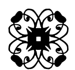
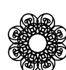
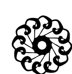
بينما في الجيش الكوري الجنوبي ٦٧ ألف جندي ٦٧٠٠٠ جندي.

مع أن عدد سكان كوريا الجنوبية ضعف كوريا الشمالية.

أكبر عدد من الجنود في العالم مقارنة بعدد السكان يوجد في الدولة الوحيدة الملحدة في العالم.

هذا هو الإلحاد

هذه هي دولته

الجرعة التاسعة والأربعون

دولة السويد؛ أيقونة الملحدين العرب، وكاتدرائية الحرية في العالم

من أجل نظرة في العمق قليلًا:

بتسوانا وناميبيا وجامبيا وموريشيوس والسنغال كلها دول أفريقية تُدار بأنظمة ليبرالية علمانية رأسمالية ديموقراطية تمامًا منذ عشرات السنين، لكن بما أنها من أفقر وأحقر دول العالم، لذا لن يذكرها الملحد العربي، بل سيتعامل مع هذه الدول وكأنها غير موجودة.

دولة ليبريا الأفريقية، تعمل بالدستور الأمريكي مباشرةً، وعملتها الدولار، وبها مجلس شيوخ ومجلس نواب منذ أكثر من نصف قرن من الزمان، وهي علمانية ليبرالية عتيقة، وأهلها ليبراليون جدًّا – يرقصون الشارلستون ويأكلون لبان تشكلس ويرتدون أحذية نايكي– ومع ذلك دولة ليبريا مُصنفة كأفقر دول العالم على الإطلاق.

الملحد العربي أيضًا، سيتجاهل هذه الدولة.

الملحد العربي لن يُقدِّم لك إلا بعض النماذج الغربية التي يرى أن صورتها مشرقة دائمًا، وطبعًا لابد أن تكون مشرقة دائمًا؛ لأن ثرواتها جاءت نتيجة ٥٠٠ عام من الاستعمار، و٥٠ عام من صندوق النقد الدولي.

وفي الغالب يكون تركيز الملحد العربي المعاصر على دولة السويد، ولذا نحن في هذا المقال ننظر إلى هذه الدولة بشيء من الحيادية.. ولا ندعي كل الحيادية.!!

يقول الملحد: دولة السويد من أكثر ديموقراطيات العالم نجاحًا.

هذا صحيح لكن السويد إلى اليوم دولة ملكية دستورية، يحكمها الملك كارل السادس عشر غوستاف، والحكم وراثي في السويد.

وهذا يعني أن مقياس القيادة والحُكم والسيادة في السويد يكون للدم، ولا علاقة للملكية

في السويد برجاحة العقل أو الاختيار، أو ما تفرزه الصناديق، بل الملك يُنصب على العرش مدى الحياة؛ لأن والده كان ملكاً، لا أكثر.

يقول الملحد: دولة السويد من الناحية العسكرية دولة محايدة تمامًا، وآخر حرب دخلتها كانت عام ١٨١٤

السويد بالفعل لم تدخل حرب منذ آخر حملة عسكرية شنتها على النرويج عام ١٨١٤، وكانت حيادية في الحروب العالمية.

وهذه ظاهريًّا ميزة، لكنها في واقع الأمر أنانية مفرطة، وإيثار للذات؛ لأن الأولى أن تتدخل السويد لتمويل الحرب على هتلر، وإيقاف جرائمه.

لكن المفاجأة العجيبة، التي لا يعرفها الملحد العربي أن السويد سمحت للنظام النازي باستخدام سككها الحديدية لنقل الجنود والعتاد، وأمدت هتلر بالحديد والصلب من مناجمها التي تقع في شمال البلاد، بل إن عِماد الصناعة العسكرية النازية اعتمد بشكل أساسي وجوهري على حديد السويد[١].

Koblik, pp. 303–313.

يقول الملحد: دولة السويد يكفي أنها دولة مستقرة، وهي من أقل دول العالم جريمة.

وهذا خطأ رهيب؛ لأن معدلات الجريمة في السويد مرتفعة للغاية.

ومعدلات الاغتصاب في دولة السويد هي الأعلى عالميًّا، حيث تأتي في المرتبة الرابعة بعد فرنسا وألمانيا وروسيا[٢].

والسويد في عام ٢٠٠٩ كانت دولة الاغتصاب الرسمية في أوربا.

According to a 2009 European Union study, Sweden has one of the

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Swedish_iron_mining_during_World_War_II.

(2) http://www.nationmaster.com/graph/cri_rap-crime-rapes.

highest rates of reported rape in Europe[1].

أما بخصوص الجريمة فدولة السويد التي يوجد بها ٩ مليون نسمة، تم ارتكاب مليون ونصف جريمة في العام ٢٠٠٩ وحده، مما يجعلها من أكثر دول العالم جريمة، ومعدلات الجريمة في السويد ترتفع باضطراد في السنوات الخمس الأخيرة[٢].

يقول الملحد: السويد دولة الرفاهة الاجتماعية.

وهذا نُسلِّم به... لكنها تأتي في التصنيف العالمي بعد قطر والكويت.

بل وبحساب قيمة الضرائب الرهيبة التي تفرضها على مواطنيها والتي تبلغ قرابة ٦٠٪ من دخل الفرد، فإن الدخل الحقيقي للفرد يصبح أقل كثيرًا مما يبدو عليه ظاهريًّا.

ويحصل العامل العادي في السويد على ٤٠ ٪ من دخله بعد الضرائب، ولا تزال الضرائب في السويد قرب ضعفها في الولايات المتحدة.

والعجيب أن دولة السويد تُصنف على أنها واحدة من الدول الأعلى في معدلات الانتحار على مستوى العالم.

وطبقًا لمقال النيويورك تايمز " فإن السويد والدنمارك دول الرفاهة الاجتماعية، هما أصحاب أعلى معدلات انتحار في العالم"

well.blogs.nytimes.com/2011/04/22/happiest-places-post-highest-suicide-rates /[3].

يقول الملحد: السويد تقريبًا دولة ملحدة.

وهذا أيضًا خطأ شديد، حيث إنه طبقاً لإحصائية ٢٠١٢ فإن ٦٧٪ من الشعب السويدي

---

(1) http://www.thelocal.se/20090427/19102.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Crime_in_Sweden.

(3) http://en.wikipedia.org/wiki/Suicide_in_Sweden.

مسيحيون، إلى جانب ٥٪ مسلمون، ٢٣٪ يؤمنون بوجود خالق، ونسبة ترك المسيحية بالفعل في ارتفاع ليس في السويد وحدها، وإنما في الاتحاد الأوربي كله؛ لأن الصورة التي تقدمها المسيحية للإله تجعل النسبة في ارتفاع باضطراد، وهذا لا علاقة له بالإلحاد الذي يتشوق إليه الملحد العربي، والذي يعني إنكار الصانع[1].

يكفي أن السويد ما زالت ملكية، والصليب هو رمز عَلمها الرسمي.

يقول الملحد: اترك كل هذا جانبًا، يكفي أن السويد تستقبل اللاجئين وتفتح ذراعيها للجميع.

أولًا: هذا يدور في إطار المصلحة والنفعية المُجردة، وأي دولة في العالم لا تفعل هذا الأمر من أجل سواد عيون المهاجرين، وإنما من أجل الربحية، ومن أجل تصدير صورة مشرقة لنظامها وحكومتها، فكندا تطلب قرابة ١٠٠ ألف دولار، وكذلك استراليا، وبعض دول الاتحاد الأوربي تشترط للحصول على جنسيتها قرابة نصف مليون يورو.

وللحصول على جنسية مالطا، يلزم دفع ٦٥٠ ألف يورو إلى حكومة مالطا كمنحة لا تُرد، وبلغاريا تعرض جنسيتها بمبلغ ٥٠٠ ألف يورو، والنمسا تطلب استثمار ١٠ ملايين يورو في العقارات، وأرخص الجنسيات سان كيتس بـ١٨٦ ألف يورو، وجنسية الدومينيكان ب ١٠٠ ألف يورو[2].

ثانيًا: السويد تقع في خانة الدول التي تُحَصِّل مبالغ من المهاجرين أكثر من تلك التي تصرفها عليهم، وبما يعادل الآف الكرونات سنويًّا، وفقًا لمنظمة التعاون والتنمية. OECD

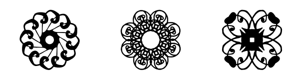
وأوضحت دراسة حديثة أن مهاجري خمس دول أوربية فقط من أصل الـ ٢٧ دولة يكلفون بلدانهم المضيفة مبالغ إضافية، تأتي ألمانيا التي تحتضن شريحة واسعة من المهاجرين في المقدمة، لكن حتى تلك الزيادة في التكلفة تُحسب بسبب معاشات التقاعد العالية التي تصرفها

(1) https://www.svenskakyrkan.se/default.aspx?di=978164.

(2) http://www.cnbc.com/id/101198433.

ألمانيا للقادمين من أوربا الشرقية بعد الحرب العالمية الثانية، إذ أوضحت الدراسة، أنه في حال جرى استثناء تلك المعاشات الضخمة من المبالغ التي تصرف على المهاجرين، فإن النتيجة ستكون زيادة مالية كبيرة في ميزانية المانيا[١].

وفي السويد يدعو حزب سفاريا ديموكراتنا العنصري المعادي للأجانب ومنذ سنوات عدة إلى إجراء تحقيق حكومي في اتهامات تتعلق بالمبالغ المالية التي تتكلفها سياسة الهجرة في السويد.



(1) http://alkompis.se/news/swedish/6435 /.

الجرعة الخمسون

الإلحاد هو مصدر الوثنية عبر كل العصور

يعني الإلحاد في صورته النهائية التجرُّد من كل مُقدَّس، والتخلُّص من كل قيمة تتجاوز العالم المادي، بينما تقوم الوثنية على تأليه الماديات، وتقديس حتى الجمادات، وظاهريًّا من المُحال بمكان أن يجتمع الإلحاد والوثنية، لكننا سنكتشف في هذا المقال أن الإلحاد هو أصل جانب كبير من الوثنيات على الأرض.

يرى علماء تاريخ الأديان أمثال [لانج] Lange وباسكال Pascal و[شميث] Schmitt و[بروس] Bruce و[كوبرز] Coopers وغيرهم، أن التوحيد وعبادة الله الواحد كانت سابقةً على التعدد وصناعة الآلهة الوثنية[1].

لكن لماذا ترتدُّ البشرية في كل مرة، وتعود لتعدد الآلهة الوثني اللاعقلاني؟ يكون التبرير المستمر لهذه القضية أن هذا من باب تحريفات السحرة والكُهان على الدين الحق -دين التوحيد-.. لكن يظل السؤال قائماً ما الذي يدفع السحرة والكهان لهذا الأمر؟

في البداية لا خلاف على رِبحية الوثنية من الناحية المادية، فالوثنية توفِّر غطاءًا سَخِيًّا يُبرر المُتع الدُنيوية و الجنسية المُحرَّمة بلا مُقابل أو رادع أُخروي، فالوثنية هي التَّفَلُّت المُستمر من تكاليف شرائع الأنبياء، ولذا كانت الوثنية عبر الزمان مرتع الشيطان في إغواء ابن آدم، كما في الحديث القُدسي: «إني خلقتُ عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»[2].

لكن هل كان شيطان الجنِّ هو اللاعب الوحيد في الساحة؟ أم أن ظهور شياطين الإنس من الملاحدة كان له دورٌ أسرع في نشر الوثنية والإغواء بها وتفشِّيها بين الأُمم والحضارات

(1)andrew lang : the making of religion.New York 1968.

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: ٥١٠٩.

والثقافات؟!!

إن أبسط دراسة أكاديمية للجمعيات السِّرِّية حول العالم، تُقدِّم أدلة دامغة على دور الإلحاد في نشر الوثنية، يقول المفكر الشهير[مايكل هوارد] Michael Howard :" إن أتبـاع الجمعيات السرية يُعانون من حالة مرضية، تم تشخيصهـا على أنها بُغض الدين، ويكفي أن آدم وايسهاوت Adam Weishaupt أبو الحركات الماسونية كان مريضًا بهذا المرض "(١).

و يمكن ملاحظة هذه النتيجة من متابعة الحركات الوثنية المعاصرة، فعبدة الشيطان هم ملاحدة لا يؤمنون بالله ولا بالشيطان، فالشيطان هو رمز للشهوة وليس معبودًا لذاته.

يقول [بيتر جيلمور] Peter Gilmore الرئيس الحالي لكنيسة الشيطان بأمريكـا: " نحن لا نؤمن بأي قوة خارقة للطبيعة.. لا نؤمن بالإله بل ولا نؤمن بالشيطان نفسه... ؛ فالشيطان هو مجرد رمز للشهوة الإنسانية... والشيطان ليس كينونة موجودة أصلًا لتُعبـد"(٢).

وهذا أمرٌ بَدَهِيٌّ فأنتون ليفي Anton LaVey مؤسس مذهب عبادة الشيطان، والذي أسس كنيسة الشيطان بسان فرانسيسكو *San Francisco* كان ملحدًا، فالإلحـاد هو مصدر عبادة الشيطان، وعبدة الشيطان هم الملاحدة(٣).

إن الوثنية بكافة طقوسها، وعبادة الشيطان، وتعدد الآلهة بكافة شركياته، مسوِّغ رائع للانغماس في الشهوات والفجور والجرائم.. تصوَّر شخصًا حاقدًا على الأديـان، وهاربًا من تكاليف الشريعة، وباحثا عن الشهوة بأي ثمن، إن هذا الشخص من البَدَهِي أن يَنضوي تحت أي لواء يُحقق رغباته فيصير وثنياً، أو ينضم لجماعة مُنظمة ويصير من عبدة الشيطان، فعبادة الشيطان

---

(1)Michael Howard,Occult Societies, 1st ed., London: Rider, 1989, p. 63.

(2)http://www.churchofsatan.com/Pages/Feared.html.

(3) LaVeyan Satanists are atheists and agnostics
http://en.wikipedia.org/wiki/Satanism.

هي مذهب إلحادي مائة بالمائة.

وإذا نظرنا إلى تجمع وثني آخر وهو جمعية الفجر الذهبي الوثنية بأوربا Order of the Golden Dawn، وهي جمعية سرية تؤمن بطقوس وثنية وسحرية شاذة، وأيقونة موقعها الرسمي عبارة عن معبد وثني(١).

ولا يؤمن أتباع تلك الجمعية بهذه الوثنيات، ولا يُلقون لها بالًا، لكنه نوع من التفريغ الروحي ولون من الاستدارة على الأديان حتى لا يتصفوا بالإلحاد.

وقد أسس تلك الجمعية [إليستر كرولي] Aleister Crowley وهو المؤسس للعديد من المحافل الماسونية عبر العالم، وهو فيلسوف شهير وصاحب المقولة الإلحادية " افعل ما تُحب هذا هو أصل القوانين "(٢).

وهذه المقولة تحليل إلحادي مادي لحياة الإنسان وغائيته في غياب المرجعية الدينية، وفي غياب التعويل على أيَّة قيمةٍ أو مبدأ.

و إليستر كرولي هو جد [جورج بوش] *George* W. *Bush* من أُمه وهو ملحد شاذ جنسيًّا، وقد وَجد في الجمعيات الوثنية ضالته في الدعوة للإباحية الجنسية إلى أقصى درجة، والنقمة على الأديان(٣).

وتمتلئ جنبات العالم بالكثير من الجمعيات التي ظاهرها وثنية بينما هي إلحادية حتى النخاع، فهناك الرابطة الأخوية السوداء، أو الجمجمة والعظمتين Skull and Bones، وهي جمعية وثنية شهيرة تتبَع جماعة المستنيرين الإلحادية Illuminati التي أسسها الملحد الشهير [آدم وايسهاوت] Adam Weishaupt، الذي تحدثنا عنه قبل قليل، وكان آدم وايسهاوت قِسًّا

---

(1)http://www.hermeticgoldendawn.org. /

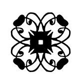
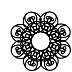
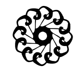
(2)http://en.wikipedia.org/wiki/Aleister_Crowley.

(٣) المصدر السابق.

للجزويت *Jesuit* ، ثم ألحد وقام بتأسيس الجماعة للقضاء على الدين في أوربـا[١].

وهُناك النادي البوهيمي فخر الأندية الوثنية الإلحادية، وأشهرها على الإطلاق، ويشتهر بأنه نادي العراة، أعضاؤه ملاحدة يقومون باحتساء الخمور من الصباح حتى المساء، ثم يقومون بطقوس وثنية خاصة، وتأتي شهرته من ارتباطه بشخصيات سياسية واقتصادية مرموقة في المجتمع الغربي[٢].

و نستخلص مما سبق أن المشكلة هي عبث الملحدين الأزلي بالأديان، وهو عبث غير ظاهر في الغالب خوفًا من بطش الشعوب ونقمتها، فيتظاهرون بالوثنية أملًا في انحراف الشعوب عن عقائد الأنبياء، فالإلحـاد هو الشر المتربص بالعـالم، وهو مصدر رئيس من مصادر الكُفريـات والوثنيات والفلسفات الهابطة، التي انتشرت وما زالت تنتشر في أرجاء المعمورة.

---

(١)http://www.bibliotecapleyades.net/esp_sociopol_illuminati.htm.

(٢) أعضاء النادي البوهيمي طبقًا للموقع الرسمي، يحتسون الشراب ثم يقومون بطقوس وثنية خاصة.

they drink heavily from morning through the night, bask in their freedom to urinate on the redwoods, and perform pagan rituals

http://www.sonomacountyfreepress.com/bohos/bohofact.html

الجرعة الحادية والخمسون

المرأة

مشكلة المؤسسات العلمانية مع المرأة ليس تحريرها، وإنما تثوير لها في مقابل الرجل وعزلها عنه، فالهدف من حركات تحرير المرأة ليس تحقيق مكاسب للمرأة وإنما توسيع لرقعة الخلاف بينها وبين الذكور.

فقد تحولت العلاقة بين الأنثى والذكر من علاقة حميمة يحيطها دفء المشاعر والحنو إلى علاقة فتاكة كلٌّ منهما يتربص بالآخر ليفتك به ويُثبت تقدمه البيولوجي عليه.

والمرأة في الواقع الإلحادي وضعها أشد مرارة من الواقع العلماني.

فالمرأة طبقًا لأدبيات الإلحاد لها تصنيف في السلسلة الحيوانية مستقل تمامًا عن تصنيف الرجل، فالمرأة تندرج تحت تصنيف Homo parietalis بينما الرجل تحت تصنيف Homo frontalis فدراسة حجم الجمجمة أثبتت وجود فرق جوهري في حجم المخ لصالح الرجل بمقدار ١٢ – ١٩ ٪.

يقول التطوري اللاأدري الشهير ستيفن جاي جولد نقلًا عن بروكا: " بشكل عام، الدماغ أكبر في البالغين مما هو عليه في كبار السن، في الرجال عنه في النساء، في الرجال المتفوقين عنه في الرجال المتواضعين، في الأعراق الأرقى عنه في الأعراق الأدنى".

In general, the brain is larger in mature adults than in the elderly, in men than in women, in eminent men than in men of mediocre talent, in superior races than in inferior races[1].

Gould, Stephen Jay. 1981. The Mismeasure of Man. New York: W. W. Norton & Company.

فالمرأة أدنى من الرجل من منظور تطوري

(1) Gould, The Mismeasure of Man, p. 83.

women were intellectually inferior[1].

بل وطبقًا لنفس المصدر فإن المرأة تطابق الغوريلا، فعدد كبير من النساء أدمغتهن تكاد تطابق تلك الخاصة بالغوريلا مقارنةً بالرجال البالغين، إن دونية المرأة –نعم دونية المرأة– هي حقيقة لا يمكن لأحد أن يعترض عليها للحظة، فقط يمكن النقاش في درجة تلك الدونية!

large number of women whose brains are closer in size to those of gorillas than to the most developed male brains. This inferiority is so obvious that no one can contest it for a moment; only its degree is worth discussion[2].

فالمرأة طبقًا للإلحاد تمثل أدنى مراحل التطور البشري.

represent the most inferior forms of human evolution

وهي في ذلك تطابق الأطفال والهمج أكثر من مطابقتها للرجال البالغين والمتحضرين.

are closer to children and savages than to an adult, , civilized man .

ولا تتفوق المرأة إلا في التقلب والتناقض وغياب الفكر والمنطق.

They excel in fickleness, inconsistency, absence of thought and logic, and incapacity to reason

وإن كان ستيفن جاي جولد يرد على بعض تلك النقاط، لكن تبقى ردوده غير متسقة مع الرؤية المادية الداروينية للمرأة، وإنما هي من باب حقوق المرأة وهذه دعوى ميتافزيقية لا دعوى علمية ولا مادية ولا دارويينة.

خلاصة ما في الأمر أن هذا المستوى من التعامل مع المرأة يحدث داخل المنظومة الإلحادية الداروينية المادية بينما نلاحظ أن الإسلام يُمجـد المرأة بدون النظر لهذه الدواعي الفتاكة، فقد جعلها رمزًا وسرًّا وكائنـًا مُقدسـًا، وجعل الجنة تحت أقدامهـا.. وجعل العلاقة بينها وبين الرجل علاقة مقدسة، وأخذ من الرجل ميثاقًا غليظـًا على ذلك ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم

(1) Gould, The Mismeasure of Man, p.104.

(2) Gould, The Mismeasure of Man, p.104,105.

مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء:٢١] وقال رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ.

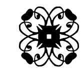
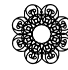
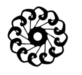
بينما نجحت كل المؤسسـات التي نادت بتحرير المرأة في تحويل المرأة من كائن إنساني مُميـز إلى حيوان جميل! وهذا نلاحظه بشدة في طوابير الموديلات. ففي مؤسسات تحرير المرأة هنـاك افتخـار دائم بعدد النسـاء اللاتي نزعتهن من الأُسـرة.

كتب الملحد الشهير شوبنهاور يقول: "المرأة مُهيئة مبُاشرةً لأعمال التمريض والتعليم في طفولتنا المبكرة، ففي الواقع المرأة تركيبتها صبيانية وتافهة وقصيرة النظر".

"Women are directly fitted for acting as the nurses and teachers of our early childhood by the fact that they are themselves childish, frivolous and short-sighted"[1].

إن الإلحـاد بطبيعته المادية الفجة القاصرة يدخر كُل المجاملة للأقوياء والأرقى تطوريًّا من وجهة نظره، وكُل السخرية للضعفاء.

فإذا لم تكن توجد أرواح إنسانية فإن الضعفاء هم أقل شيء نحتـاج إليه في هذا العالم.

(1) http://insomnia.ac/essays/on_women /.

الجرعة الثانية والخمسون

روائع ما كتب الدكتور عبد الوهاب المسيري- رحمه الله- عن العلمانية*

Dark enlightenment الاستنارة المظلمة: هي كلمة متناقضة لكنها واقعية في الغرب، فعلى الإنسان أن يتخلى عن غروره وأوهامه ومركزيته، وأن يعود للطبيعة؛ فقوانينه هي قوانينها، فالهم الأكبر للعلمانية هو توجيه ضربات متتالية للإنسان وتحطيم صورته المثالية عن نفسه وألا يستمد أيَّ عزاءٍ زائفٍ من وَهْمِ المركزية في الكون، فالإنسان عليه أن يعود إلى قوانين الطبيعة ويصير مثل الأشياء، ويذوب في عالم المادة اللاغائي اللاقيمي، فالعقلانية المادية العلمانية تنتهي إلى لاعقلانية مادية إلحادية قاتلة.

العلمانية زودت الإمبريالية الغربية بإطار نظري لإبادة الملايين باسم العرقية المادية والبيولوجية الداروينية فظهرت اليد الخفية عن آدم سميث ، والمنفعة عن بنتام، ووسائل الإنتاج عند ماركس، والجنس عند فرويد، وإرادة القوة عند نيتشه، وقانون البقاء عند داروين، و الطفرة الحيوية عند برجسون، والروح المطلقة عند هيجل – روح العصر – عبء الرجل الأبيض العبء الحضاري.

بعد موت الإله لا داعي للتَمَحُّكِ في ظلاله كما يقول نيتشه، فلا داعي للقول بالأخلاق أو المساواة بين البشر أو القيم أو الغائيات، والتمحُّك هو عملٌ جبانٌ غيرُ قادرٍ على قبول وضع الإنسان في عالم بلا قيمة غائية، وفي وجود عرضي زائل لا قيمة له ؛ لذا رحّب نيتشه أخيرًا بالعدمية.

الماركيز جان أنطوان نيكولاس دي كوندورسيه- ١٧٩٤- رياضي فرنسي أسس للعلمانية رياضيًّا وماديًّا وانتصر للعلمانية الرياضية، وبعد أن انتصرت العلمانية في فرنسا دخل فندقًا صغيرًا، وطلب طبق أومليت صغير مُكون من ١٢ بيضة، وكان هذا طلبًا غريبًا جعل العاملين بالفندق يساورهم القلق بشأنه، فهو قد أخطأ في عدد البيضات، وهو أمر غير عادي وغير رشيد ويتجاوز القانون الرياضي العام الذي هو نفسه أسس له، فقُبض عليه وأودع السجن ومات في

السجن فمات بنفس السم الذي سقى به العالم.

في بداية تطبيق العلمانية يحدث دائما صراع بين الإنسان والطبيعة، مَن منهما له المركز والأساس؟

ودائمًا تتم تصفية المعركة لحساب الطبيعة، فقوانينها هي الأساس ومنها المبدأ وإليها المآل، وبذا يتم تهميش الإنسان وتتم تصفيته ويسقط الجميع في أحضان المادية حيث لا مُطلقات ولا مرجعيات ولا متجاوز، ويفشل النموذج الهيوماني، ففي نهاية الأمر وبعدها يتم تغليب الجانب المادي وهو الجانب الأقوى، ويذوب الإنسان وتذوب هويته.

كيف يمكن للعقل في إطار المادة العقلانية أن يُفرق بين ما هو أخلاقي وبين ما هو غير أخلاقي؟ فالعقل لا يُشع نورًا، وإنما فقط هو موصلٌ جيدٌ للنور أو الظلام فحسب، فمرجعيته النهائية هي الطبيعة.

ماذا لو أثبت أحدُ العلمانيين أنه من المُجْدِي القضاء على العجزة والمعاقين والأقزام باعتبارهم فائض بشري لا قيمة مادية منه كما فعل هتلر بالضبط؟

ألا يمكن تحديد النسل من خلال إبادة المرضى المزمنين، إن إبادة مثل هؤلاء أمرٌ مُستوعَبٌ داخلَ النموذج العلماني فالمرجعية هي الطبيعة والطبيعة لا تحابي أحدًا.

ماذا يفعل العقل العلمي أمام العالم الألماني الذي كان يضع الطفل التوأم وشقيقه في حجرتين منفصلتين، ويجرى على أحدهما تجارب ويرى مدى تأثر الآخر فيُعرض أحدهما للتسخين أو التبريد أو التعذيب أو الموت؟

ولذا فقد تراكم كَمٌّ هائلٌ من المعلومات في الطب النفسي خلال الحِقبة النازية.

العلمانية أدت إلى توازن الرعب في العالم، ففي كل جانب من جنبات العالم توجد أسلحة نووية تكفي لتدمير الكوكب.

أصبح من الممكن في العالم العلماني إغراء الإنسان وإيهامه بأن ما يرغب فيه هو قرارٌ حرٌّ نابعٌ من داخله، ولكنه في الحقيقة أسير مئات الإعلانات التي ولَّدت لديه قراراته.

ماذا لو تم إجماع الأغلبية على إبادة الأقلية؟

ماذا لو أجمعت الشعوب الأوربية على استعمار الدول الفقيرة ونهب ثرواتها؟

أليس هذا قرارًا ديموقراطيًّا نابعًا عن إرادة الشعب؟

مؤسسة الإبادة في الدولة النازية كانت تُسمى مؤسسة تدعيم القومية الألمانية، ومن خلال هذه المؤسسة العلمانية ذات الكفاءة المثالية كان يتم عمل خط التجميع للمساجين، ويتم اعطاؤهم أرقامًا ثم فرزهم ثم إدخالهم أفران الغاز؛ ليحترقوا بمنتهى الكفاءة والمثالية في الأداء – وخط التجميع يوجد في السلخانات وتم استخدامه ضد الأقليات في ألمانيا العلمانية –، وكان يتم الفرز بمنتهى الكفاءة، فمَن هو صالح للاستخدام يتم إيداعه في المصانع العملاقة للإنتاج الضخم بأقل من الكفاف، وغير الصالح للاستخدام يدخل أفران الغاز بمنتهى الحيادية، ولا يستطيع باحثٌ بعيدًا عن المعايير الاخلاقية أن ينكر مدى التقدم الرهيب الذي أحرزته الفترة النازية في كافة العلوم وكم الإنتاج منقطع النظير الذي زوَّد النازي بالسلاح والذخيرة والطعام أثناء الحرب الطويلة، وعندما دخل الألمان شبه جزيرة القرم وجدوا اليهود القراءين، فتم تشكيل لجنة بمنتهى الحيادية لمعرفة مدى جدوى استخدامهم أم حرقهم فتبين أنهم أكفاء وبالتالي تم تأجيل قرار إبادتهم.

في مؤتمر فانسي الذي عُقد عام ١٩٤٢ تم تقسيم ضحايا النازية إلى أربعة أقسام: القسم الأول مَن ستتم إبادته على الفور، والثاني من تتم إبادته من خلال الجوع، والثالث الذي سيتم تعقيمه – لن ينجب –، أما الرابع فيتم دمجه في المجتمع الألماني، وجرى الحديث عن إبادة المعاقين باعتباره نوعًا من الصحة العرقية وعلاج الأمراض الوراثية الخطيرة، والعملية كلها كانت عملية تطهير للجنس الألماني لا أكثر، فإبادة البشر عملية مجردة تمامًا وترشيدية داخل المنظومة العلمانية الحيادية.

وقد حذرت القيادة النازية من استخدام العنف بلا مبرر، وقد أشار هتلر في خُطبه إلى أن عمليات التصفية لابد أن تتم بطريقة محايدة وبدون نزعات سادية، بل إن إطلاق النار على اليهود لأسباب شخصية يعاقب عليه القانون النازي بالإعدام وقد أكد هتلر على ذلك مرارًا.

Euthenesia : أي القتل الرحيم وهذا تعريف خاطئ فالتعريف الصحيح هو القتل العلمي العقلاني الأداتي أي التخلص من المعاقين وأصحاب الأمراض النفسية وأصحاب الأمراض

المزمنة عن طريق التصفية الجسدية، وضم إليهم النازيون مصابي الحروب؛ لأن تكاليف علاجهم تمثل عبئًا كبيرًا على الدولة.

في عام ١٩٣٣ أصدر النازي قانون التعقيم لمنع المرضى من التكاثر، وتم إصدار قرار منع إقامة علاقات جنسية بين اليهود والجنس الآري الراقي، وطُلب من كل طبيب أن يبلغ عن كل مولودٍ جديدٍ مُعوَّق، وبدأت عمليات القتل الرحيم طبقا لمشروع T4 وقُتل بالفعل ٧٠ ألف معاق وعاجز - يأكلون ولا ينتجون -.

وحسب الإحصاءات الألمانية فإن مقتل هؤلاء أدى إلى توفير ٢٣٩ طن من المربى في عام واحد فقط.

وقد صُنف اليهود باعتبارهم مرضى لعدم نقائهم العرقي ولهذا تمت تصفيتهم سريعًا.

قام الدكتور بوخنوالد - هانس إيسيل - بعمل تجارب طبية على المعتقلين في الدولة النازية، مثل تعريضهم لغرف تفريغ الهواء لمعرفة كم يستطيع الإنسان أن يمكث حتى يموت، وتعريضهم لغازات سامة لمعرفة مدى فاعليتها والتركيزات المطلوبة لإحداث الوفاة، وقام بعمليات جراحية بدون تخدير لمعرفة درجات الألم ومسارات الأعصاب، وقد وفّرت الفترة النازية كمية عملاقة من المعلومات الطبية في كافة المجالات، وحتى يومنا هذا هناك جدلٌ كبير بين العلماء حول جواز استخدام تلك المعلومات أم لا احترامًا للذين ماتوا بسببها.

كان الدكتور راشر النازي يُعرض مرضاه للتجميد لمعرفة الفترة التي بعدها يموت الإنسان ودرجة التجمد الكافية للموت، وبالفعل أمد الدكتور راشر العلم بطرق كثيرة لإطالة حياة الطيارين الذين يسقطون في المياه المتجمدة، وكان أُسلوب العمل هو تجميد السجناء تدريجيًّا مع متابعة النبض والتنفس والحرارة وضغط الدم بانتظام، وقد مات أغلب من تمت التجارب عليهم والباقون أصيبوا بلوثات عقلية وتمت إبادتهم بعد ذلك.

أُجريت في ألمانيا النازية تجارب زرع الغرغرينة في الجروح، كما تم الحَقن بالميكروبات لمعرفة الأسرع فتكًا، والدكتور منجل هو صاحب تجارب التوائم-التي تحدثنا عنها قبل قليل-، وكما قال بريمو ليفي فإن ألمانيا النازية هي المكان الوحيد الذي كان بوسع العلماء أن يدرسوا فيه جثتي توأمين قُتلا في نفس اللحظة، والنتائج التي توصل إليها العلماء النازيون هي نتائج فريدة

لم تتح لغيرهم صراحة.

من المدهش أنه تم تصنيف اليابانيين في الحقبة النازية على أنهم آريون شرقيون، وهذا لعمق العلاقات بين المانيا واليابان في تلك الفترة، وقد منع القانون النازي بدءًا من عام ١٩٣٥ أيَّ شخص له أحد الأجداد يهودي أن يشغل وظيفة ضابط في الجيش النازي.

Einsatzgruppen : هو اسم فرق إبادة الأقليات عديمة الجدوى في الجيش الألماني حيث كان يتم تجريد الضحايا من أية أدوات نافعة مثل حشوات الأسنان الذهبية، ثم يقوم الضحايا بحفر القبور بأيديهم، ثم يُقتلون وهم واقفون في وسط القبر بمنتهى الأداتية.

في محاكمات ما بعد النازية –محاكمات نرومبرج– كان الجواب المتكرر لفرق الإبادة النازية أنهم كانوا موظفين، وبالفعل كيف نقوم بإدانة هؤلاء الموظفين، ونحن نؤمن بالعقل الأداتي ونُنكر المتجاوز وننكر الغائية والمركزية؟

وإذا كانت الأخلاق نسبية ولكل فرد ذاتيته الأخلاقية، فبأي حق لي أن أفرض ذاتيتي الأخلاقية على ذاتية ذلك الموظف الاخلاقية؟

بل بأي حق لي أن أتهم ذاتية هتلر الداروينية العقلانية العلمية الرصينة؟

فالعلم المنفصل عن القيمة يستحيل نقده من خلال منظومة علمانية هي الأُخرى منفصلة عن القيمة!

والديموقراطية تدور في إطار النسبية الكاملة وترتبط بعدد الأصابع الموافقة بغض النظر عن القيمة والغاية للقرار المُتخذ، حيث يتم تمرير مشروع أي قانون بفرق صوت واحد، وهذا جائز ديموقراطيًّا بغض النظر عن طبيعة القانون أو مادته.

المشروع الإمبريالي الغربي قامت به حكومات تم انتخابها بطرق ديموقراطية سليمة، وعمليات السخرة والإبادة كانت تحظى بالموافقة فهي مسموح بها ديموقراطيًّا، هل علينا أن نقبل بهذه القرارات بما أنها نابعة من إرادة الشعب أم نرفض هذه القرارات الديموقراطية استنادًا إلى مرجعيات أخلاقية متجاوزة؟

لا يوجد بديل ثالث متاح.

بعد ظهور الداروينية في بريطانيا على يد عالم مغمور يدعى تشارلز داروين ظهر الإنسان شيئًا ضمن الأشياء، وظهر بلا أية مرجعية عُليا، وظهر ضائعًا في هذا العالم؛ فهو نتاج تطور، وبداية هذا التطور كانت داخل مستنقع، وهذا التطور لن يقف عند الإنسان بل هو مستمرٌّ وغيرُ متوقف، والإنسان شأنه شأن الأميبا لا يتمتع بأيَّة حرية أو أعباء أخلاقية، والقانون الأخلاقي مجردُ تطور؛ ولذا فهو نسبي وقتي، فلا يوجد فارق صراحةً بين مجموعة من الشباب يخطفون فتاة ويتناوبون اغتصابها وبين ذئاب يخطفون شاة ليتلذذوا بها.البقاء هو القيمة الوحيدة والصراع هو الآلية والعالم ما هو إلا حربُ الجميع ضد الجميع، ومهما تطورت الكائنات فلن تنتج فكرًا متجاوزًا، **وقد بررت الداروينية المشروع الإمبريالي والمشروع النازي وأراحت مجرمي الحروب من أية أعباء أخلاقية.**

مع تصاعد معدلات العلمنة يتم حصر الدين أكثر فأكثر، وبعد أن يكون في المعاملات الشخصية يصير علاقة خاصة بين العبد وربه، ويزداد الحصار فتصير العلاقة قلبية وهذا أضعف الإيمان إن كان يسمى إيمانا أصلًا.

أصبحت العلمانية هي الإله الجديد ولعل الوقوف أثناء النشيد الوطني، وتقديس الدولة، والأُمة فوق الجميع؛ كل هذه مصطلحات متجاوزة وتعني انتقال صفة القداسة من الدين للدولة ومن الدولة للقوانين المادية، فالشعب ما هو إلا قوةٌ بشريةٌ متراكمةٌ توظفها الدولة للصالح العام، وبالفعل ظهرت مصطلحات مثل مصلحة الدولة العليا، وقدَر الأُمة، وتراب الوطن، وهنا أصبحت الدولة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

وقد برر أدولف أيخمان مذابحه التي ارتكبها في الفترة النازية بأنه مواطن صالح يتبع تعليمات الدولة العليا..، فداخل الدولة المطلقة نقلع النباتات المريضة ونقوم بإبادتها كما تمت إبادة ملايين اليهود والغجر، فالولاء للوطن سيحل محل الولاء لله داخل الدولة العلمانية، وقد حلت الدولة الغربية مشكلة الإثنيات العرقية عن طريق الدمج أو الإبادة أو الطرد، وحلت الدولة محل الدين فهي التي تحدد الإطار الاجتماعي والأخلاقي الذي على المواطنين أن يسيروا في حلقته، وبالتالي تآكلت الدعائم الأخلاقية والثقافية، وظهرت بدلًا عنها ثقافة المجتمع وأخلاقيات المجتمع وظهرت النُّخَب الفاسدة في الدولة العلمانية التي لا تحقق ثروتها بفضل

استثمارها بقدر ما تحققه بقدر استغلالها وانتهازيتها والرشاوي والربا والمضاربات والوسائل القذرة للربح، وهذه الدولة المدجنة بالأعلام المزخرف والمواكب البهية والتشريفات العالية، وظيفتها ليست التعبير عن إرادة الجماهير، وإنما استنزاف طاقتها الجهادية وتبديد طموحها للاستقلال.

نجاح الدولة العلمانية في الغرب مرتبط أساسًا بمدى النهب الذي مارسته أثناء الحقبة الاستعمارية فتراكم الثروات الرأسمالية هو تراكم إمبريالي-استعماري- في الأساس.

قررت كلُّ دولةٍ علمانية أن تضع نفسها فوق الجميع كما تقول كثير من الأناشيد الوطنية، وتقوم بغزو الآخر والاستيلاء على أرضه واستباحته إذا كان هذا في صالح مقدرات الدولة العليا، ويجب على الفرد أن يُذعن في هدوء باعتبار أن إرادة الأُمة هي المرجعية النهائية والوحيدة، ومع الوقت تتغول الدولة وتستأسد وتظهر الدولة التنين والتي لا تريد من الآن فصاعدًا فصل الدين عن الدولة، وإنما فصل طموحات الفرد وكل أحلامه عن الدولة، وتصبح الدولة هي المطلق واللوجس والمرجعية والغاية.

عمليات الربا والتجارة غير المشروعة تتطلب ممن يقوم بها نوعًا من الحياد والموضوعية الباردة، ومن ثَم تقوم الدولة بتفكيك العلاقات التراحمية إلى علاقات نفعية.

أدركت العلمانية الغربية أن المواجهة العسكرية مع الدول الفقيرة لنهب الثروات صارت مكلفة ومرهقة بعد انتشار وسائل الإعلام والصحوات الإسلامية وهزائم فيتنام وأفغانستان، فقررت أن تلجأ إلى التفكيك، وتصدير العلمانية إلى النخب المثقفة، وتدويل الشركات عابرة القارات، وتدجين المثقفين من خلال ندوات تُنفق عليها الملايين، وأندية الروتاري والليونز حيث يتم استئناس النخب المثقفة فيتم التركيز على الزيادة السكانية والحد من تزايد السكان، وعلينا أن نترك الندية ونعترف بالواقع وفي النهاية نستسلم للعدو.

لم تظهر مشكلة الأقليات في العالم الثالث إلا بعد اقتحام الدول العلمانية لها وتغذيتها للإثنيات والجيوب الصغيرة في الدول النامية.

النشاط الاقتصادي هو مرجعية ذاته ولا يمكن الحكم عليه من منظور خارج عنه متجاوز له، فالمجتمع ككل ينحل إلى سوق ومصنع، والمواطن الصالح هو الذي يسير حسب خطوط

الموضة ويكون منتج ومستهلك بأداتية عالية، بغض النظر عن مشاكل الاغتراب والتسلع واللامعنى واللامعيارية التي تصيب الإنسان في اقتصاديات السوق، حيث اليد الخفية لآدم سميث وآليات السوق – والسوق يتنازع المطلقية مع قيم المجتمع –، وفي الغالب النزاع يُحسم لصالح السوق لأنه الأقرب إلى الطبيعة المادية والقوانين الطبيعية، وقد قدمت العلمانية الفرصة الذهبية لكل المؤسسات الانتهازية، فالمؤسسة من حقها استخدام كل الوسائل لتنفيذ غاياتها، والدولة في هذا لا تهدف إلى إشباع حاجة سكانها بقدر ما تهدف الى زيادة ثرواتها وإنتاجيتها وقوتها العسكرية والاقتصادية.

في المجتمعات التقليدية–الدينية– فإن العمل هو فقط لتحقيق الحاجات الأساسية، وهو ليس غاية في حد ذاته فحياة الإنسان ليست مُكرسة تمامًا للعمل، والهدف من العملية الإنتاجية ليس مراكمة رؤوس الأموال وإنما إشباع الحاجة..، وبنية المجتمع التقليدي مستقرة ولا يوجد تفكك أُسري إذ لا حاجة لتفتيت الاسرة من أجل تراكم المال.

سيادة مجموعة القيم التي لا علاقة لها بالفرد هو جوهر الحداثة، وتحل الوظيفة الاقتصادية محل العواطف والمشاعر الإنسانية والأخلاقية والمعنوية.

مع الوقت تُصبح العبادات داخل المنظومة العلمانية مصدرًا للهدوء النفسي فحسب، ويصبح الانتماء للمسجد مثل الانتماء لنادي لعب الشطرنج – على حد تعبير رودنسون– .

الشذوذ الجنسي يصبح داخل المنظومة العلمانية ميلًا جنسيًّا، والعاهرة تصبح عاملة جنس، واستخدام العنف يسمى موازين القوى، والإذعان للعنف يصبح مقدرة على التكيف، والحروب الغربية تصبح حروب عالمية.

العلماني شخص غير قادر على إرجاء إشباع رغباته، فهو يريد الآن وهنا؛ ولذا فكلمة علمانية تعني في أحد تعريفاتها زمانية.

مشكلة الاقتصاد العلماني أنه يدور في إطار بعيد عن الغائية أو القيمة الخلقية، وفي إطار تصعيد للاستهلاك لم يطالب به أحد.

الممثلة وعارضة الأزياء كلها في الغالب وظائف تدور في إطار جسد المرأة ولا تتجاوزه، فالمرأة تتحرك في أوساط مشبوهة وحياتها الخاصة مِلكٌ للجميع، وتلعب أدوراً تتطلب منها

استباحة جسدها للجمهور، ومع ذلك تلقى هذه الوظائف في المجتمع العلماني كلَّ العناية والترحيب والتبجيل ؛ لأنه مجتمع بلا غاية أو قيمة معيارية أو مرجعية أخلاقية أو قيمية.. يُلاحَظ أن الكثير من مصممي الأزياء من الشواذ جنسيًّا.

عملية علمنة الأسرة ظهرت أول ما ظهرت في حقوق المرأة ثم حقوق الطفل، ثم تفككت الأُسرة واختفت حيث تحل العلاقات التعاقدية محل العلاقات التراحمية، وتنهار الأُسرة إذ يسعى أبناؤها لتراكم رأس المال بمجرد البلوغ، ويتحول الأطفال إلى وحدات اقتصادية منتجة، وتبدأ مؤسسة الزواج في الاختفاء وتحل محلها علاقات أكثر حيادًا ونفعية.

إذا اجتمع رجل وامرأة في الغرب فإنهما لا يُحسان بوجود الشيطان بينهما ؛ لأن عالمهما أصبح حياديًّا تمامًا خاليًا من القداسة أو الخير أو الشر، كل ما يتطلبه اللقاء شهادة خلو من مرض الإيدز مُعتمده بتاريخ حديث.

السائح هو باحثٌ شرِه عن اللذة وقد يود مشاهدة الآثار لكنه لا يطيق التاريخ.

الرياضة بدلًا من أن تكون وسيلة لتهذيب النفس وصحة البدن تتحول إلى قمة الصراع الدارويني ويصبح الهدف تحقيق الأرقام القياسية التي تتجاوز قدرة الإنسان، ويتم علمنة اللاعب إلى أقصى حد فهو يُدرَّب تدريبًا قاسِيًا، ثم يُباع الى دول مختلفة ثم يُستخدم في النهاية كإعلان لبيع السلع.

هناك فرقٌ بين الجريمة التي تُرتكب في دولة علمانية وأُخرى دينية، فعندما يقوم جيش من العلماء والخبراء والفنيين بتصنيع سلاح كيماوي ثم تسليطه على مدينة ما، فنحن لا نستطيع ان نُلقي بالمسئولية على شخص بعينه حتى الذي يضرب السلاح، فالكل يعمل بمنتهى الكفاءة بدون ضحك أو بكاء بدون تحريم أو قداسة ؛ لذا كان الجنود الألمان ممنوعين من الإساءة لليهود وهم في طريقهم لأفران الغاز؛ لأن ركل السجين هو تصرف إنساني سلبي ومع أنه سلبي إلا أنه يظل في إطار إنساني، فإذا قام الجندي بركل سجين اليوم، فربما يشعر غدًا بالشفقة على شيخ كبير أو طفل، وبعد غدٍ ربما يقع في حب إحدى الفتيات وهي في طريقها للحرق، وهنا يصبح إنسانًا مُركبًا ذا أبعادٍ جوانية، وهذا الإنسان لا يصلح في دولة علمانية حيث سيؤدي حتمًا إلى خللٍ ما، وهذا يفسر لنا كيف كانت ألمانيا النازية تعاقب أي جندي ألماني يُسيء إلى أحد

اليهود وهو في طريقه للحرق في أفران الغاز.

مفهوم "الإنسانية جمعاء" هو مفهوم أخلاقي قِيمي متجاوز، وليس هناك ما يُلزم الإنساني الطبيعي بتلك القيود والمُثل غير المادية.

نهاية التاريخ مرتبطة دائمًا بنهاية الإنسان حيث تنتهي الظاهرة الإنسانية كظاهرة مُركبة وكحيز للخيارات الإنسانية؛ يرى فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ أن نهاية الإنسان بنهاية التاريخ وتطبيق الليبرالية على العالم أجمع هذا أمرٌ غيرُ سيءٍ، فاختفاء الإنسان ليس كارثة كونية، ولا هو كارثة بيولوجية فالإنسان سيبقى حيًّا كالحيوانات منسجمًا مع المادة، ما سيختفي هو الإنسان بمعناه الشائع، فيتحول الإنسان إلى شيء ضمن الأشياء ويسيل العالم كله داخل قوانين المادة الصامتة عندها فحسب تنتصر الليبرالية!

الحداثة هي رؤية تتغير كل أسبوع تقريبًا لكن تعتمد أساسًا على غياب المرجعيات والقيم المُطلقة.

نحن نعرف إمبراطوريات ظهرت في الهند والصين وأمريكا الجنوبية، وكل هذه الإمبراطوريات انتهت دون أن تترك أثرًا في أُوربا، أما الحضارة الغربية الحديثة فهي تعتبر نفسها المُطلق الذي يجب على الجميع اتباعه، وتتحدد مرتبة الدولة حسب اقترابها او ابتعادها من أُسس الحضارة الغربية الحديثة وهذا أمر مُستهجن نظريًّا وعمليًّا.

الغرب يقدم دعمه للعالم العربي فقط؛ لأنه يحتاج أن يتحول العالم إلى شبه مصنع وشبه سوبر ماركت، فالبدوي في صحراء نجد والفلاح في صعيد مصر كل هؤلاء لن يحتاجوا الهامبورجر أو التي شيرت أو البنطلون الجينز، وهم بهذا يقفون في وجه علمنة العالم بقسوة بسبب تقاليدهم ومن ثم لا يمكن تجويعهم أو حرمانهم، فهم ثغرة داخل النظام العالمي الجديد.

عندما تصل العلمانية إلى الجميع تختفي كل المنحنيات وتنبسط كل النتوءات، ويظهر بشر ذوو بُعْدٍ واحد وتختفي الذاتية والخصوصية والعمق والحضارة والإنسان.

المساواة التي يريدها النظام العلماني هي ليست مساواة ولكن تسوية، أي رفض كل الخصوصيات والمركزيات والمطلقات، فالجميع مادة استعمالية حيث يتم تفكيك أسلحة الآخرين القيمية والحضارية والأخلاقية وينصب العلماني سلاحه هو في المركز.

المطلوب إنسانٌ اقتصادي مادي لا ذاكرة له، وشرقٌ عربيٌّ مَرِنٌ قادرٌ على تنفيذ المطلوب ببراءة وحيادية.

السياحة تُسهل اللذة حيث تتوقف العلاقات التراحمية وتظهر العلاقات التعاقدية، فالمجتمع المغلق يعيش في إطار المقدس والحلال والحرام، فمن العسير تحقيق اللذة في مجتمع كهذا يُغلِّب تأنيب الضمير على اللذة الوقتية ؛ لذا دائما تكون اللذة أسهل في مجتمع منفتح مباح.

الدولة المركزية الحديثة لا تطلب دفع الضرائب فحسب، وإنما أيضًا الولاء الكامل لكل طقوس الدولة.

فكرة الروح تفترض أن كل فرد مختلفٌ عن الآخر، وأنه حُرٌّ ومسئول مسئوليةً مباشرة عن أفعاله.

لماذا دائمًا نفترض أن تدمير العالم شرٌّ وتشجيره خير؟

صراحةً لا يوجد ماديًّا دليلٌ واحد على أن التدميرَ شرٌّ أو التشجيرَ خيرٌ، فالمادة حركة بلا غاية يستوي فيها التدمير والتشجير.

أصبحت العدمية زائرًا دائمًا بيننا على حد قول نيتشة.

تراكم السلع يؤدي إلى افتقار دائم للاتزان وفقدان التحكم واختفاء الحدود، وهو افتقار ذو تكلفة عالية إنسانيًّا وقد أدى التركز نحو اللذة إلى زيادة معدلات الجريمة وتفكك الأسرة والعبثية والعدمية.

القفص الحديدي عند فيبر.. السجن الحديدي عند زيميل.. الإنسان ذو البعد الواحد عند ماركوز .. كلها مصطلحات أفرزتها العلمانية، فالإنسان في العالم العلماني ذرة لا معنى لها.

دائمًا ما يصحب التقدمَ العلميَّ تخلفٌ كونيٌّ، فالتلوث وأسلحة الدمار الشامل وثقب الأوزون وتلوث البحار وتزايد ثاني أكسيد الكربون تخلف كوني لا ينفك عن هذا العالم، والتقدم العلمي يفيد الغرب وحده بينما التخلف الكوني يضرنا جميعًا.

ثمة إحصائية تقول إنه لو تم حساب كل ما لمشروع صناعي وما عليه فستكون جميع

المشاريع الصناعية خاسرة، فالغرب حقق ما حقق من نجاح لأن الآخرين دفعوا الثمن.

يربط فيبر بين الإنسان الوثني وبين العلماني فكلاهما يفتقر للمرجعية الأخلاقية والقيمية والمطلقية المتجاوزة، والإنسان يعيش في عالم يفتقر إلى المركز ويتسم بتعدد العقائد والنسق المعرفية والآلهة المحلية للحصول على تهدئة مؤقته؛ لذا هو دائم التقدم بقرابين، دائم القلق، وفي نفس الوقت فإن من خصائص الوثني الأنانية والاستغراق في المُتَع.

الحداثة هي انفصال الإنسان عن العلاقات الكونية المتجاوزة، ليُخضع كل علاقات البشر للتفاوض وللعلاقات التعاقدية.

"الإنسان مجموعةٌ من الرغبات المادية التي لا تُشبع"، والنمو المتزايد في السلع مرتبط دائمًا بهذا الافتراض، وهذه السلع لا يمكن الحصول عليها إلا بمزيد من بذل الجهد، وهكذا يدخل الإنسان دوامة العلمانية وينهار في النهاية لصالح المادة التي لا تنتهي.

في النظم الاشتراكية يظهر دائماً بطل الإنتاج الذي كفاءته تفوق دائمًا كفاءة أي إنسان سَوِيٍّ، فهو إنسانٌ وظيفيٌّ عمليٌّ توحَّد تمامًا مع وظيفته، ثم هو يراكم الثروات ويقمع ذاته تمامًا، ويظل الترويج لهذه الشخصية في الإعلام العلماني مع عدم ذكر أي شيء عن التكلفة النفسية والأخلاقية لعملية اختزال الإنسان.

في العلمانية الإنسان مجرد ظاهرة لا سرَّ فيه ولا غاية لوجوده.

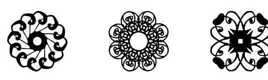
المنظومات العلمانية كثيرًا ما تستورد مصطلحاتٍ ومفاهيمَ دينيةٍ دون أي التزام بالأعباء الأخلاقية المرتبطة بهذه المفاهيم، وعندما كان الرجل الأبيض يبيد الحضارات بأكملها كان يتحدث عن عبء الرجل الأبيض.

عندما سُئل هتلر عن سبب كرهه لليهود أجاب: لا يمكن أن يكون هناك شعبان مُختاران.

العلمانية لا يمكنها أن تعيش إلا على التوسع وإلغاء الآخر.

هيأت العلمانية للصهيونية والنازية والفاشية. – وقد تحدثنا في الفصل السادس باستفاضة عن كَون الصهونية عقيدة إلحادية علمانية بامتياز، في مقال" الصهيونية عقيدة إلحادية وليست توراتية"–.

اكتشفت العلمانية أخيرًا إفلاس مبدأ اللذة والمنفعة في جلب السعادة للإنسان، وبالتالي ظهرت أزمة المعنى، وحاول العلمانيون البحث عن السعادة وراء التضحية بالمال أو تبني الفقراء، ولكن هذه أيضًا لم تجلب اللذة المطلوبة، فالعلماني حتى في تضحيته هو أناني وفي بذله هو منفعي[١].



(١) هذا المقال من وحي كتب د.عبد الوهاب المسيري رحمه الله، وخاصةً كتاب العلمانية الجزئية العلمانية الشاملة، دار الشروق، طبعة ٢٠٠٢.

الجرعة الثالثة والخمسون

أروع ما كتب علي عزت بيجوفيتش في نقد الإلحاد*

كان عام ١٩٨٨ هو زمن المراجعات الراديكالية للأفكار والقناعات في خضم التجربة الفاشلة للحكومات الشيوعية في شرق أوربا، والتي انتهت بأكبر ضربة للإلحاد في التاريخ وهي سقوط سور برلين وسقوط الإلحاد معه عام ١٩٨٩.

يُعرِّف هيجل الزنوج والهنود والصينيين بصورة سيئة للغاية فعلى سبيل المثال يقول : "لا يوجد في شخصية الزنجي ما يشبه الإنسان".– هيجل فلسفة التاريخ –

الفرد هو الذي يوصف بأنه أخلاقي أو غير أخلاقي وليس الشعب.

في المهابهارتا يوجد الوحي الإلهي يشع ظاهرًا من بعض الجمل، وفي نفس الوقت هناك وثنيةٌ من أحَط الأنواع.

لماذا السماء الزرقاء والقمر الحالم أقرب وأكثر واقعية إلى حقيقة الشاعر من الحقيقة العلمية؟ الحقيقة أن الجواب في طبيعتنا وفي أصلنا.

عندما نقول: إن عمل كل فنان حقيقيّ هو في الواقع سيرةٌ ذاتيةٌ، فإننا طبعًا لا نقرر أن المغامرات التي يقوم بها أبطاله تحدث في حياة هذا الكاتب، بل نقرر أن وصفَ الحياة الداخلية، كالحيرة والشك والعذاب وخصوصًا هذه الأخيرة هو تحليل حياته الخاصة، وهي كلها صفات ملازمة للروح.

الجوع كان يساعدني في السجن ؛ لأن فراغ الروح وامتلاء المعدة هي من أسوأ الاختلاطات، لماذا الأمر هكذا؟ التفكير بهذا يمكن أن يؤدي إلى أن تعرف حقيقة ما هو إنساني أكثر من أعمق المحاورات الفلسفية حول هذا الموضوع.

أسبقية الروح ليس ضروريًّا إثباتها بشيء من خارجها فهي تؤكد ذاتها بذاتها.

وحدها الفلسفة التي تأخذ في حسابها الموت هي فلسفة حقة ؛ لأنه يبقى السؤال: كيف يمكن الحديث بشكل حقيقي عن الحياة؟

في الحب بين الرجل والمرأة تأكيدٌ للفردانية والخصوصية، فمعنى أحبك وحدك أنني أفرق

بينك وبين كل الأخريات، وليس معنى ذلك أنها أجمل من الأخريات وإنما مغايرةٌ، وفي هذا لا وجود للمساواتية المادية.

القضاء على الخصوصية هي العذاب الوحيدُ داخل المعتقلات، وفي هذا دليلٌ على خطأ من يتصور المجتمعَ البشري مجموعةً من الكينونات المتساوية.

لماذا يُعبر الشِّعر عن الروح أفضل مما يعبر علم النفس الإكلينيكي..؟ لماذا شكسبير وليس فرويد... لماذا نحن لسنا قانعين بما هو أفضل لنا؟ لماذا تنمو الفلسفة المتشائمة في مناطق الوفرة؟ لماذا يكون تأثير الراحة على الإنسان سالبًا؟ هذه الأسئلة لا معنى لها إذا كانت الروح أرضية!!

السماء ذات النجوم لا يطفئها إلا نور النهار، إن الظلام يساعدنا على أن نرى شيئًا متفردًا بل وربما ساحرًا.

ذهبت إلى المترو مبكرًا، وركبت المترو ثم وصلت الجامعة، وحضرت محاضراتي، وعدت قافلًا إلى المنزل.......، هذه العبارات لا تصلح أن تكون رواية أو قصة قصيرة؛ لأنها تخلو من عنصري الخير والشر...، ولا توجد رواية عبر التاريخ كله تخلو من عنصري الخير والشر؛ لأنهما سرُّ الوجود الإنساني وسر التكليف!!

محاولة هايدجر إنشاء فلسفة وجودية خالية من الميتافيزيقيا، وصلت باعترافه للفشل.

أخبرتني أمي أن جدي توقف عن المسكرات بعد أن قام أحد أفراد العائلة بتعيير ابنته بأنها ابنة السكير...، ربما ضياع الكرامة الإنسانية للسكير هي السبب المباشر لتحريمه، فالعقيدة يمكن أن تبقى لا مبالية لهذا القدر من الضرر والفائدة ولكن لا يمكن أن تبقى لا مبالية لإهانة الكرامة الإنسانية.

من بين الحقائق البشعة اللاحقيقة فهي الأكثر بشاعة.

في الوقت الذي اهتزت فيه نابولي لعروض الممثل كارلينيا karlinija جاء رجل إلى طبيب مشهور في تلك المدينة للسؤال عن دواء للسوداوية المفرطة-الاكتئاب-، فنصحه الطبيب بالبحث عن تسلية والذهاب إلى عروض كارلينيا، فأجابه المريض : أنا كارلينيا.

السوداوية هي قضية الروح وليس النفس؛ ولذا هي مثار اهتمام الشعراء والفلاسفة وليس علماء النفس.

سقراط ذو الوجه القبيح أحبه الجميع، وربما هذا يمثل جزءًا من الجواب عن سؤال :ما هي الروح الإنسانية!!؟

اللامعنى هو الضياع المصيري في الصدفة.

أقوى قصص الحب تنتهي بموت العاشق والأقل تنتهي بالزواج، هذا سر من أسرار الروح!!

الذي أثبته كوبرنيكوس يعارض الحواس لكنه حقيقي.

الإعجاب بالبطل لا ينتهي عندما يقوم بنوع من التضحية غير الهادفة.

إن بطولة البطل في أحد تعريفاتها هي انتصار للروح على المادة والعقل معًا –عبر التضحية–.

التضحية بشكل عام عمل غير عقلاني يمكن أن تفعلها بدافع المشاعر لا بدافع العقل.

في الرواية؛ تكون قوة الرواية بقوة الصراعات الأخلاقية التي يؤديها الأبطال ؛ ولذا يمكن أن يكون الملك شخصية فرعية وغير هامة في الرواية، ويكون الخادم هو البطل ؛لأن الصراع بين الخير والشر يدور في إطاره بصيغة أكثر عمقًا.

لماذا يجب أن تكون عادلًا؟ تبين أن أي تفسير هو ضرب من العبث.

كتب نيتشة بأنه يحتقر الضعفاء والأخلاقيين والعبيد؛ بالنسبة له هؤلاء من صنفٍ واحد.

الإنسان الذي لا يتطلع إلى النجوم كثيرًا يفقد الاتجاه.

التفكير في المأساة هو عمل ميتافيزيقي، بدون إله لا توجد مأساة يوجد فقط حادث.

الأخلاق إذا كانت حقة فإنها ترتبط دومًا بالتضحية والمعاناة وإلا كانت تمثيلًا ونفاقًا.

الفن البدائي – الغرابة المتوحشة – التشكيل الزنجي – النقوش – التطريز – الأقنعة – المزامير – رسوم جدران الكهوف للإنسان الأول، كل هذه الصراعات تعبر عن الوعي الأخلاقي المتجذر منذ الإنسان الأول.

موت البطل هو انتصار وشرف وعِزة....... يمكن فهم هذه العبارة فقط في وجود الروح.

العالم أُعجوبة كبرى ولكننا نعتاد على هذه الأُعجوبة.

زهرة اللوتس رمز ديني هندي وفرعوني قديم، فاللوتس تنشأ من الطين وتنتشر على سطح الماء ولا تخضع لأيٍّ منهما، إنها التمرد على الطبيعة والمادة في الفكر الميثولوجي القديم.

كلُّ ديانة في بدايتها تكون طاهرة ولكن الناس يفسدونها.

لا يوجد إنسانٌ لم يمتلك الحد الأدنى من الحرية، وهذا الحد الأدنى حريةٌ كاملةٌ وهي لا تكون أقل أو أكثر.

المؤمن إيمانًا عميقًا والملحد لا يزوران العيادات النفسية فقط الباحثون والشُّكاك..، المؤمنون يبحثون ويجدون، والملحدون لا يبحثون ولا يجدون، والنمط الثالث يبحثون ولم يجدوا بعد.

بدون الله فإن الحياة تعود إلى ميكانيكا وتصبح لا حياة.

لا يمكن البرهنة على التوجه الغائي ولذا فهو غير موجود على حد تعبير الملحدين، لكن أيضاً لا يمكن البرهنة على نهائية السماء أو لا نهائيتها!!

التضحية هي المفهوم المركزي للإيمان.

كل ما له قيمة في حياة الإنسان وكل مشاعره غير عقلانية...، ما هو عقلاني أنانيته ومصالحه القريبة!!

لا يوجد تفسيرٌ تاريخي أو مادي لظهور موسى وعيسى ومحمد، لكن كان كل واحد من هؤلاء بداية جديدة وعصر جديد للتاريخ وثورة روحية كبرى.

تدخل الشعوب التاريخ أغنياء في الأخلاق وفقراء ماديًّا، وعندما يخرجون من التاريخ فإن الوضع عادةً يكون معكوسًا ؛ تعيش الحضارات في بدايتها عادةً على حساب احتياطي أخلاقي كبير وبعد فترةٍ ما تشيخ الحضارة ويدُبُّ الوَهَنُ في الأخلاق ويفسَدُ الدين، وغداة السقوط يظهر على مسرح التاريخ الإلحاد والتحلل الأُسري والانحلال الأخلاقي.

تأتي الثورة الجنسية في فترات شيخوخة الأمم.

ربة البيت هي العامل الذي يعمل يوميا ١٠-١٢ ساعة، ونَصِفُها نحن في إحصاءاتنا بأنها شخصٌ عاطل عن العمل، نعرف جميعًا جيدًا كم هي المرأة عاملة، ولكننا في الوقت نفسه نتظاهر بأننا لا نرى ذلك،هذا التجاهل لعمل المرأة هو أحد جوانب الضغط على المرأة لترك البيت وإدارة الظهر للعائلة.

تأسست في النرويج مجموعةُ عملٍ ضدَّ البورنوغرافيا والدعارة، وضمت المجموعة عُشر سكان النرويج، واعتبرت المجموعة أن الدعارة عملٌ ضد كرامة المرأة وضد حقوق الإنسان، ولكن الدعارة في النرويج تظل سَمْتَ المدينةِ والقرية....، الشهوانية تنتصر على الروح.

علمنا هكسلي أن اليوتوبيا ممكنة ولذا فهي خطرة.

من السهل أن يُلحد الإنسان، وهذا مكمن خطورة هذا الفكر لكن هذا يعني إلى حدٍ ما سطحيته.

أجاب لينين عما سيحل محل دور العبادة فقال المسارح.

العلاقة الجنسية مع شخص تحت الرابعة عشرة في إيطاليا عمل إجرامي، تم منذ فترة إطلاق مبادرة للتخفيض إلى سن الثانية عشرة.

أن تكون ضعيفًا هذه خطيئة من وجهة نظر التاريخ، أن تكون ضعيفًا في التاريخ هو عمل لاأخلاقي.

ملايين يُقتلون باسم الأيديولوجيا الإلحادية ولا أحد يلتفت لذلك إلا قليلاً.

يقول ماركس أن نظريته التاريخية اعتمدت أساساً على كتاب الأمير لمكيافيللي.

ليس ملحدًا من يعتقد نفسه كذلك.

الشركات الصغيرة تملك القدرة على الابتكار أكثر ب٢٥ مرة من الشركات الكبيرة.

الحيوان الاجتماعي لن يتحول إلى إنسان اجتماعي.

الخيرات المادية كالفولاذ والسيارات والصواريخ، لا يمكن أن تُعادل طفولة سعيدة على المستوى الفردي.

هوجو جريتوس أكبر حقوقي في العالم لم ينظر إلى العبودية على أنها غيرُ طبيعية أو غيرُ

مسموح بها..، الحرية بالنسبة له خير مُستلب.

يقول الفيلسوف الفرنسي إميل سيوران : "باريس ماخور كبير، الإنسان سيتلاشى كانت هذه قناعتي الصلبة، أما الآن فأقول يجب على الإنسان أن يتلاشى".

أحد الأهداف المُعلنة لحركة الدفاع عن المرأة هي النضال ضد تمجيد الأمومة.

مشاركة النساء في البرلمانات ٧٪ إيطاليا.. ١٥٪ ألمانيا.. ٨٪ أيرلندا.

حوداث الاغتصاب أكثر بمئات المرات في دول الحرية الجنسية بالمقارنة مع تلك التي نسميها محافظة.

في البرازيل ٧ مليون من القاصرات ٨-١٢ سنة يعشن على الدعارة.

دعت الثورة الفرنسية إلى العقل، وباسم العقل قتلت مئات الآلاف من العقلاء.

كلُّ دين كان نقيًّا في بدايته pramonoteizam.

في كتاب الحكمة نُشاهد هذه العبارة (لم تظهر الأصنام منذ البداية وإنما اختلقها الناس الشرفاء).- فلسفة التاريخ هيجل -.

جوهرُ الروح هي الحرية - فلسفة التاريخ هيجل -.

أبو الهول على غرار الإنسان مخلوقٌ ثنائيُّ المعنى - فلسفة التاريخ هيجل -.

الروح الخالدة تعنى أن الإنسان قيمته لا تقدر بثمن - فلسفة التاريخ هيجل -.

لا يوجد للفن تاريخٌ لأنه لا يعرف سوى الحاضر، وليس له محطات زمان أو مكان فقد تحدَّث بيكاسو عن أن الأقنعة البدائية عندما تعرف عليها، فهِم الرسمَ على حقيقته، الفن يُظهر تركيبية الإنسان.

الحجُّ نوعٌ من اليوتوبيا، لحظة مساواتية نادرة.

صنع الصينيون البارود منذ ٣آلاف عام لأغراض الطقوس والاحتفالات إلى أن استعمله الأوربيون ماديًّا في معاركهم.

الرسم يتراجع منذ العصر الحجري.. الرسام الأسباني خوان ميرو.

الأسئلة الأكثر براءة هي في الحقيقة الأكثر أهمية.

الحيوان لم يكن في الجنة ولم يُطرد منها؛ لذا فهو بريءٌ أخلاقيًّا.

أومن بالمسيح وليس بالمسيحية.. جراهام بيلي.

العمل الفني – الرواية – الدين – الطقوس – كلها تُمثل معركة الإنسان الكبرى بين المثالية والشهوات.

العلم يبحث عن الحقيقة، والفن والدين يخترقان الحقيقة لما وراءها.

في عام ١٩٠٥ عالج فرويد الشاب هانس جراف ابن صديقه، كان لدى هانس خوف عصابي من الحصان، وكان يرفض الخروج من البيت، وأثناء المعالجة النفسية التحليلية افترض فرويد تشخيصًا غريبًا معقدًا، فالخوف العصابي من الحصان شعور بالذنب بسبب الرغبة الخفية للشاب لابتداء علاقة جنسية مع والدته، وهذه الرغبة الجامحة كما يوضح فرويد يخفيها هانس الشاب في أعماقه خوفًا من عقاب والده الغيور، وعرض فرويد لاحقًا نتائج التحليل لهذا الحدث في نشرة "تحليل فوبيا الشاب ذي الخمسة أعوام"، والتي يعتقد أتباع فرويد بأن فيها إثباتات سريرية لنظرية فرويد عن عقدة أوديب.

تلميذ فرويد إيسلر كورت الذي يعيش في نيويورك، قال بارتياح عندما اعترف هانس الصغير لوالده عن رغباته الأوديبية كانت تلك لحظة نجومية لكل الجنس البشري. توجد رغبة لدى الملحدين والماديين، رغبة غير قابلة للتفسير لهدم كل القداسات واحترام الإنسان.

في كتاب "هُنا تاهَ فرويد" تم دحض التحليل الفرويدي على يد كريستوفر ايشنربور، حيث قدّم تفسيرًا مغايرًا تمامًا حول خوف الطفل من الحصان، فالطفل في فترة نموه العصبي غير المباشر رأى وعاء على هيئة حصان وقع على البلاط وهو مربوط بجهاز الحصان وتخبط بلا عون وهزه كثيرًا، وخلص إلى أن نظرية فرويد ليس بها برهانٌ علمي مقبول.

البيولوجي البريطاني الحائز على نوبل " بيتر ميسدافار" رأى أن علم النفس التحليلي الفرويدي أفظع خدعة في القرن العشرين، وفرويد نفسه تخلى عن نظريته " مضاجعة المحارم"، فهذه النظرية هي صياغة للميثولوجيا اليونانية كما يقول الرسام اندريه مارسون.

رد الفعل الشرطي عند تطبيقه على الإنسان نكتشف أنه خاطئ تمامًا.

كلُّ ديانة تعتبر العالم ليس جائزة بل ابتلاء، إلا اليهود وهنا يكمن إلحادهم وتأسيسهم للإلحاد.

الكتابة هي الشر الضروري للثقافة.

ينكر معظم الموسيقيين من ناحية مبدئية إمكانية التحليل العلمي للعمل الموسيقي.

الإلحاد يُصر على براءة المجرم وحتمية الطبيعة.. الإلحاد يقف بجوار المجرم بينما يقف الدين بجوار الضحية.

يقول فروم:" إنسان العصر الوسيط يمكن اعتباره سعيدًا".

لم يشرع القتل الرحيم إلا في ألمانيا وفورًا قُتل ربع مليون نسمة.

الرسم هو الإنسان ضد ذاته.. ديبتس.

الإنسان وحده يستطيع الصيام، يستطيع التعفف.

لكي يكون الإنسان مذنبًا فهذا يعني أن يكون مُؤَهَّلًا للخطأ، وهذا يعني أن الإنسان فوق حجمه الطبيعي بكثير.

في زمن الحكم التركي بُنيت المعابد اليهودية في الحاضرات الإسلامية.

لم تكن الأندلس يوم انهزم المسلمون فيها ضعيفة عسكريًّا وإنما روحيًّا.

عندما يكون الإنسان حيواناً فعلاً تكون الآداب والأشعار لغوًا فارغًا.

عبَّر مالكوم إكس بطريقة حاذقة عن غياب أَيَّةِ مشاعرَ عنصريةٍ في العالم الإسلامي بما أسماه عمى الألوان، فهم لا يُميزون بين البيض والسود.

وفقًا لهيجل فإن العقوبة هي الحق الإنساني للمجرم – هيجل مبادئ فلسفة الحق – ؛ لأن العقوبة كانتقام هي نتيجة الحرية ؛ ولذا فإن المجرم المعاقَب يصبح إنسانًا من خلال العقوبة ويتأكد كإنسان.

برهن بيتر كرابوتكين على أنه لن يكون في المجتمع الاشتراكي أبدًا عقوبة.

لاحظ أحدهم أن معظم أنطولوجيا هايدجر الوجودي مُهددة بالانقلاب إلى صوفية كونية، وكما هو معروف حدث شيءٌ مشابه في النهاية.

الأخلاق لا تاريخ لها..... الملحد سارتر

الفن هو اسمٌ لعدم التطابق بين الإنسان والعالم، فهو تعبير عن الضيق، واحتجاج ضد العالم والذي هو بمقياسه ليس ملكه، وهو محاولة الفنان لخلق عالم موازٍ متطابق مع حلمه. الفن هو ذلك العالم الجديد المختلف.

يقول هنري ميلر في إحدى المناسبات: إنه واثق جدًّا من أن الفن سيختفي يومًا ما في الدولة الملحدة.

الإنسان يختار راضيًا أن يكون من نسل القرد وليس من نسل الله، إذا كان هذا خياره فعليه تحمل النتائج.. سفيتسلاف باسار.

لا وجود للتراجيديا في عالم داروين، من أين إعجابنا بالأبطال الخاسرين؟

من أين مصدر إعجابنا بالأبطال الساقطين والذين يُلاحقوننا من الإلياذة إلى الآن؟

الإعجاب بالضحايا لا نجده في العقل وإنما في الروح فقط.

تضحية البطل من أجل الحق شيءٌ في روحنا، وقريب من الإنسان، مفهوم يقاوم تفسير كل العلوم... في العالم الإلحادي التفسيرات ماديةٌ وباردة، لا توجد مأساة وإنما يوجد حادث..!!

الداروينية شرط للستالينية..، اختلاف التصفيات البشرية وتطورها لا يمكن إلا في عالم ليس فيه إلهٌ، وليس بالطبع فيه إنسان.

قال البيروني: إن الأرض تدور حول الشمس قبل كوبرنيكوس بخمسة قرون، ولم يوصم بالهرطقة فالمسيحية تؤمن بالإنسان الإله.

عندما أَعرف شخصيًّا ما هو الفن فلن أُصرح بذلك لأحد سأحتفظ بالأمر لذاتي.. بيكاسو.

رأس المال الأخلاقي الذي نأتي به إلى العالم واحد لدى كل الناس.

في القفزة الاشتراكية الملحدة الكبيرة التي شهدتها الصين في نهاية الخمسينات حيث أُجبر جميع الناس على عمل واحد في نفس الوقت، تحت سيادة الاشتراكية العلمية في الصين أنتج

٦٠ مليون صيني خلال عام واحد ٢,٢ مليون طن فولاذ، بينما كان ينتج مليون عامل ٩ مليون طن فولاذ في الوقت ذاته وبنقاوة أفضل بكثير.

في بلغاريا تم هدم ١٢٩٩ مسجد عام ١٩٥٦ وتم إلغاء القوميات والإثنيات الصغيرة،وصدر القرار الشهير "أولئك الذين لا يرغبون في العيش في القرى والمدن ويريدون الرحيل فإن السلطات المختصة ستؤمِن هجرتهم خلال ٣-٤ ساعات "، هذه الكلمة قالها ستانكو تودوروف رئيس الجمعية الشعبية الإلحادية لبلغاريا عام ١٩٨٥.

اعتبر لينين الدعاية المعادية للشيوعية الإلحادية هي واحدة من أصل ست جرائم جنائية تعاقَب بالإعدام RSFSR... القانون الجنائي الذي قدمه لينين عام ١٩٢٢.

محاولة الإنسان إقامة جنة على الأرض بعيدًا عن الدين انتهت إلى إقامة أضخم جحيم في تاريخ البشرية.

أدب المعتقلات نشأ في الدول الإلحادية.

معسكرات الاعتقال الألمانية تبقى اتهامًا قاسياً ضد ما يُسمى بالإنسان المتحضر، وتُشير إلى أنه بدون أخلاق، لا يمكن خلق نموج مقبول للحياة.

النازية والستالينية بمعسكرات اعتقالها وجرائمها الغامضة تبقى إدانة للحضارة الغربية؛ لأنها وكيفما نظرنا إليها فإن هذه الوسائل الغربية والمنفذين لها كانوا من ممكنات هذه الحضارة والاحتمالات التي تحققت.

يقول لينين: دكتاتورية البروليتاريا ترتكز سلطتها على العنف... هذه الإشادة بالعنف لا تغضبنا وإنما تصدمنا.

في لينغراد يقع متحف الإلحاد في أقدم كنائس المدينة.

الاشتراكية الحقيقية هي تفاؤلية إكراهية.

أُنشئ عام ١٩٢٥ في الاتحاد السوفيتي اتحاد الملحدين المقاتلين وصدرت صحيفة الملحد المقاتل في نفس الوقت تقريبًا.

مات في حملات التطهير الاستالينية من عام ١٩٣٦-١٩٣٩ من ٨-١٠ مليون نسمة.

قَتل ستالين من الشيوعيين البارزين أكثر مما فعلت البرجوازية على امتداد العالم.. رودوليبا تشولاكوفيتش.

كيف تسنى للرعونة واللاإنسانية أن تُنجب النازية والستالينية وخلال قرنٍ واحد وباسم الحضارة؟!!

٨٠٠ شيوعي تمت تصفيته تحت شعار النضال ضد التروتسكيين.

الاسم الرسمي للرقابة الحكومية السوفيتية على الأعمال الأدبية وكل الأشياء المطبوعة، هو هيئة حماية الأسرار الحكومية في الطباعة.

اللينيية والنازية توأمان.. الكاتب الروسي فاسيلي جروسمان.

في عهد ستالين الملحد كان يتم خطف النساء الجميلات عن طريق رجال بيريا ويقتادوهن إلى الرؤساء.

وافق ستالين الملحد على قائمة الشخصيات التي يتم تصفيتها جسديًّا وكانت القائمة التي أرسلها له وزير الداخلية تضم ٤ قوائم " عمومي – جنود سابقون – رجال مخابرات سابقون – زوجات أعداء الشعب "، القوائم يتم تصفيتها بالرصاص... المؤرخ السوفيتي يوري بوريشوف.

أرسل أندريه زخاروف رسالة إلى جورباتشوف وكان من بين ما كتبه أرجو تحرير السجناء المعتقلين في السجون العسكرية وفي مستشفيات الأمراض العقلية.

كانت طباعة واستيراد الإنجيل ممنوعة في الإتحاد السوفيتي حتى عام ١٩٨٨.

يرى الكسندر سولجنستين الأديب الروسي أن الإرهاب السوفيتي لم يبدأ مع ستالين، وإنما مع لينين صاحب عقيدة الكولاج، وبموجب شهادة سولجنستين فإن ٥٥ مليون سوفيتي اختفوا أثناء الحكم البولشفي.

يقول الكسندر سولجنستين في كتاب "أرخبيل الكولاج": "عندما يقف الرفيق ستالين في مؤتمر الحزب يقف الجميع ويبدأ موجة من التصفيق الحاد دقائق طويلة في مرحلة جنون لا يُطاق، ويظل التصفيق مستمرًّا بينما يقف رجال المخابرات في كل مكان، وهم متنبهون جيدًا إلى من سيتوقف أولاً، ويستمر التصفيق ما يزيد على عشر دقائق متواصلة، من أين للأجداد هذا الهوس الجماعي الذي لا يوصف ولا يقاوم؟".

يقول جوزيف برودسكي الشاعر الروسي الحاصل على نوبل للآداب عام ١٩٨٧: "في الحسابات النهائية تتألف روسيا من ضحايا وجلادين والأدوار موزعة بينهما"[١].

---

(١) هذا المقال من وحي كتاب هروبي إلى الحرية، علي عزت بيجوفيتش رحمه الله، دار الفكر دمشق –سورية ٢٠٠٤.

إلى هنا نكون أيها القارئ الكريم قد وصلنا تقريبًا إلى خاتمة الكتاب..

لكن قد يعلو على السطح سؤال: وماذا عن ديانات غير الإسلام؟

وربما لا يعرف غير الباحثين في مجال مقارنة الأديان أنه لا وجه أصلًا للمقارنة بين الإسلام وغيره من ديانات الأرض.

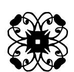
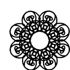
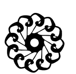
فالإسلام هو الدين التوحيدي الوحيد على وجه الأرض اليوم، ولو التفتَّ يَمنةً ويسرةً فلن تجد سوى تثليث نصراني محال عقلًا، وإيمان بإله قومي لليهود، ووثنيات أرضية هندوسية، وثيرافادا بوذية يضطرب عندها جدًّا مفهوم الإله.

فلم تعد توجد ديانة توحيدية نقية على الأرض سوى الإسلام، ولا يتصف الإله بالإرادة المطلقة إلا في الإسلام.

والذي يسوِّي بين دين الأنبياء التوحيدي النقي الحنيف وبين الديانات التعددية الوثنية الطوطمية المليئة بالخزعبلات هو شخص يريد الفرار بشنيعة كفره مرتكبًا شنيعة الكذب والزور والبهتان.

إلى هنا قد يسمح لي القارئ بوضع خاتمة للكتاب.

لكني آثرت أن ألقي الضوء أكثر على أكبر الديانات انتشارًا وهي النصرانية لبيان مدى سخف الديانة الأكثر مقارنةً بالإسلام، ومدى سقوطها بمجرد النظر في أصل أصولها فضلًا عن فروعها.

الجرعة الرابعة والخمسون

الآلهة البشرية في النصرانية

كان المسيح عليه السلام –بأبي وهو وأمي– أكثر الناس حرصًا على مصلحة أتباعه، وما تأخر لحظةً في بيان أصل عقيدته، وهذا باقٍ في الإنجيل الذي بين أيدينا إلى اليوم!

فما بين أيدينا هو من بقايا النبوات التي أخبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في خطبته بشأنها أن: "الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب".

وكان المسيح عليه السلام قويًّا في الحق، لا يخاف لومة لائم، وقد صنع يومًا سوطًا من حبال لإنكار منكرٍ رآه كما ورد في إنجيل يوحنا: "فصنع سوطًا من حبال وطرد الجميع من الهيكل، الغنم والبقر، وكب دراهم الصيارف وقلب موائدهم". إصحاح٢ عدد١٥.

ومَن كان هذا شأنه فكيف نعتقد فيه بغير ما قاله؟

وكيف ننسب إليه عقيدة لم ينطق بها يومًا؟

فهل قال المسيح يومًا بألوهيته –في الإنجيل الذي بين أيدينا اليوم –حتى نجعل نحن منه إلهًا؟

ألم يكن صريحًا قويًّا واضحًا في توحيده وعبادته لمرسله سبحانه وتعالى؟

ألم يقل المسيح في الإنجيل بالحرف: "إن اول كل الوصايا هي: اسمع يا اسرائيل. الرب الهنا رب واحد"(١).

فهو لم يقل إلا ما أمره الله به من عبادة الله وحده ﴿ مَاقُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة:١١٧].

بل ويُخبرنا الإنجيل الذي بين أيدينا اليوم أن المسيح عليه السلام كان صريحًا في تعاليمه، وأن عقيدته لا يوجد فيها شيء غير مُعلن: "فَسَأَلَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ يَسُوعَ عَنْ تلاَمِيذِهِ وَعَنْ تَعْلِيمِهِ.

---

(١) إنجيل مرقس: ١٢-٢٩.

أَجَابَهُ يَسُوعُ: أَنَا كَلَّمْتُ الْعَالَمَ علاَنِيَةً. أَنَا عَلَّمْتُ كُلَّ حِينٍ فِي الْمَجْمَعِ وَفِي الْهَيْكَلِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْيَهُودُ دَائِماً. وَفِي الْخَفَاءِ لَمْ أَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ"[١].

فكان أحرص الناس على أتباعه، وأصل عقيدته هو ما يقوله لهم وليس ما يحكيه الكهان: "إِذًا الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللهِ"[٢].

فالإيمان لا يكون إلا بالخبر (الدليل) ولا يكون الخبر إلا بكلمة الله، وليس بافتراضات وظنون ما أنزل الله بها من سلطان.

والآن نأتي لبيت القصيد هنا ونقول: هل كان في تعاليم المسيح العلنية أنه هو الله؟

هل كان في تعاليمه العلنية أنه أحد أقانيم الثالوث؟

هل كان في تعاليمه العلنية أنه طالب بعبادته؟

هل كان في تعاليمه العلنية أنه أخبر أنه لاهوت كامل وناسوت كامل؟

هل كان في تعاليمه العلنية أنه جاء من أجل خطيئة آدم؟

أليس الذي لا نستطيع جميعًا أن ننكره أن المسيح لم يقل ولو لمرة واحدة أنا الله؟

لم يقل: ولو لمرة واحدة اعبدوني!

لم يقل: أنا لاهوت وناسوت!

لم يقل: أنا جئت من أجل خطيئة آدم!

أليست كلمة مثل أقنوم لا توجد في الإنجيل كله ولو لمرة واحدة خير دليل على أنها من تعاليم الكهان وليست من تعاليم المسيح؟

أليست كلمة مثل ثالوث لا توجد في الإنجيل الذي بين أيدينا اليوم ولو لمرة واحدة خير دليل على أنها من تعاليم الكهان؟

ألم يجزم المسيح عليه السلام ويقطع بأن الله واحد، وأن الله هو آخر غير المسيح؟

---

(١) يوحنا الأصحاح ١٨ العدد ٢٠ .

(٢) رومية الأصحاح ١٠ العدد ١٧.

أُكرر مرةً أخرى: ألم يجزم المسيح عليه السلام ويقطع بأن الله واحد، وأن الله هو آخر غير المسيح؟

يقول المسيح: "إِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي لَيْسَتْ حَقّاً. الَّذِي يَشْهَدُ لِي هُوَ آخَرُ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ الَّتِي يَشْهَدُهَا لِي هِيَ حَقٌّ"[1].

الَّذِي يَشْهَدُ لِي هُوَ آخَرُ

الَّذِي يَشْهَدُ لِي هُوَ آخَرُ

الَّذِي يَشْهَدُ لِي هُوَ آخَرُ

إذن الله هو آخر غير المسيح!

والمسيح ليس هو الله!

فالرب واحد وليس آخر سواه كما يقول الإنجيل: "اللهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ"[2].

بل إن المسيح يجزم في الإنجيل الذي بين أيدينا اليوم أن الله منفصل تماماً عن المسيح: "لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ كَذَلِكَ أَعْطَى الِابْنَ أَيْضاً أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ"[3].

فالمسيح هو آخر غير الله وهو مرسل من عند الله كما كل الرسل والصديقين الأطهار، ولذلك الذي يؤمن بالمسيح سيؤمن بالذي أرسله وهو الله، وفي ذلك يقول المسيح: "فَنَادَى يَسُوعُ: «الَّذِي يُؤْمِنُ بِي لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي"[4].

فوظيفة المسيح هي أن يؤمن الناس بالآب الله الذي أرسله.

بل إن الجنة لن يدخلها إلا من قال: "لا إله إلا الله المسيح رسول الله" بنفس لفظ الإنجيل، حيث يقول المسيح في الإنجيل: "وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ

---

(١) يوحنا الأصحاح ٥ العدد ٣٢ .

(٢) مرقس الأصحاح ١٢ العدد ٣٢ .

(٣) يوحنا الأصحاح ٥ العدد ٢٦.

(٤) يوحنا الأصحاح ١٢ العدد ٤٤.

وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ"[١].

لقد شهد المسيح أن الحياة الأبدية –أي الجنة– هي في شهادة أن لا إله إلا الله وأن يسوع المسيح رسول الله وهو عين ما يؤمن به المسلمون جميعاً.

إذن المسيح ليس أكثر من نبي عظيم كما يقول الإنجيل صراحةً في عشرات المواضع: "يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ الَّذِي كَانَ إِنْسَاناً نَبِيّاً مُقْتَدِراً فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ أَمَامَ اللهِ وَجَمِيعِ الشَّعْبِ"[٢].

بل إن المسيح عليه السلام يعترف في الإنجيل الذي بين أيدينا اليوم أنه لا يعلم الغيب ككل الأنبياء السابقين عليه، فهو ليس بأفضل منهم في شيء: "وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ الِابْنُ إِلاَّ الآبُ"[٣].

أما معجزات المسيح العظيمة كإحياء الموتى وشفاء العمي –وهذه بالمناسبة يشاركه فيها كثير من أنبياء العهد القديم كإيليا ويشوع– فلم تكن هذه المعجزات لإثبات ألوهيته بل على العكس تمامًا هي لإثبات أنه رسول من عند الله لا أكثر، ولذا قال المسيح في معجزة إحياء الميت الشهيرة في الإنجيل: "وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ وَقَالَ: أَيُّهَا الآبُ أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلَكِنْ لأَجْلِ هَذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي"[٤].

فعظمة المعجزة هي في أن يؤمن الواقفون أنه رسول من عند الله!

فالمسيح عبد لله ولن يستنكف عن عبادته، وما صلاته بين يدي الله في الإنجيل مرارًا وتكرارًا إلا علامة خضوع وعبودية لخالقه سبحانه. يقول الإنجيل: "وفي تلك الايام خرج الى

(١) يوحنا الأصحاح ١٧ العدد ٣ .

(٢) لوقا الأصحاح ٢٤ العدد ١٩.

(٣) إنجيل مرقس الأصحاح ١٣ العدد ٣٢.

(٤) يوحنا الأصحاح ١١ العدد٤٢.

الجبل ليصلي. وقضى الليل كله في الصلاة لله"[١].

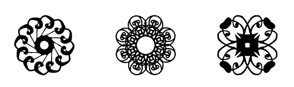
ويوم القيامة سيكون المسيح بلفظ الإنجيل خاضعًا لله: "وَمَتَى أُخْضِعَ لَهُ الْكُلُّ فَحِينَئِذٍ الاِبْنُ نَفْسُهُ أَيْضاً سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ كَيْ يَكُونَ اللهُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ"[٢].

إن النصوص تواترت على عبودية المسيح لله في الإنجيل الذي بين أيدينا اليوم، وما هذه إلا شواهد يسيرة لمن أراد الشهادة الحق لله وهي شهادة أن المسيح ومحمد وإبراهيم كلهم رسل الله وعباد الله، وأن الله لم يجعل أحدًا من أنبيائه إلهاً!

فالله كما يقول الكتاب المقدس الذي بين أيدينا اليوم ليس إنسانًا: "لَيْسَ اللهُ إِنْسَاناً"[٣].

والله لم يسكن مع الإنسان على الأرض حاشاه سبحانه، وقد أخبر الله عز وجل هذه الحقيقة المدوية التي تسقط كل ألوهيةٍ لبشرٍ فقال الكتاب المقدس صراحةً وفي منتهى الدقة والوضوح: "لأَنَّهُ هَلْ يَسْكُنُ اللهُ حَقًّا مَعَ الإنسان عَلَى الأَرْضِ؟ هُوَذَا السَّمَاوَاتُ وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ لاَ تَسَعُكَ فَكَمْ بِالأَقَلِّ هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي بَنَيْتُ!"[٤].

إن هذا برهان يتطلب قرارًا، وهذا القرار لا يتجاوز شهادة أن لا إله إلا الله وأن المسيح عبد الله ورسوله!



(١) إنجيل لوقا إصحاح٦ عدد١٢.

(٢) كورنثوس ١ الأصحاح ١٥ العدد ٢٨ .

(٣) العدد الأصحاح ٢٣ العدد ١٩.

(٤) أخبار الأيام الثاني الأصحاح ٦ العدد ١٨.

الجرعة الخامسة والخمسون

-تكملة للجرعة السابقة-

التثليث

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٧٣].

الثالوث عقيدة شرك، يشترك فيها عدة أشخاص في الألوهية؛ فعندما تقول النصرانية: إن هناك ثلاثة أشخاص يتكلمون مع بعضهم البعض و يحبون بعضهم، ويجلسون بجوار بعضهم البعض. يكون النصارى هنا قد سلبوا من مفهوم اللـه أحد أهم مميزات وحدانيته!

وهذا يختلف كل الاختلاف عن عقائد التوحيد التي نادى بها أنبياء العهد القديم. فجميع أنبياء العهد القديم بلا استثناء باتفاق النصارى واليهود والمسلمين لا يعرفون تثليثًا ولا أقانيم ولا موت آلهة إرضاءً لآلهةٍ أخرى –موت يسوع على الصليب لإرضاء الآب–.

يقول ميخائيل جولدر المحاضر في اللاهوت بجامعة برمنجهام في كتابه "أسطورة التجسد الالهي" ص١٠٧: "يسوع نفسه لم يكن يظن أنه الأقنوم الثاني في ثلاثية الأقانيم".

وفي دائرة المعارف البريطانية الجزء الثالث ص ٦٣٤ : "كان المسيحيون الاوائل ضد التثليث، فالتثليث كان يبدو لهم ضد التوحيد الإلهي الذي تُعلمه الكتب المقدسة".

فالمسيح عليه السلام كان يُعلّم التلاميذ أنه عبدٌ لله لا يعلم إلا ما علَّمه الله، فهو لا يعرف متى الساعة؟ يقول المسيح : "وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ الِابْنُ إِلاَّ الآبُ"(١).

وفي آخر حياته عليه السلام حين سأله أحد الكتبة عن أعظم الوصايا قالها مدويةً: "إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ، الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ، وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ،

---

(١) إنجيل مرقس الأصحاح ١٣ العدد ٣٢.

وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى"(١).

أضف إلى ما سبق أن مشكلة التثليث مربكة للعقل محيرة للفطرة التوحيدية النقية.

ولذا حين ظهر الإسلام كانت المحنة النصرانية الكبرى؛ لأن الإسلام يعيد نهج التوحيد الذي عليه أنبياء العهد القديم، ومن أجل ذلك خرجت التعديلات اللاهوتية على يد توما الاكويني، فحاول الرجل تنسيق ديانته بما يتناسب مع التوحيد فقال بـ"الثلاثة في الواحد والواحد في الثلاثة" وهذه المحاولة الانتحارية التي تخالف أبسط بديهيات العقل هي فقط محاولة لمواربة الصدع والتقرب من عقيدة التوحيد، فالتحسينات لم يكن منها مناص لإيقاف أفواج الداخلين في الدين الجديد.

يقول د. عبدالله بن سعيد الشهري في أحد منشوراته : «اطلعت على موقع نصراني إنجليزي يستقبل سؤالات المستفتين فوجدت منها:

من ندعو الله أم عيسى أم روح القدس؟

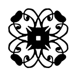
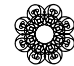
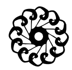
وآخر: بأيهما نبدأ؟

وآخر: هل يضر البدء بالله؟

شاهد عمليّ حي على عواقب الانحراف عن التوحيد».

قال الله تعالى ذامًّا هذه الصور من التثليث الشركي: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزمر:٢٩].

فلا لا يستوي العبد لجماعة والعبد لواحد!

---

(١) إنجيل مرقس إصحاح ١٢ عدد٣٠.

الجرعة السادسة والخمسون

رجال الدين

في الكنيسة لا يحل للرجل أن يتزوج إلا بإذن رجال الأكليريوس -رجال الدين-، ولا يدخل المسيحية إلا بتعميد الإكليريوس له، بل الرضيع لا يحسب مسيحيًّا إلا بعد التعميد.

ولابد من اعتراف المرء أمام الكاهن بكل مصيبة.

لكن الاسلام لا توجد فيه واسطة بين العبد وربه، وينعقد الزواج بشهادة أي رجلين، والتوبة إلى الله لا يتدخل فيها أحد، والصلاة تكون في أي مكانٍ طاهر.

بل لقد حارب الإسلام منذ أول لحظةٍ كل صور التدخل والوساطة وحَجب العقل.

فالإسلام يحرر العقل من نير وسخافات الكهان، ويحارب الإسلام كل صور الولاية على العقل سواءً عبر رجال دين أو أضرحة تُقدم لها الذبائح.

أيضًا الإسلام يحارب كل صور حجب العقل بالأشياء المعنوية كالسحر والطلاسم.

أو بالعلوم الزائفة كالطالع وقراءة الأبراج.

وكذلك يحارب الإسلام حجب العقل بالأشياء المادية كالمسكرات والمخدرات!

فالإسلام هو حرية العقل وانفتاقه من غلول الحجب التي يفرضها الكهنة والسحرة وبائعو الأوهام!

ولقد وصلت العبودية في ظل الكنيسة في الغرب إلى صورٍ فجَّة فكان العبيد يؤجَّرون في الأراضي بلا مقابل على ملء بطونهم، ولم يكن لدمائهم قيمة، فقتلهم أو تعذيبهم كان حق للأسياد ولم يكن العبد يتزوج إلا بعد أن يفض السيد بكارة العروس.

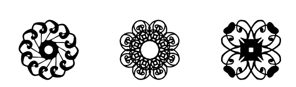
فجاء الإسلام وحرّر البشر وأصيب المسلمون بعمى ألوان -على حد تعبير مالكوم إكس رحمه الله- فلا يفرقون بين أبيض ولا أسود، وصارت وصية الإسلام الخالدة هي اتباع تعاليم الأنبياء بعيدًا عن الكهنة والمحرفين.

بل إن كلمة رجل دين لا وجود لها في قواميس الإسلام قاطبةً، فلا رجال دين عندنا ولا

إكليريوس في مساجدنا وخلافتنا لم تكن كهانة.

فكل مسلم هو رجل دين، ولا فرق بين شيخ الأزهر أو المفتي وأي مسلمٍ عامي، فالكل أمام الشرع سواء. فليس عندنا طبقة مفرزة، ولا كهنة ممسوحين! بل كل مسلمٍ مكلَّف بدينه ولا واسطة بينه وبين خالقه سبحانه.

فمساواة الإسلام بغيره خطأ كبير، صادر عن جهلٍ بحقيقته، وصلته بالفطرة الصحيحة، والقضاء الكوني الذي أخذه الله على نفسه بثبوته إلى قيام الساعة، ولكنه يتحول من حياضٍ إلى حياض، ومن ساحةٍ إلى ساحة، ومن حملةٍ إلى حملة، بحسب تغير بواطن حامليه، وتغير مقاصدهم، وتنكرهم لهم وانصرافهم عنه.



الجرعة السابعة والخمسون

العلم والدين

أكثر الأسئلة أهمية وإثارة تقع خارج قدرات العلم، فما معنى الخير والشر والصواب والخطأ والنجاح والفشل والمعنى واللا معنى والقيمة والغاية ومصدر القوانين؟

هذه أسئلة خارج نطاق العلم، ليس لعجز العلم أو قِصر أدواته، بل لأنها تقع خارج إطار العلم والمادة معًا!

الدين جواب لسؤال آخر لا يتعلق بالعلم.

فالعلم هو فقط تحليل للظواهر بغية تفسيرها والإنسان لم يتبنَّ العلم إلا عندما علم أن الطبيعة تتبع قوانين ثابتة، وإعداد بعناية وعظيم صنع وروعة خلق، ولم يفعل العلم أكثر من إطلاق التسميات على هذه القوانين، ثم حصد الجوائز نتيجة الكشوف العلمية، فالنظام المدهش والقابلية للتنبؤ، والانضباط والمصداقية التي لولاها ما قام العلم... كلها تقطع بأن وراء الظلال حقائق!

مَن الذي يقف خلف القضية ككل؟!

الله يقف وراء قصة العلم كلها.

والخالق أراد منا أن نفهم الكون فخلق قوانين الكون ممكنة الاستيعاب..

وقضت حكمة الله – سبحانه وتعالى – أن يُختبر الإنسان فيما هو دون ذكائه الفطري بكثير، ومع ذلك فشل في الاختبار خلقٌ كثير!

فيا صاحبي!

لا تجعل من جهلك مُبررًا لكفرك!

لا تجعل مما لم تُحِط بعلمه دليلاً على العلم!

وعدم معرفتك بالشيء ليست معرفة تبني عليها كُفرك!

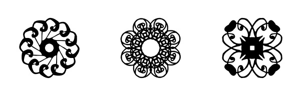
القضية الدينية مُسلمة عقلية ومعرفية ووجدانية وفطرية ونقلية بدرجة يقينية، فلا تجعل من

افتراضك بديلًا لليقين، ومن ظنك بديلًا للبديهة، فما أكثر الافتراضات والظنون، فهذا طريق يزينه الشيطان فهو سوق الشيطان الوحيد وقِوام بضاعته، وعليه ينصب رايته.

فهل من عاقل ينتصر على شيطانه ويستسلم لبديهة عقله ونداء فؤاده ويتواضع للحق متى ظهر واستعلن؟

إن الشهادة لله بالخلق والأمر، هي الاستجابة المُثيرة للقضية الإنسانية الكُبرى، والاستجابة الوحيدة المتاحة للعقل والفطرة والوجدان والحس والنقل.

هداك الله وأصلح قلبك وغفر ذنبك وشكر سعيك في معرفة الحق!



الفهرس